جمهورية مصر العربية
وزارة الأوقاف
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
لجنة التعريف بالإسلام

عدة المجاهدين في الكتاب والسنة

تأليف

الأستاذ عطية عبد الرحيم عطية

القاهرة
١٤٠٠ هـ - ١٩٧٩ م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وامام المجاهدين ، محمد صلوات الله وسلامه عليه • الذى أرسله الله تعالى ليخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم ويهديهم الى صراط مستقيم • ففتح الله به آذانا صما وقلوبا غلفا وأبصارا عميا فجاهد فى الله حق جهاده ، وكان أفضل قدوة لاتباعه على مجاهدة النفس ومغالبة الهوى ، حتى استقامت نفوسهم فحملوا هذا الدين نقيا طاهرا وطوفوا به فى آفاق العالم فارتفع بذلك مجد الاسلام ، وعلت صروح عظمته •

ثم خلف من بعـدهم خلف فتنوا بعرض الدنيـا البائدة النافدة وانصرفوا عن الجهاد والعمل الصالح ، وغفلوا عن قول الله عز وجل :

« ألم يأن[1] للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبـل فطال عليهم الأمـد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون » •

ولو اطلعنا على أحوال المسلمين اليوم لوجدنا أنهم فى أشد الحاجة الى توحيد الكلمة ، والى ما يقوى ايمانهم بربهم ، وتعاونهم فيما بينهم حتى يكتب لهم النصر على ما يدبر لهم من مؤامرات خبيثة دنيئة ، اجتمعت عليها الدول المستعمرة لكى تفرق الكلمة •

ولقد اتفقت الكلمة اليوم على أنه لا سبيل للتخلص مما نحن فيه الا بالرجوع الى حقيقة الايمان ومجاهدة النفس ومغالبة الشيطان •

وان لنا فى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وصحابته أسوة حسنة ، فانهم رجال صفت قلوبهم ونفوسهم فكانوا يرون بنور الله ،

---

(١) سورة الحديد ١٦ •

وكان لكل آثاره الطيبة ظهر واضحا جليا فى المدرسة المحمدية ، فكان المتخرجون فيها نماذج رائعة فى البطولة والفداء ، مما هيأ للاسلام والمسلمين عزا ونصرا وصدق الله العظيم اذ يقول : « ان تنصروا[1] الله ينصركم ويثبت أقدامكم » •

وقد رسم الله تعالى طريق النصر للمؤمنين فى آيات بينات ووضح الرسول الكريم جوانب هذا الطريق فى سنته الشريفة •

وفى عصر المدنية المزعومة ظهرت الدول الاستعمارية ، التى جعلت الحق للقوة والمنطق للمدفع والصاروخ ، ونسوا أقوى الأقوياء ومذل الجبابرة والذى تفوق أسلحته الالهية أسلحتهم ومخترعاتهم ، وليس عنا ببعيد قصة أبابيل ، وغزوة بدر ، والخندق وغيرها وصدق الله العظيم اذ يقول :

« قل هو القادر على أن يبعث[2] عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض انظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون » •

وقد وجدت نفسى — كفرد فى هذه الأمة التى فضلها الله على جميع الأمم وارتضى لها الاسلام دينا ، ملزما أن أبين للناس ما أفاء الله على من نعمته وفضله • اذ هدانى أن أطيل النظر والتأمل فى كتابه سبحانه وتعالى وسنة رسوله — صلى الله عليه وسلم — وسير المتقدمين •وقد عنيت فى هذا الكتاب بابراز ما فتح الله به على من آيات الجهاد مرتبة على حسب ورودها بالمصحف الشريف ، ورقمت البداية والنهاية بالنسبة لكل مجموعة من الآيات •

وقد اخترت خمسين حديثا وشرحتها شرحا مبسطا يسهل استيعابه، وكذا طرفا يسيرا من الغزوات والسير ، وافتتحت الكتاب بنبذة وجيزة تتعلق بالجهاد ومعناه وحكمه وشروطه وفضله على نحو يقرب تناوله ويسهل الوقوف على فقهه بأسلوب سهل •

---

(١) ٧ سورة محمد
(٢) ٦٥ الأنعام

واعتمدت فى ذلك على الله العظيم وعلى أهم المصادر الصحيحة كتفسير ابن كثير ، والجامع لأحـكام القرآن لابى عبد الله القرطبى والمعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، ومفتاح كنوز السنة ، ونيـل الأوطار للشوكانى ، وشرح صحيح البخارى للامام القسطلانى وسيرة ابن هشام ، وامتاع الأسماع للمقريزى ، ورياض الصالحين والحاوى للماوردى •

واستبعدت التفسيرات والتأويلات المتعـددة ، واخترت أقربهـا وأدناها الى الذهن ، وتركت التفصيلات العميقة لمن يريدها فى مظانها •

وقرنت الأحاديث بالآيات التى لها صلة بها لتكمل الصورة ويتضح الجو الذى نزل فيه النص القرآنى الكريم لكى يعم النفع ، وتكون هذه الآيات شافعة لمن قرأها وعمل بما فيها بين يدى الله سـبحانه وتعالى **(يوم لا ينفع مال ولا بنون • الا من أتى الله بقلب سليم)** •

واننى اذا أضع هذا المجهود المتواضع فى كتاب بين يدى القارىء الكريم لكى يكون عدة لكل مجاهد بنفسه وماله فان أكن قد وفقت فذلك فضـل الله وحده • وان تكن الاخـرى فتلك ارادة الله وما توفيقى الا بالله • وبهذا أكون قد بلغت ما علمت ولم أكتمه ألا هل بلغت اللهم فاشهد والله خير الشاهدين •

والحمد لله رب العـالمين ••

المؤلف

الجهاد لغة وشرعا

الجهاد أصله لغة : المشقة ، وهو مشتق من الجهد بفتح الجيم وهو التعب والمشقة لما فيه من تحملهما بعسر ، أو من الجهد بالضم وهو الطاقة ، ويقال : جاهدت جهادا أى بلغت المشقة .

وشرعا : بذل الجهد فى قتال الكفار ، والأصل فيه قبل الاجماع آيات كقوله تعالى : « **كتب عليكم القتال** »[1] « **وقاتلوا المشركين كافة** »[2] وكان محرما قبل الهجرة ثم أمر صلى الله عليه وسلم بقتال من قاتله .

وقد شرع الله تعالى الجهاد فى الوقت الأليق به لانهم لما كانوا بمكة كان المشركون أكثر عددا ، فلو أمر المسلمون وهم أقل من العشر بقتال الباقين لشق عليهم ، ولهذا لما بايع أهل يثرب ليلة العقبة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وكانوا نيفا وثمانين ، قالوا يا رسول الله ألا نميل على أهل الوادى ؟ يعنون أهل منى ليالى منى فنقتلهم ؟ فقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — « انى لم أومر بهذا » فلما بغى المشركون وأخرجوا النبى — صلى الله عليه وسلم — من بين أظهرهم وهموا بقتله وشردوا أصحابه فذهب منهم طائفة الى الحبشة وآخرون الى المدينة فلما استقروا بالمدينة وافاهم رسول الله — صلى الله عليه وسلم — واجتمعوا عليه وقاموا بنصره وصارت لهم دار اسلام ومعقلا يلجأون اليه فشرع الله جهاد الأعداء .

ونزلت أول آية فى القتال قوله تعالى : « **أذن للذين**[3] **يقاتلون بأنهم** ظلموا وان الله على نصرهم لقدير » .

---

(١) ٢١٦ سورة البقرة
(٢) ٣٦ سورة التوبة
(٣) ٣٩ سورة الحج

وكان القتال محرما فى الأشهر الحرم وهى القعدة والحجة والمحرم ورجب ، ثم أمر به مطلقا .

والجهاد جهادان : جهاد فى الحرب وجهاد فى السلم . فالاول هو مجاهدة المشركين والآخر هو جهاد النفس والشيطان والفساق . ولذا قال صلى الله عليه وسلم عندما رجع من احدى المواقع : « رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر ألا وهو جهاد النفس » .

ويقول الامام البوصيرى رضى الله عنه فى جهاد النفس والشيطان :

وخـــالف النفس والشـــيطان واعصـــهما
وان همـــا محضـــاك النصـــح فاتهـــم

وان مجاهدة النفس هى تعلم أمور الدين ، ثم على العمل بها ثم على تعليمها ، وأما مجاهدة الشيطان ، فعلى دفع ما يأتى من الشبهات ، وما يزينه من الشهوات .

وأما مجـاهدة الكفار فتقع باليد والمـال واللســان والقلب ، وأما الفساق . فباليد ثم اللسان ثم القلب .

واختلف فى جهاد الكفار هل كان أولا فرض عين أو كفاية ؟

وللعلماء قولان مشهوران وهما فى مذهب الشافعى ، قال الماوردى : كان عينا على المهاجرين دون الأنصار . ويؤيده وجوب الهجرة قبـل الفتح لكل من أسلم الى المدينة لنصر الاسلام .

وقال السهيلى : كان عينا على الانصـار دون غـيرهم ، ويؤيده مبايعتهم النبى — صلى الله عليه وسلم — ليلة العقبـة على أن يؤووا رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وينصروه .

فيخرج من قولهما : أنه كان عينا على الطائفتين فى حق غيرهم ، ومع ذلك فليس فى حق الطائفتين على التعميم . بل فى حق الأنصار اذا طرق المدينة طارق ، وفى حق المهاجرين اذا أريد قتال أحد من الكفار ابتداء .

وقيل كان عينا فى الغزوة التى يخرج فيها النبى — صلى الله عليه وسلم — دون غيرها .

والتحقيق أنه كان عينا علىٰ من عينه — النبى صـلى الله عليـه وسلم — وان لم يخرج ، وأما بعده — صلى الله عليه وسلم — • فهو فرض كفاية على المشهور •

وأما اذا ديست أرض الاسلام فانه يكون فرض عين على كل مسلم ومسلمة • ويكون باليد أو باللسان أو بالمال أو بالقلب • لقوله صلى الله عليه وسلم : « جاهـدوا المشركين بأموالكم وأيديكم وألسنتكم » (رواه أحمد وأبو داود والنسائى) • وتكون هذه هى التجارة الرابحة لمن أراد كسب الدنيا والآخرة لقوله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم• تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون • يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار ومساكن طيبة فى جنات عدن ذلك الفوز العظيم ، وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين»[1] • صدق الله العظيم•

وأول ما شرع الجهاد بعد الهجرة النبوية الى المدينة اتفاقا •

ويقول رسول الله — صلى الله عليه وسلم — « لغدوة أو روحة فى سبيل الله خير من الدنيا وما فيها » (متفق عليه) •

الغدوة بالفتح واللام للابتداء ، وهى المرة الواحدة من الغدو ، وهو الخروج فى أى وقت كان من أول النهار الى انتصافه ، والروحة المرة الواحدة من الرواح وهو الخروج فى أى وقت كان من زوال الشمس الى غروبها خير من الدنيا وما فيها » قال ابن دقيق العيد يحتمل وجهين :

أحدهما • أن يكون من باب تنزيل الغائب منزلة المحسـوس تحقيقا له فى النفس لكون الدنيا محسوسة فى النفس مستعظمة فى الطباع • ولذلك وقعت المفاضلة بها ، والا فمن المعلوم أن جميع ما فى الدنيا التى يكون أمر من أمورها سببا فى تأخير الجهاد • لا يساوى ذرة مما فى الجنة •

والآخر • أن المراد أن هذا القدر من الثواب خير من الثواب الذى يحصل لمن لو حصلت له الدنيا كلها • لأنفقها فى طاعة الله تعالى ، ويؤيد

(١) سورة الصف ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣

هذا أنه عندما بعث رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ جيشا فيهم عبد الله بن رواحة • فتآخر ليشهد الصلاة مع النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقال عليه الصلاة والسلام : « والذى نفسى بيده لو أنفقت ما فى الأرض جميعا ما أدركت فضل غدوتهم » ويظهر من ذلك واضحا جليا أن المراد تسهيل أمر الجهاد ، وأن من حصل له من الجنة قدر سوط يصير كأنه حصل له أعظم من جميع ما فى الدنيا •

فكيف بمن حصل منها أعلى الدرجات ؟

وقوله صلى الله عليه وسلم : « من اغبرت قدماه فى سبيل الله حرمه الله على النار » (رواه أحمد والبخارى والنسائى والترمذى) •

وهذا دليل واضح على عظم قدر الجهاد فى سبيل الله ، فان مجرد مس الغبار للقدم اذا كان من موجبات السلامة من النار فكيف بمن سعى وبذل جهده واستفرغ وسعه ؟ فانه ينال الخير العظيم من الله الذى تفضل به على عباده المجاهدين ، وهو خير مما طلعت عليه الشمس وغربت • وهذا لقوله صلى الله عليه وسلم :

« رباط يوم فى سبيل الله خير من الدنيا وما عليها ، وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها والروحة يروحها العبد أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها » (متفق عليه) •

فالجهاد فرض على الكفاية لقوله تعالى : «لايستوى[1] القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله » الآية ، وغير ذلك ، ولأنه لو كان فرض عين لتعطلت المعايش والمزروعات وخربت البلاد • نعم قد يعرض ما يوجب ذلك على كل أحد •

فاذا قام بالجهاد من فيه كفاية سقط الفرض عن الباقين ، لأن هذا شأن فروض الكفايات ثم الكفاية تحصل بشيئين ، أحدهما •شحن الثغور بجماعة يكفون من بازائهم من العدو ، فان ضعفوا وجب على كل من وراءهم من المسلمين أن يمدوهم بمن يتقوون به على قتال عدوهم •

---

(١) ٩٥ سورة النساء

والآخر • أن يدخل الامام دار الكفاية غازيا بنفسه أو يبعث جيشا ويؤمر عليهم من يصلح لذلك ، فلو امتنع الكل عن القيام بذلك حصـــل الاثم • لكن هل يعم الجميع أم يختص بالذين يدنون اليه ؟

فيه وجهان : المذكور فى الحاوى للماوردى ، وتعليق القاضى أبى الطيب أنه يأثم الكل •

وصحح النووى أنه يأثم كل من لا عذر له وهو الأرجح •

الاستشـــهاد :

واعلم أن كل انســـان يموت يتمنى أن لا يرجـــع الى الدنيـــــا الا الشهيد • لقوله صلى الله عليه وسلم عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع الى الدنيا وله ما على الأرض من شىء الا الشهيد ، يتمنى أن يرجع الى الدنيا فيقتل عشر مرات لمـــا يرى من الكرامة » (أخرجه مســـلم والترمذى فى الجهاد) •

شروط الجهـــاد :

شروط الجهاد سبعة : الاسلام ، والبلوغ ، والعقل ، والحرية ، والذكورة ، والصحة ، والطاقة على القتال • قد علم مما مر أن الجهاد فرض كفاية ، وأنه لا يجب الا على مسلم ، بالغ ، عاقل ، حر ، ذكر ، مستطيع ، فمن اجتمعت فيه هذه الصفات فهو من أهل فرض الجهاد بالاتفاق •

أما الكافر فلا جهاد عليه لان الشخص لا يخاطب بقتـــل نفسه ، وأما الصبى • فلقوله تعالى : « ليس على الضعفاء ولا على المرضى[1] ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج » الآية •

قيل المراد بالضعفاء الصبيان لضعف أبدانهم ، وقيل المجانين لضعف عقولهم ، وللخبر المشهور « رفع القلم عن ثلاثة » منهم الصبى والمجنون•

---

(1) ٩١ سورة التوبة

ولانه صلى الله عليه وسلم رد زيد بن ثابت ، ورافع بن خديج ، والبراء بن عازب ، وابن عمر رضى الله عنهم يوم بدر ، واستصغرهم ، وفى الصحيحين عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : « عرضت على النبى يوم أحد وأنا ابن أربع عشرة سنة فردنى ولم يسمح لى بخوض غمار ميدان القتال ، وعرضت عليه يوم الخندق وأنا ابن خمس عشرة سنة فأجازنى •

وأما الحرية فاحتراز عن الرق ، فلا جهاد على رقيق لقوله تعالى « **وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم** »[1] فلم يتوجه له الخطاب لأنه لا مال له • فدخل فى قوله تعالى « ولا على الذين لا يجدون ماينفقون حرج »[2] وروى جابر رضى الله عنه أن عبدا قدم فبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعه على الاسلام والجهاد فقدم صاحبه فأخبر أنه مملوكه • فاشتراه رسول الله صلى الله عليه وسلم منه بعبدين فكان بعد ذلك اذا أتاه من لا يعرفه يبايعه سأله أحر هو أم مملوك ؟

فان قال حر بايعه على الاسلام والجهاد ، وان قال عبد بايعه على الاسلام دون الجهاد ، ولأنه لا يسهم ولو كان من أهل فرض الجهاد لاســـهم له •

وأما الذكورة : فاحتراز عن الأنوثة ، فلا يجب على المرأة لقوله تعالى « **يأيها النبى حرض المؤمنين على القتال** »[3] واطلاق المؤمنين لا يدخل فيه النساء عند الشافعى الا بدليل ، وسئلت عائشة رضى الله عنها عن الجهاد فقالت : جهادهن الحج •

وأما الاســـتطاعة • فاحتراز عمن لا يســـتطيع كالمريض والأعمى والأعرج لأنهم لا يقدرون على الجهاد • ولهـــذا أنزل الله تعالى فيهم « **ليس على الأعمى حرج**[4] **ولا على الأعرج حرج** » الآية •

وسورة الفتح نزلت فى الجهاد بالاتفاق ، ولا يجب على مقطوع الرجل واليد ، فان قطع بعضها ، فان كان الأقل وجب • أو الأكثر فلا ،

---

(١) ٤١ سورة التوبة
(٢) ٩١ سورة التوبة
(٣) ٦٥ سورة الانفال
(٤) ١٧ سورة الفتح

قاله الماوردى • ولكن هناك أمثلة رائعة تدل على الشجاعة والاقـدام والتفانى فى سبيل النصر ، ويتجلى ذلك فى غزوة مؤتة عندما ولى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقيادة جيش المسلمين زيد بن حارثة ، وعبد الله ابن رواحة ، وجعفر بن أبى طالب • وقد قال صلى الله عليه وسلم : ان أصـيب زيد فعبد الله ، وان أصيب فجعفر ، وان أصـيب فيولى المسلمون ما يشاءون •

ولـما قتل زيد وعبد الله • تولى القيادة جعفر بن أبى طالب فأطاح الكفار ذراعه الأيمن • فمسك الراية بذراعه الأيسر فقطعه أحد الكفار • فمسك الراية بعضديه ، وقاتل حتى قتل رضى الله عنه ، وحزن عليـه الرسول كثيرا ، وأخبر صلى الله عليه وسلم أن الله أبدله بجناحين من ذهب يطير بهما فى الجنة •

ولا يجب على الفقير الذى لا يجد ما ينفق على نفسـه وعيـاله أو لا يجد ما يحمل عليه لقوله تعالى « ليس على الضعفاء[1] ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم • ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون » •

كل ما سبق اذا لم يطأ الكفار أرض المسلمين • فان وطئوها وغشوا المسلمين واحتلوا أرضهم ، وازدادوا فى طغيانهم • فعلى المسـلم أن يدافع عن نفسه بكل ما أمكن ، ولا فرق اذن فى هذه الحالة بين الحر والعبد والمرأة والأعمى والأعرج والمريض لأنه قتال دفاع عن الدين لا قتال غزو • فلزم كل مطيق •

وقد أمر الله سبحانه المسلمين المستضعفين وأذن لهم بأن يردوا كيد المعتدين الغاصبين ويقفوا رجلا واحدا وعلى قلب رجل واحد لقتال العدو الغادر ، والله سبحانه قادر على نصرهم فقد قطع على نفسه عهدا بذلك

---

(1) سورة التوبة ٩١ ، ٩٢ .

« وكان حقا علينا نصر المؤمنين » وأذن لهم بالقتال : « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير »[1] .

وكان أمره بقتالهم ارادة منه سبحانه ليذهب الغيظ عن قلوب المؤمنين ويشفى صدورهم « قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين . ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم »[2] .

وكما نصر الله تعالى رسوله فى غزوة بدر الكبرى نصر الله عباده المؤمنين فى تكرار معركة بدر عام ١٣٩٣ فقد كانت المعركة فى رمضان المعظم أعز الله تعالى فيها جنده ونصرهم على عدوهم فاقتحموا الحواجز وضربوا أروع الأمثلة فى التضحية والفداء وكانوا وسط الميدان مكبرين مهللين « الله أكبر الله أكبر » فنصرهم الله بنصره وأيدهم بجنود لم يروها فأرسل ملائكة تثبت المؤمنين وتلقى الرعب فى قلوب الكافرين.

« اذ يوحى ربك الى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان . ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب »[3] .

فالله أكبر الله أكبر . قتلهم الله وهزمهم شر هزيمة ، وصدق وعده.

« فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وليبلى المؤمنين منه بلاء حسنا ان الله سميع عليم . ذلكم وأن الله موهن كيد الكافرين[4] » .

---

(١) ٣٩ الحج .
(٢) ١٤ — ١٥ التوبة .
(٣) ١٢ — ١٣ الانفال .
(٤) ١٧ — ١٨ الانفال .

تحقق النصر على أيدى أبطالنا فى معركة العاشر من رمضان عام ١٣٩٣ وردت للعرب والمسلمين فى مشارق الارض ومغاربهـا عزتهم وكرامتهم المسلوبة •

وكانوا كما قال رب العزة « ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صـفا كأنهم بنيـان مرصوص »[١] وبعزة الله وحـده وبالتـآخى والتآزر سندخل القدس الحبيبة ان شاء الله مهللين مكبرين •

لا اله الا الله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده وأعز جنده ، وهزم الأحزاب وحده • لا اله الا الله ، ولا نعبد الا اياه ، مخلصين له الدين ولو كره الكافرون •

وقد كان ضباطنا وجنودنا البواسل فى معركة العاشر من رمضـان ليسوا جند أمتهم فقط ولكنهم جند الله وحماة دينه، وحماة بيوته،وحماة كتبه المقدسة ، وان المعركة التى خاضوها كانت معركة الحرية والكرامة ، وتطهير الوطن العربى الاسلامى بأجمعه من دنس الاستعمار البغيض •

الغنيمـــة :

الغنيمة مشتقة من الغنم ، وهو الفائدة الحاصلة بلا بذل •

وأما شرعا فالغنيمة ما أخذ من الكفار بالقتال ، ومن قتل قتيـلا فله سلبه ، وتقسم الغنيمة بعد ذلك فيعطى أربعة أخماسها لمن شـهد الوقعة ، للفارس ثلاثة أسهم وللراجل سهم •

وقال أبو قتادة رضى الله عنه : خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر فرأيت رجـلا من المشركين قـد علا رجـلا من المسلمين ، فاستدرت حتى أتيته من ورائه فضربته على حبل عاتقه ضربة فأقبل على فضمنى ضمة وجدت منهـا ريح الموت ثم أدركه الموت •

---

(١) ٤ سورة الصف .

فأرسلنى الى أن قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتل قتيلا له عليه بينة فله سلبه » فقمت فقصصت القصة ، فقال رجل : صدق يا رسول الله ، قال : فاعطه فأعطانيه ، فابتعت به مخرفا[1] فى بنى سلمة فانه أول مال تأثلته فى الاسلام •

ولو اشترك جماعة فى قتل واحد اشتركوا فى سلبه ، والسلب هـو ما على القتيل من ثياب وخف وآلات حرب ، حكم ما يفتح عنوة فى مذهب الحنفية والحنابلة أن الامام مخير فيما فتح عنوة بين قسمة أرضـه كالمنقولات ، ووقفها ومذهب الشافعية قسمتها على من حضر الوقعة ، ومذهب المالكية أنها تصير وقفا بنفس الظهور •

وقال الشافعية : فى أرض الفىء يقفها الامام لتبقى الرقبة مؤبدة، وينتفع بغلتها المستحق كل عام بخلاف المنقول فانه معرض للهلاك •

وبخلاف الغنيمة فانها بعيدة عن نظر الامام واجتهاده لتأكد حـق القائمين وأن الامام ان رأى قسمة أرض الفىء أو بيعها وقسمة ثمنها • جاز لكن لا يقسم سهم المصالح بل يوقف وتصرف غلته فى المصالح أو يباع ويصرف ثمنه اليها •

الفىء : مأخوذ من قولهم « فاء » اذا رجع للمسـلمين لغـة ، وأما شرعا فالفىء كل ما أخذ من الكفار من غير قتال •

ويقسم مال الفىء على خمس فرق ، خمسه على من يفرق عليهم خمس الغنيمة ، ويعطى أربعة أخماسه للمقاتلة ، وفى مصالح المسلمين ، **وفى مال الفىء خلاف المذهب أنه يخمس ويصرف خمسه لذوى القربى** واليتامى والمساكين وأبناء السبيل ، والأربعة الباقية كانت للنبى صلى الله عليه وسلم فى حياته مع خمس الخمس لأنه صلى الله عليه وسلم كان يستحقها لارهابه العدو •

---

(١) المخرف بفتح الميم البستان . وبكسرها ما يجنى فيه من الثمار

وأما بعده فالأظهر أنها للمجاهدين وهم الأجناد الذين عينهم الامام للجهاد وأثبت أسماءهم فى الديوان بعد أن تجتمع فيهم شروط ، وهى الاسلام ، والتكليف ، والحرية ، والصحة • لأن بهم يحصل ارهاب العدو ودفع شره ، فعلى هذا لو زادت الأربعة الأخماس على قدر حاجاتهم ، وقيل يرد عليهم بالتسوية ويجوز أن يصرف من الفاضل شىء على اصلاح الحصون والسلاح والله أعلم •

وقيل : ان أربعة الأخماس تكون للمصالح لأنها كانت لرسـول الله صلى الله عليه وسلم فى حياته فتصرف بعده الى المصالح كخمسها لخمس ، وعلى هذا فيعطون منها الأجناد لأن اعانتهم من أهم المصالح والله أعلم •

وبعـد •••

فان فضل الجهاد والسير يتجلى فى قوله تعالى وهو أصـدق القـائلين :

« ان الله[1] اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليـه حقا فى التـوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم » •

أى طلب منهم أن يبـذلوا أنفسـهم وأموالـهم فى الجهـاد فى سبيل الله ليثيبهم الجنة وذكر الشراء على وجـه المثل لأن الأنفس والأموال كلها لله وهو عندنا عـارية[2] ولكنه تعـالى أراد التحريض والترغيب فى الجهاد ، وهذا كقوله تعالى « من ذا[3] الذى يقرض الله قرضا حسنا » والباء فى بأن للمعاوضة ، وهذا من فضله تعالى وكرمه

(1) ١١١ سورة التوبة
(2) أمانة
(3) ٢٤٥ سورة البقرة

واحسانه ، فانه قبل العوض عما يملكه بما تفضل به على عباده المطيعين له • ولذا قال الحســن البصرى • بايعهم الله فأغلى ثمنهم ، وقال : عبد الله بن رواحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبــة •

اشترط لربك ولنفسك ما شئت • فقال صلى الله عليه وسلم : أشترط لربى أن تصدقوه ولا تشركوا به شيئا ، وأشــترط لنفسى أن تمنعونى ما تمنعون به أنفسكم وأموالكم •

قالوا : فمالنا اذا فعلنا ذلك ؟ قال الجنة • قالــوا ربح البيــع لا نقيل ولا نستقيل •

فنزلت الآية « **أن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله**[1] » مع عدوهم طاعة لأمر الله سبحانه وتعالى « **فيقتلون ويقتلون** » **أى يقتلون العدو ويقتلهم ، وعدا على الله** حقا للمجاهدين فى سبيله وهو وعد ثابت • قد أثبته جل علاه فى كتبه • «**التوراة والانجيل والقرآن**» «**ومن أوفى بعهده من الله**» فافرحوا غاية الفرح • فانه أوجب لكم عظائم المطالب • وذلك هو الثواب الوافر •

وانا نتوجه اليك يا ربنا أن تنصرنا على اعدائنا وان تعز الاسلام والمسلمين يا على يا قدير وصلى اللهم على سيدنا محمد رسول الهدى ونبى الرحمة وسلم تسليما كثيرا •

---

(١) ١١١ سورة التوبة

آيـات الجهـاد

فى ســـورة البقــــرة

بسم الله الرحمن الرحيم

« يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصـلاة ان الله مع الصـابرين . ولا تقولوا لمن يقتـل فى سـبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون » .

١٥٣ — ١٥٤

العبد اما أن يكون فى نعمة فيشكر عليها . أو فى نقمة فيصـبر عليهـا . وقـد قال رسـول الله صلى الله عليه وسلم عجبا للمؤمن لا يقضى الله قضاء الا كان خيرا له . ان اصـابته سراء فشكر كان خيرا له . وان أصابته ضراء فصبر كان خيرا له .

وبين تعالى أنه ليس هنـاك أعظم ولا أكبر ما يستعان به على المصائب غير الصبر والصلاة ، وقد علم الله تعالى أن المؤمنين سيلاقون العنت والعذاب مما يؤدى حتما الى القتال ، فأمرهم أن يستعينوا بالصبر والصلاة وستكون النتيجة حتما احدى الحسنيين . اما النصر واما الشـهادة فى سبيله ، وقد أعد الله تعالى للشهداء مائة درجة فى الجنة ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض . وهى حياة أبدية . وان الشهداء عند ربهم أحياء يرزقون . ولكن لا تشعرون .

« ولنبلونكم[1] بشىء من الخـوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصـابرين . الذين اذا أصـابتهم مصـيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون . أولئك عليهم صـلوات[2] من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون » .

١٥٥ — ١٥٧

(١) نختبرنكم اى يعاملكم معاملة المبتلى
(٢) رحمات وحسن ثناء من الله عليهم

يخبرنا تعالى أنه ابتلى عباده : أى يختبرهم[1] بقليل من المحن والبلايا ليظهرهم أيصبرون على ما هم عليه من الطاعة أم لا يصبرون فيبتلى الله المؤمنين بقليل من الخوف ، وذهاب بعض الأموال وموت الأصحاب والأقارب والأحبـــاب ، ولا تنتج المزارع والحدائق مثـــل ما كانت تنتجه من قبل • وكل هذا ابتلاء من الله لعباده ، فمن صبر أوجر ومن قنط حل به العقاب ، فبشرى لمن حلت به مصيبة فقـــال (انا لله وانا اليه راجعون) فأولئك حل عليهم أمان ربهم من العذاب وأعطوا ثوابهم وزيادة •

عن أم ســـلمة رضى الله عنهـــا قالت : أتانى أبو سلمة يوما من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : لقد سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم قولا سررت به • قال : لا يصيب أحدا من المسلمين مصيبة فيسترجع عند مصيبته ثم يقول : اللهم أجرنى فى مصيبتى واخلف لى خيرا منها : الا فعل ذلك به ، قالت أم سلمة : فحفظت ذلك منه فلما توفى أبو سلمة : استرجعت ، اللهم أجرنى فى مصيبتى واخلف لى خيرا منها : ثم رجعت الى نفسى فقلت من أين لى خير من أبى سلمة ؟ فلما انقضت عدتى استأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أدبغ اهابا لى فغسلت يدى من القرظ وأذنت له فوضعت له وســادة أدم حشـــوها ليف فقعد عليهـــا فخطبنى الى نفسه • فلما فرغ من مقالته قلت يا رسول الله ما بى أن لا يكون بك الرغبة ولكنى فى غيرة شديدة فأخاف أن ترى منى شيئا يعذبنى الله به : وأنا امرأة قد دخلت فى السن • وأنا ذات عيال ، فقـــال : أما ما ذكرت من الغيرة فسوف يذهبها الله عز وجل عنك ، وأما ما ذكرت من السن ، فقد أصابنى مثل الذى أصابك ، وأما ما ذكرت من العيال فانما عيالك عيالى • قالت فقد سلمت لرسول الله صلى الله عليـــه وسلم • فقالت أم سلمة بعـــد !! أبدلنى الله بأبى ســـلمة خيرا منه رسول الله صلى الله عليه وسلم •

---

(١) يعاملهم معاملة المختبر

« وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين • واقتلوهم حيث ثقفتموهم[1] وأخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة[2] أشد من القتل ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين فان انتهوا فان الله غفور رحيم • وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين » •

١٩٠ — ١٩٣

هذه أول آية نزلت فى القتال بالمدينة لاعلاء كلمة الله ونصر دينه • روى عن ابن عباس (أن المشركين لما صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البيت عام الحديبية وصالحوه على أن يرجع فى عامه القابل للعمرة وخافوا ألا تفىء لهم قريش بالعهد وتصدهم عن المسجد الحرام بالقوة ويقاتلوهم • وقد كره المسلمون قتالهم فى الحرم وفى الشهر الحرام • فأنزل الله هذه الآية) :

فان فتنوكم عن دينكم أو أخرجوكم من دياركم ونكثوا العهد فقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ولا تعتدوا ولا تقتلوا الصغار ، والنساء ، والعجزة ، والشيوخ أو من ألقى اليكم السلاح • واقتلوهم اذا نشب القتال بينكم أينما وجدتموهم ، وأخرجوهم من بلادهم التى أخرجوكم منها قصاصا ، والصرف عن الدين ، والشرك أشد من القتل ، ولو أن من دخل البيت كان آمنا • ولكن اذا قاتلوكم فيه فقاتلوهم ولا تستسلموا لهم أبدا • فالشر بالشر والبادى أظلم فان رجعوا أو دخلوا فى دين الله فان الله غفور رحيم •

يقول الرسول الأعظم : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله • فاذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم الا بحقها وحسابهم على الله » فان انتهوا عما هم فيه من الشرك وقتال المؤمنين فكفوا عنهم فان من قاتلهم بعد ذلك فهو ظالم •

« الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع

(١) وجدتموهم
(٢) الصرف عن الدين

المتقين • وأنفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة وأحسنوا ان الله يحب المحسنين » •

١٩٤ — ١٩٥

لما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم معتمرا وصده المشركون ومن معه من المسلمين وكان هذا فى الأشهر الحرم وشاء الله له أن يعتمر ومن معه من المسلمين فى العام القادم • وما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغزو فىالشهر الحرام الا أن يغزى •وقد أمره الله بالعدل حتى مع المشركين **«فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل مااعتدى عليكم »** وجزاء سيئة سيئة مثلها • فأطيعوا الله واتقوه فانه سبحانه مع الطائعين المتقين : ناصرهم ومؤيدهم فى الدنيا والآخرة **« وانفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة » •**

أمر بالانفاق فى سبيل الله وهو يشمل سائر وجوه القربات ، ووجوه الطاعات وخاصة صرف الأموال فى قتال الأعداء وبذلها فيما يقوى به المسلمون على عدوهم فان الانفاق وسيلة من وسائل النصر • وقد حذر من عدم الانفاق بأنه مهلكة فلا تلقوا بأيديكم الى الهلاك • بل أنفقوا المال واعدوا الرجال وحصنوا الأنفس بالعلم والخلق •

بالعلم والمال يبنى الناس ملكهم — لم يبن ملك على جهل واقلال

وأبعدوا من بين صفوفكم ضعاف النفوس الذين يقبلون الرشوة ويبيعون الأمة فهم أشد خطرا من العدو • وأحسنوا فان الاحسان أعلى مقامات الطاعة ان الله يحب المحسنين •

« أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء[1] والضراء[2] وزلزلوا[3] حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله الا ان نصر الله قريب » •

— ٢١٤

(١) الشدائد
(٢) الضر الشديد
(٣) قوتلوا

هل ظننتم أن تدخلوا الجنة قبل أن تختبروا وتمتحنوا كما فعل بمن كانوا قبلكم من الأمم • فقد مستهم الشـدائد والأمراض والاسـقام والمصائب والخوف والفقر وازعجوا ازعاجا شـديدا وامتحنوا امتحانا شديدا • كما جاء فى الحديث الصحيح عن خباب بن الأرت قال : قلنا يا رسول الله ألا تستنصر لنا ، ألا تدعو الله لنا ، فقال: (ان من كان قبلكم كان أحدهم يوضع المنشار على مفرق رأسه فيخلص الى قدميه لا يصرفه ذلك عن دينه ويمشط بأمشاط الحديد ما بين لحمه وعظمه لا يصرفه ذلك عن دينه ثم قال والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضر موت لا يخـاف الا الله والذئب على غنمـه ولكنكم قوم تستعجلون) •

وزلزلوا وأزعجوا حتى يقول الرسول وهو أعلم الناس بالله تعالى وأوثقهم بنصره والمؤمنون والمقتدون متى نصر الله ؟ فـان نصر الله قريب لا محالة • وكما تكون الشدة ينزل من النصر مثلها •

« كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون » •

٢١٦

ذكرت هذه الآية الكريمة بعد آية الانفاق للمال لأن القتال يحتـاج الى البذل بسخاء ففرض القتال عليكم وأنتم تكرهونه لخوفكم من القتل وأنتم قلة تحملون لواء العدل والحق فعسى أن تكرهوا شيئا ، حربا وقتالا هو الخير كل الخير لكم ولدينكم اذ أن فيه اعلاء لكلمة الله تعالى ، ورفع الظلم وعسى أن تحبوا شيئا ويكون فيـه شر عظيم لكم ، وان الذى فرض القتال هو العليم بالنفوس وأنتم لا تعلمون •

« يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام واخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينـكم ان استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينـه فيمت وهـو كافر فأولئك

حبطت[1] أعمالهم فى الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النـار هم فيهـا خالدون • ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله أولئك يرجون رحمت الله والله غفور رحيم » •

٢١٧ — ٢١٨

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن جحش فى سرية لاستطلاع أخبار قريش ولم يأمرهم بقتال • فقتلوا أحد المشركين وقد أهل رجب وهم لا يعلمون ، فشاع الخبر وسألوا الرسول صلى الله عليه وسلم هل يحل لهم القتال فيه فقال والله ما أمرتكم بقتال فى الشـهر الحرام وأوقف توزيع الغنيمة • وقد استغل ذلك فى الدعاية ضد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا ان محمدا وأصحابه استحلوا الدماء فى الشهر الحرام • وذهب عطاء بن أبى رباح الى أنه لا يحل القتـال فى الحرم ولا فى الأشهر الحرم الا أن يقاتلوهم فيها • ويجوز القتال دفاعا وقد بين الله تعالى أن هناك ذنوبا أفظع من القتل فى الأشـهر الحرم يرتكبها الكفار مثل الصد عن سبيل الله والكفر به • أى عندما يهم الكافرون بصرف المسلمين عن كل ما يوصل لطاعة الله وعن المسجد الحرام ، وشركهم بالله فى بيته وحرمه واخراج أهله منه ، فأى جريمة من هذه الجرائم التى فعلها المشركون أكبر جرما وأعظم اثما عند الله والناس من القتال فى الشهر الحرام • فكيف بهم وقد فعلوها كلها ، ألم تعلموا أن الفتنة فى دين الله أشـد من القتـل • وما حوادث التعذيب والفتنة التى فعلوها مع عمار بن ياسر وأبيه وأخيه وأمه (سـمية) لصرفهم عن دينهم الا أكبر من القتـل • وهم يودون أن يستمروا فى قتالكم حتى ترجعوا عن دينكم ان استطاعوا ولكن اعلموا أنه من يرجع عن دينه منكم فيمت وهو كافر وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون•

أما الذين خرجوا من ديارهم مهاجرين مجاهدين فى سبيل الله حق جهاده اعلاء لكلمته ونصرة لدينه رجاء رحمـة الله فلا بد وان يكافأوا أحسن المكافآت بأن يغفر الله لهم بعض الزلل ويرحمهم بفضله واحسانه وهو الغفور الرحيم •

---

(١) بطلت

« ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم ان الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون • وقاتلوا فى سبيل الله واعلموا أن الله سميع عليم • من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة والله يقبض ويبسط واليه ترجعون • ألم تر الى الملأ من بنى اسرائيل من بعد موسى اذ قالوا لنبى لهم ابعث لنا ملكا نقاتل فى سبيل الله قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا قالوا وما لنا الا نقاتل فى سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم والله عليم بالظالمين » • ٢٤٣ —٢٤٦

اختلف المفسرون فى عددهم فمنهم من قال انهم أربعة آلاف ومنهم من قال أربعون ألفا وقال ابن عباس انهم كانوا أهل قرية يقال لها ذاوردان • وقد ذكر غير واحد من السلف أن هؤلاء القوم كانوا أهل بلدة فى زمان بنى اسرائيل استوخموا[١] أرضهم وأصابهم بها وباء شديد فخرجوا فرارا من الموت هاربين الى البرية • فنزلوا واديا[٢] أفيح فملأوا ما بين عدويته[٣] فأرسل الله اليهم ملكين أحدهما من أسفل الوادى والثانى من أعلاه فصاحا بهم صيحة واحدة فماتوا عن آخرهم، موتة رجل واحد • فحيزوا الى حظائر وبنى عليهم جدران وفنوا وتمزقوا وتفرقوا • فلما كان بعد دهر مر بهم نبى من أنبياء بنى اسرائيل يقال له حزقيل • فسأل الله أن يحييهم على يديه فأجابه الى ذلك وأمره أن يقول : أيتها العظام البالية ان الله يأمرك أن تجتمعى ، فاجتمع عظام كل جسد بعضها الى بعض ، ثم أمره فنادى • أيتها العظام • ان الله يأمرك أن تكتسى لحما وعصبا وجلدا • فكان ذلك وهو يشاهد • ثم أمر فنادى أيتها الأرواح ان الله يأمرك أن تجع كل روح الى الجسد الذى كانت تعمره ، فقاموا أحياء ينظرون •

قد أحياهم الله بعد رقدتهم الطويلة وهم يقولون سبحانك لا اله

---

(١) لم يستطيعوا اثمارها
(٢) واسع خصيب
(٣) جانبيه

الا أنت • وكان فى احيائهم عبرة ودليل قاطع على وقوع المعاد الجسمانى يوم القيامة •

ان فى هذه القصة لعبرة وانه لا يغنى حذر من قدر وأنه لا ملجأ من الله الا اليه • فهؤلاء خرجوا فرارا من الموت وطلبا لطول الحياة فجاءهم الموت فى وقت واحد ثم أحياهم جميعا فى وقت واحد • وهذا فضل من الله على الناس ولكن أكثرهم لا يقومون بشكره على نعمه عليهم فى دينهم ودنياهم •

ويأمر الله تعالى بقوله : (وقاتلوا فى سبيل الله واعلموا أن الله سميع عليم) •

أى كما أن الحذر لا يمنع القدر فان الفرار من الجهاد لا يقرب أجلا ولا يبعده • وأنتم أينما كنتم يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة • قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى •

ان خالد بن الوليد سيف الله المسلول عندما حضرته الوفاة كان يقول : لقد شهدت كذا وكذا موقفا وما من عضو من أعضائى الا وفيه ضربة من سيف أو طعنة من رمح وهأنذا أموت على فراشى كما يموت العير فلا نامت أعين الجبناء •

فلقد كان يتمنى أن يموت فى ساحة القتال •

« من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة » •

يحبب الله لعباده النفقة فى سبيله فيضاعفها لهم أضعافا لا تحصى ولا تعد فعددها كائن فى علمه سبحانه هو الغنى • فأنفقوا ولا تخشوا ضيقا فهو الرزاق يضيق على من يشاء من عباده فى الرزق ويوسع على الآخرين له الحكمة البالغة فى ذلك ، ويوم القيامة جميع الخلق اليه عائدون (ألم تر الى الملأ من بنى اسرائيل من بعد موسى) •

ذهب بعض المفسرين أنه عندما أوحى الله تعالى الى شمعون عليه السلام وهو نبى من أنبياء بنى اسرائيل أن يدعو اليه ، فدعا بنى اسرائيل فطلبوا منه أن يقيم لهم ملكا يقاتلون معه أعداءهم وكان الملك أيضا قد بدى فيهم ، فقال لهم النبى : فهل عسيتم ان أقام الله لكم ملكا ألا تقاتلوا وتفوا بعهدكم وما التزمتم به من القتال ؟ قالوا ولم لا نقاتل وقد أخذت منا البلاد وسبيت الأولاد ؟ فلما كتب عليهم القتال نقضوا العهد الا قليلا منهم والله عليم بالظالمين •

آيات الجهاد

فى سورة آل عمران

بسم الله الرحمن الرحيم

« قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون[1] الى جهنم وبئس المهاد . قد كان لكم آية[2] فى فئتين التقتا فئة تقاتل فى سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأى العين والله يؤيد بنصره من يشاء ان فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار » ١٢ — ١٣

قل لليهود الذين دعوتهم للاسلام فتمردوا عليك بنقض العهد وممالأة قريش عليك،وقالوا نحن أولوا قوة وأولوابأس شديد.ولايغرنك من نفسك انك قتلت نفرا من قريش كانوا أغمارا لا يعرفون القتال انك والله لو قاتلتنا لعرفت أننا نحن الناس وأنك لم تلق مثلنا . انكم ستغلبون باذن الله فى الدنيا وتحشرون يوم القيامة فى جهنم وبئس المهاد .

لقد كان لكم دلالة على أن الله معز دينه وناصر رسوله فى طائفتين التقتا . احداهما تقاتل لاعلاء كلمة الله وأخرى كافرة . يرى المسلمون الكافرين ضعفيهم فى العدد ومع هذا نصرهم الله عليهم .

عن عبد الله بن مسعود قال : لقد قللوا فى أعيننا حتى قلت لرجل الى جانبى تراهم سبعين قال : أراهم مائة قال : فأسرنا رجلا منهم فقلنا : كم كنتم ؟ قال : ألفا . ومعنى الآية عندما عاين كل من الفريقين الآخر رأى المسلمون المشركين مثليهم . أى أكثر منهم بالضعف ليتوكلوا ويتوجهوا ويطلبوا الاعانة من ربهم عز وجل ورأى المشركون المؤمنين كذلك ليحصل لهم الرعب والخوف . ثم لما حصل التصاف والتقى

---

(١) تساقون
(٢) دلالة على قدرة الله

الفريقان قلل الله هؤلاء فى أعين هؤلاء • وهؤلاء فى أعين أولئك ليقدم كل منهما على الآخر • ليفرق الله بين الحق والباطل ، فيعز المؤمنين ويذل الكافرين ان فى ذلك لعبرة لمن له بصيرة وفهم ليهتدى به الى حكم الله وأفعاله بنصر عباده المؤمنين فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد• ان فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار •

« واذ غدوت[١] من أهلك تبوىء[٢] المؤمنين مقاعد للقتال والله سـميع عليم • اذا همت[٣] طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون • ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون » ١٢١ — ١٢٣

واذكر لهم يامحمد وقت خروجك مابين طلوع الفجـر وطلـوع الشمس الى غزوة احد لتنظم صفوفهم وتنزلهم أماكن خاصة للقتـال فهؤلاء فى موضع الرماه وهؤلاء فى الميمنـة وهؤلاء فى الميسرة والله يسمع ويعلم كل شىء مما تكنه ضمائركم • واذكر اذ همت طائفتـان وهم بنو سلمة من الأوس وبنو حارثة من الخزرج وكادوا ألا يخرجوا الى أحد ثم وفقهم الله تعالى فخرجوا للقتال • وعند ذلك ذكرهم الله بغزوة بدر اذ كانوا ثلثمائة والكفار ألف مقاتل • فلا عدد معكم ولا عدد ، وهذا معنى الذلة • ومع هذا كله كان النصر حليفكم لأنكم كنتم مخلصين فى جهادكم متوكلين على ربكم ممتثلين أمر رسولكم ولهـذا نصركم • فاتقوا الله بالثبات مع رسوله ، والصبر والوقوف عند أمره لعلكم بهذه التقوى تشكرونه فان الشكر سبب من أسباب النصر •

« اذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين • بلى ان تصـبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هـذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين[٤] • وما جعله الله

---

(١) خرجت أول النهـار
(٢) تهيىء وتعـد
(٣) الهم : حديث النفس واتجاهها الى الشىء
(٤) معلمين بسيما القتال

الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر الا من عند الله العـزيز الحكيم • ليقطع[1] طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم فينقلبوا خائبين • ليس لك من الأمر شىء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون • ولله مافى السموات ومافى الأرض يغفر لمن يشـاء ويعذب من يشـاء والله غفور رحيم » ١٢٤ — ١٢٨

اذ تقول للمؤمنين يا محمد ألن يكفيكم أن يرسـل ربكم مددا وعونا من عنده ملائكة معلمين بسمة القتال • وقد أرسلهم اليكم وعرفكم بانزالهم الا بشرى لكم وتطييبا لقلوبكم • ولتعلموا ان النصر من عند الله الذى لو شاء لانتصر من أعدائه بدونكم • من غير ما حاجة الى قتالكم لهم ولتعلموا أنه لن يكون هناك نصر الا من عنده فانه ذو العزة التى لا تـرام •

«ليقطع[1] طرفا من الذين كفروا» أى أمركم بالجهاد لما له فى ذلك من حكمة يعلمها فى كل شىء • وذلك ليهلك أمة من الذين كفروا أو يرجعهم خائبين لم يحصلوا على ما أرادوا •

وان الأمر كله لله وليس لك من الحكم شىء فى أمـر عبـادى الا ما أمرتك به فيهم **« أو يتوب عليهم »** مما هم فيه من الكفر فيهديهم بعد الضلالة أو يعذبهم فى الدنيا والآخرة على كفرهم وما ارتكبوا من ذنوب فانهم يستحقون ذلك **« ولله ما فى السـموات وما فى الأرض »** فكل ما خلق سبحانه من الأرض والسماء وما فيها عبيد يديه وهـو المتصرف كيف يشاء ولا معقب لحكمه ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون وهو الغفور الرحيم » •

قد خلت من قبلكم سنن فسيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين • هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين • ولا تهنوا[2] ولا تحزنوا وانتم الأعلون ان كنتم مؤمنين ان يمسسكم قرح فقـد مس

---

(١) ليهلك جماعة
(٢) تضعفوا

القوم قرح[1] مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين • وليمحص[2] الله الــذين آمنوا ويمحق[3] الكافرين • أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين • ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون » ١٣٧ — ١٤٣

يقول الله تعالى مخاطبا المؤمنين لما أصابهم يوم أحد • ومبينا موقف الكفار وصفتهم مع بيان صفة المؤمنين وجزائهم فانظروا أيها المسلمون الى من كانوا قبلكم من الأمم من أتبــاع الأنبيــاء كانت لهم العاقبة وكانت الدائرة على الكافرين وهذه سنة الله فى خلقه • ولن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا •

وان السير فى الأرض ومشاهدة الآثار أثبتت فى معرفة الأخبــار (فما راء كمن سمع) فلكل انسان عقل يفكر به فيعرف أن سنة الله فى كونه لا تختلف عند جميع النــاس فى كل العصــور مؤمنهم وكافرهم • والله سبحانه يهدى من يحب الى صراط مستقيم وان هذا القرآن فيه بيان الأمور على جليتها وفيه خبر ماقبلكم وهدى وموعظة لقلوبكم فلا تضعفوا لما أصابكم من مس السلاح ولا تحزنوا على من قتل منكم فانه شهيد مكرم وان قتلاكم فى الجنة وقتلاهم فى السعير وان العاقبة والنصر لكم • فتوكلوا على الله وثقوا من نصره وقد وعدكم الله بذلك ان كنتم مؤمنين •

فان كان قد اصابكم بأحد ألم فقد أصابكم ببدر ألم مثله •

فيــوم لنــا ويــوم علينــا ويــوم نســـاء ويــوم نسر

والأيام دول والحرب سجال وان للحق دولة • وللباطل دولة • ودولة الباطل ساعة • ودولة الحق الى قيام الساعة • وسيكون

---

(١) ألم قتل او جراح
(٢) يطهــر
(٣) يهلك

النصر حليفكم فى النهاية • ليستقر العدل ويعم النظام ليعلم الناس أن الدنيـا لمن سلك طريق النجـاح والفوز ليميز الله الذين صـبروا منكم فى مناجزة الأعداء وأخلصوا من غيرهم وليكرم الله أناسا منكم بالشهادة فى سبيله فهؤلاء الذين كرمهم الله مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء • وهى شـهادة لا يعطيها الله الا لمن أحب واختار والله لا يحب الظالمين •

وليمحص الله الذين آمنوا فيطهرهم ويصفيهم من الذنوب حتى تصفو النفوس فلا يبقى فيهـا درن • وان من الحـكم الغاليـة لله تعالى محق الكافرين • فانهم اذا ظفروا مرة طغوا وبغوا فيكون ذلك سببا فى دمارهم وهلاكهم مرة واحدة والعاقبة للمتقين •

« **أم حسبتم أن تدخلوا الجنة** » هـل ظننتم أن تدخلوا الجنـة وتنالوا درجة القرب والرضا ولما تجاهدوا فى سـبيل الله جهـاد الصابرين على مره وشدائده ؟ لا !! ان دخول الجنة يكون بالجهـاد الكامل لاعلاء كلمة الله ورفع راية الوطن بجهاد العدو • وجهاد النفس خاصة فى الشباب وجهاد بذل المال رغم حبه فى الأعمـال النافعـة • وجهاد النفس على البلاء والطاعة والصبر •

ولقد كان الكثير منكم يتمنى أن ينال مرتبـة الشهادة ليلحق بمن سـبقه من أخواته الشهداء ببدر ويلحون فى ذلك حتى اذا جد الجـد وقامت الحرب وحمى وطيسها • ورأيتم بأعينكم ما تمنيتم حين استشهد بعض اخوانكم ورأيتموه وأنتم تنظرون ولم تقدموا عليه • وهذا عتاب من الله لهم •

« **وما محمد الا رسول قد خلت[1] من قبله الرسل افان مات أو قتل انقلبتم على أعقـابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شـيئا وسيجزى الله الشاكرين • وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا[2] ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته**

---

(١) مضت
(٢) محدد اجله وموعده

منها وسنجزى الشاكرين • وكأين من نبى قاتل معه ربيون[1] كثير فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا[2] والله يحب الصابرين • وما كان قولهم الا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا فى أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين • فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة • والله يحب المحسنين» ١٤٤ — ١٤٨

عتاب وأى عتاب لقـــد كان مع النبى صـــلى الله عليه وســـلم من بايعه وعاهده على الموت وصدقوا ما عاهدوا الله عليه ودافعوا عنـــه دفاعا مجيدا حتى قتل بعضهم ونجا بعضهم ومع هذا كان الخطـــاب عاما ليكون الارشاد عاما • فيتهم المؤمنون الصادقون أنفسهم ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم وليزدجر المقصرون فلا يعودوا لمثلها أبدا وقد أشيع أن النبى صلى الله عليه وسلم قد قتل وكان ذلك سببا فى انتشار الفتنة بين الصفوف ، حتى قال بعضهم لو كان نبيا ماقتل • وهذا مما جعل أنس بن النضر يبرأ الى الله من مثـــل هذه الفتنة ويقاتل حتى يقتل دفاعا عن الدين ، وبلغت الفتنة أقصاها حتى كانت سببا فى انفضاض بعض الناس عند الرسول صلى الله عليه وسلم فعاتبهم الله بقـــوله « **وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل** » • تنتهى حياته بالموت كموسى وسليمان ، أو بالقتل كزكريا ويحيى • ومع موتهم ظلت ديانتهم كما هى واتباعهم متمسكين بها فـــان محمدا بشر كســـائر البشر له فى الدنيا مهمة تنتهى بانتهاء أجله • ومن كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات • ومن كان يعبد الله فان الله حى لا يموت • فهل اذا مات محمد ترجعون الى ما كنتم عليه من كفر وضلال ؟ ومن يرتد منكم عن دينه فلن يضر الله شيئا انما يضر نفسه •

« **وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله** » تحريض من الله تعالى على الجهاد واخباره بأن الحذر لا يمنع القدر ولن يموت أحد قبل أجله ولو خاض المهالك فقد كتب الله ذلك ، ولن يموت أحد الا بقدر الله متى

---

(١) علماء أتقياء — أو جموع كثيرة
(٢) الاستكانة هى الذل والخشوع

استوفى المدة التى ضربها الله له فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون .

فمن كان عمله للدنيا فقط ناله منها ما قدره الله له وليس له فى الآخرة نصيب ، ومن كان عمله للآخرة أعطاه الله من الدنيا والآخرة. **« ومن كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه . ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله فى الآخرة من نصيب » وسيجزى الله من شكر . « وكأين من نبى قاتل معه ربيون كثير »** وكثير من الأنبياء قاتل معهم علماء اتقياء أو جماعات كثيرة لاعلاء كلمة الله واعزاز دينه . وظلوا على ماهم عليه لم تزعزعهم الأعاصير صابرين محتسبين يقولون ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا فى أمرنا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فآتاهم الله السعادة فى الدنيا بالرضا والقناعة والعزة وحسن التوكل ورضى عنهم ورضوا عنه وذلك هو الفوز العظيم .

« يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين . بل الله مولاكم وهو خير الناصرين . سنلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا ومأواهم النار وبئس مثوى[1] الظالمين . ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم[2] باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم فى الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين اذ تصعدون ولا تلوون[3] على أحد والرسول يدعوكم فى أخراكم فأثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على مافاتكم ولا ما أصابكم والله خبير بما تعملون ١٤٩ ــ ١٥٣

عندما أشيع خبر موت النبى صلى الله عليه وسلم قال بعض المنافقين من لنا برسول الا ابن أبى يأخذ لنا أمانا عند ابى سفيان .

---

(١) مكان للاقامة الدائمة
(٢) تقتلونهم
(٣) لا تلتفتون

وكان ابو سفيان ينادى : العـــزى لنا ولا عـزى لكم فنزلت الآية « يا أيها الذين آمنـوا » ان تطيعـوا الكفرين كأبى سـفيان وابن أبى ومن معهما يردوكم بعد ايمانكم كافرين ، فتذلوا بعد عز ويتحكم العدو فيكم ويحرمكم من السعادة والملك الذى أخبر عنه الله سبحانه فى قوله : •

« وعـد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا » أما خسران الآخرة فعذاب شديد **يوم القيامة فالله مولاكم والذين كفروا لا مولى لهم »** • ولله العـزة ولرسوله وللمؤمنين • ذلك بأن الله مولى الذين آمنـوا وان الكافرين لا مولى لهم • وسنلقى فى قلوبهم الرعب بما أشركوا وقولهم انا وجدنا آباءنا على أمة فكلما رأوكم متمسكين بدينكم كان ذلك أدعى الى القاء الرعب فى قلوبهم ومأواهم النار وبئس القرار •

« ولقد صدقكم الله وعده » لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة يوم أحد وقد أصابهم ما أصابهم • قال ناس من أين أصابنا هذا وقد وعدنا الله تعالى النصر فأنزل الله **« ولقد صـدقكم الله وعده »** • نعم لقد وفى الله لكم وعده • ونصر عبده • وأعز جنده • وهزم المشركين وحده وقت أن أخذتم تقتلونهم قتـلا ، وتفتكون بهم فتكا ، حتى ضعف كلا الفريقين وتنازعتم فى الأمر وقال قائل منـكم فيما وقوفنا وقد انهزم المشركون ؟ وقال بعضكم لا نخالف أمر الرسول أبدا • وما ثبت مكانه الا عبد الله بن جبير فى نفر قليل من أصحابه وكان ماكان من أمر انهزامكم بأحـد • منكم من يريد الدنيا وتركوا أماكنهم طلبا للغنيمة ومنكم من يريد الآخرة وهم الذين ثبتوا ولم يخالفوا أمر الرسول • ثم صرفكم عنهم وردكم بالهزيمة ليمتحن ايمانكم فيظهـر الصادقون من المنافقين ولقد عفا الله عنكم بهذا الابتلاء الذى محا أثر الذنب من نفوسكم وتاب عليكم لما ندمتم على ما فرط منكم • ورب ضـارة نافعـة •

« ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا يغشى طائفة منـكم وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الأمر من شىء قل ان الأمـر كله لله يخفـون فى أنفسـهم

مالا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا قل لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم وليبتلى الله ما فى صدوركم وليمحص ما فى قلوبكم والله عليم بذات الصدور • ان الذين تولوا منـــكم يوم التقى الجمعان انمـــا[1] استزلهم الشـــيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم ان الله غفور حليم » ١٥٤ ـــ ١٥٥

ثم أنزل الله رحمته عليكم بالنعاس حتى كان يسقط السيف من أحدكم وهو لا يشعر • والنعاس فى مثل تلك الحال دليل على الأمان وحد فاصل بين الأمن والخوف •

وقد غشى النعاس الصادقين فى ايمانهم الملتفين حول رســـولهم وملأ قلوب من أهمتهم أنفسهم وشغلتهم دنياهم هما ورعبـــا • لأنهم لا يحرصون الا على منفعتهم الشخصية لعدم وثوقهم بنصر الله • أولئك هم المنافقون الذين يظنون بالله ظن الجاهلية •

يقولون بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم • فيسألون الرســـول صلى الله عليه وسلم هل لنا فى النصر نصيب ؟

فقل لهم يا محمد ان النصر من عند الله **(كتب الله لأغلبن أنا ورسلى) (وان جندنا لهم الغالبون)** • ولا غرابة فهم المنافقون المخادعون الذين يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا • وأن الهزيمة دليل على أن محمدا ليس نبيا ولا رسولا • وربطوا بين النصر والنبوة • وختم الله على قلوبهم ففعلوا ونسوا أن الأعمار بيد الله وأن من كتب عليـــه القتل لابد من خروجه لينفذ أمر الله **(قل لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم)** وان الحذر لا يمنع القدر • والأمر كله لله •

وقد فعل ذلك ليختبر الله ما فى صدوركم من الاخلاص والايمان وهو الذى لا يخفى عليه شيء فى الأرض ولا فى السماء وهو الغنى عن

---

(١) أوقعهم فى الزلل

الابتلاء والاختبار ولكنه يفعل ذلك • لينكشف حال الناس بعضهم لبعض، فلا ينخدع الانسان بظواهر الأمور •

ان الذين وسوس لهم الشيطان بمخالفة أمر الرسـول صلى الله عليه وسلم حرموا التأييد وتقـوية القلوب • بسـبب بعض أفعالهم السابقة فان الذنب الذى يفعله الانسان يترك نكته سوداء فيرتكز عليها الشيطان ليصل بها الى قلب الانسان ويزين له السوء • فاذا رجعوا الى ربهم وتابوا اليه وأنابوا • غفر لهم ذنوبهم انه كان غفورا رحيما •

« يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم اذا ضربوا[1] فى الأرض أو كانوا غزى[2] لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة فى قلوبهم والله يحيى ويميت والله بما تعملون بصير ولئن قتلتم فى سبيل الله أو متم لمغفـرة من الله ورحمة خـير مما يجمعون • ولئن متم أو قتلتم لالى الله تحشرون » ١٥٦ ــ ١٥٨

يا أتباع محمد يا من آمنتم بالله ورسوله • لا تكونوا كالمنافقين الذين يقولون فى حق اخوانهم الذين يسافرون للتجارة أو للجهاد فى سبيل الله فينقضى أجلهم بالموت أو القتل • لو كانوا معنا ولم يخرجوا للتجارة ، أو للجهاد • ما ماتوا وما قتلوا • ونسى هؤلاء المنافقون أن السفر للتجارة أو للحرب ليس سببا فى الموت **(وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا)** •

واذا لـم يكـن مـن المـوت بـد
فمـن العـار أن تمـوت جبـانا

فيا أتباع محمد لا تكونوا كالكافرين والمنافقين • بل خالفوهم •

ولست أبـالى حـين أقتـل مسـلما
عـلى أى جنب كـان فى الله مصرعـى

(١) سافروا للجهاد او للتجارة
(٢) غـزاة

(ولئن قتلتم فى سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمـة خير مما يجمعون) ٠

وان من يقتلون فى سـبيل الله أحياء عنـد ربهم يرزقون ، وان مصيرنا بعد القتل أو الموت ٠ الى الله حتما ٠ فيحاسبنا على ما قدمنا ٠ فاما جنات عرضها السموات والأرض ٠ أو جهنم وساءت مصيرا ٠ اللهم **نجنا من شرها انك على كل شىء قدير ٠**

« فبما رحمة من الله لنت لهمولو كنت فظـا[1] غليظ[2] القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين ، ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعـده وعلى الله فليتوكل المؤمنون ، وما كان لنبى أن يغل[3] ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون ، أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسـخط من الله ومأواه جهنم وبئس المصير ، هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون ، لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسـولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم[4] ويعلمهـم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين » ١٥٩ ــ ١٦٤

يخاطب الله تعالى رسوله ممتنا عليه وعلى المؤمنين بما ألان به قلبه على أمته بقوله (فبما رحمـة من الله لنت لهم) فبرحمـة الله وهدايته كنت سهلا فى معاملتهم لينافى هدايتهم وقبول أعذارهم فيمـا فرط منهم ولقد كان الرسول مثلا أعلى للرئيس الحكيم والزعيم الموفق٠ ولو كنت ــ لا قدر الله ــ سيىء الخلق ٠ جافى القلب ما التفـوا حولك وما تعلقت قلوبهم بك وأنت الذى قال ربك فى حقك (وانك لعلى خلق عظيم) ٠ فاعف عنهم وتجاوز عما بدر منهم واطلب لهم المغفرة وشاورهم

---

(١) كريه الخلق خشن الجانب جافيا فى المعاشرة قولا وفعلا
(٢) قاسيا لا يتأثر بشىء
(٣) يخون فى الغنائم
(٤) يطهرهم

فى أمر الحرب والســلم ، وفى أمر الدين الذى لم ينزل فيــه وحى ، للاستظهار بآرائهم ولتطيب قلوبهم ولتستن بك أمتك فى ذلك • روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : (أما ان الله ورسوله لغنيان عنهما ولكن جعلها الله تعالى رحمة لأمتى فمن استشار منهم لم يعدم رشدا ومن تركها لم يعدم غيا) • وقد درج الأئمة الراشدون على هذه السنة من بعده عليه السلام •

هذه السنة التى هى من أعظم وأهم عزائم الأحكام فى الاسلام • وانما كانوا يستشيرون الأمناء الصالحين من أهل العلم والدين •

فسر على بركة الله واعتمد عليه وحده فان الانسان مهما بعد نظره وحصف رأيه لا يرى من حجاب الغيب شيئا •

ففوض أمرك اليه فان بيده مقاليد الأمور كلها ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، وان هناك قوة فوق كل قوة • وارادة فوق كل ارادة وهذا لا يتنافى مع الأخذ بالأسباب • ومنها الشورى كما يتضح من هــذه الآية وأنه تعالى هو الذى خلق الأسباب والمسببات • وربط بينهمــا رباطا عاديا وجعلها من سننه الكونية • فترك الأخذ بها جهل • وترك التوكل عليه زندقة • والله يحب المتوكلين • وان ينصركم الله فليس هناك قوة فى الأرض تنتصر عليكم •

(ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) وان يخذلكم فليس هناك من يتمكن من نصركم لأنه لا ناصر ولا معين سواه • وعلى الله فليتوكل المؤمنون • وما كان لنبى أن يخون فى الغنائم لأن الله قد عصم الأنبياء ورفع درجاتهم عن سفاسف الأمور والمراد تنزيه النبى صلى الله عليه وسلم مما اتهمه به بعض المنافقين يوم بدر ، وكذا نهى أمة محمد صلى الله عليه وسلم عن الخيانة فى الغنائم ، وأن من يأخذ شيئا فى الدنيا بغير حق يأتى يوم القيامة وقد تمثل له كأنه حاضر أمامه يعرفه ولا ينكره يشهد عليه وعلى عمله (يا بنى انها ان تك مثقــال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السموات أو فى الأرض يأت بها الله) ثم توفى كل نفس يوم القيامة ما فعلت من خير أو شر وبما أن الأمر كذلك فهل يعقل أن يسوى بين المحسن والمسىء • (أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون) •

ان كلا ممن اتبع رضوان الله بالطاعة من المؤمنين لهم درجات[1] عند ربهم يوم القيامة ، ومن باء بغضب من الله فانه سيكون فى الدرك الأسفل من النار وهى درجة المنافقين •

وقد أنعم الله على المؤمنين اذ أرسل اليهم رسولا من أنفسهم عربيا من جنسهم يعلمهم القرآن والحكمة ، ويزكيهم ، ويطهرهم من كل دنس ورجس •

فقد اهتدى به من العرب الجاهلين أمة لها نظام ، وحكم ، وسياسة وادارة ، حكمت أقوى الأمم ، وكان منهم الحكماء ، والقادة، والكتاب والعلماء فى جميع العلوم • والمعارف وقد كانوا قبل رسالته ودعوته فى ضلال مبين •

« أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى[1] هذا قل هو من عند أنفسكم أن الله على كل شىء قدير ، وما أصابكم يوم التقى الجمعان فباذن الله وليعلم المؤمنين ، وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا فى سبيل الله أو ادفعوا قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم هم للكفر يومئذ أقرب منهم للايمان يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم والله أعلم بما يكتمون ، الذين قالوا لاخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا قل فادرءوا [2] عن أنفسكم الموت أن كنتم صادقين » •

١٦٥ — ١٦٨

« أو لما اصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى[1] هذا ؟ فقل لهم هو من عند أنفسكم ان الله على كل شىء قدير •

أفعلتم ما فعلتم وفشلتم وتنازعتم وعصيتم أمر رسولكم ولما أصابتكم مصيبة فى أحد • قد أصاب المشركين ضعفاها يوم بدر وذلك أنهم قتل منهم فى أحد سبعون وسبق أن قتل المسلمون يوم بدر من

---

(١) منازل

(٢) كيف هذا

(٣) فادفعوا عن انفسكم

المشركين سبعين وأسروا سبعين • قلتم أيها المنافقون حين هزيمة أحد: من أين لنا هذه المصائب ظنا منكم أن النصر دائما للمسلمين مهما خالفوا •

وهناك كثير من المسلمين يظنون أن النصر لابد أن يكون حليف المسلمين ولو خالفوا الله وعصوا رسوله • فالله ينكر عليهم تعجبهم قائلا : ان كنتم هزمتم فى أحد فقد هزمتموهم فى بدر ، وكنتم أنتم سببا فى هزيمتكم يوم أحد • ولله فى ذلك حكمة يعلمها فان كل شىء خاضع لحكمته وارادته وقد حصل هذا ليعلم الله المؤمنين وليميزهم عن غيرهم ليتحقق نفاق المنافقين •

فقد قيل للمنافقين تعالوا نقاتل فى سبيل الله ونجاهد دفاعا عن الحق والعدل والأهل والنفس والوطن لأن الهزيمة لسكان المدينة ضياع لكرامتها • فما كان منهم الا أن قعدوا وتكاسلوا وقالوا لو أنكم ذاهبون لقتال لذهبنا معكم ولكنكم ذاهبون لهلاك محقق • فلن نذهب معكم فهم للكفر أقرب منهم للايمان وقد أظهرهم الله على حقيقتهم (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون) •

فأولئك يقولون بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم وهم يتمنون الهزيمة والزوال للمسلمين • ألا يعلم هؤلاء الجبناء أن كثيرا ممن ذهب الى القتال ينجو ومن يتخلف يموت • قل فادفعوا عن أنفسكم الموت ان كنتم صادقين •

« ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون ، فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين ، الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم ، الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ، فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم ، انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين »•

١٦٩ ـ ١٧٥

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال صلى الله عليه وسلم (الشهداء على بارق نهر بباب الجنة فيه قبة خضراء يخرج اليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشية) •

فلا تحسبن أيها السامع قول المنافقين أن الذين جاهـدوا فى سبيل الله وقاتلوا وقتلوا أمواتا لا يبعثون ولا يجـازون على أموالهم التى قدموها • لا • بل هم أحيـاء بعد استشهادهم مكرمون عنـد ربهم مسرورون باخوانهم المجاهدين الذين لم يحظوا بعد بشرف الاستشهاد منعمون بما أعد لهم من الجزاء الأوفى والحياة الأبدية • هؤلاء لا خوف عليهم ولا هم يحزنون • وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين • والمراد بهم المجاهدون الذين لم يستشهدوا بعد وقد وصـفهم الله بقوله **(الذين استجابوا لله وللرسول)** من بعد ما أصابهم من الجراح والألم الشديد فى غزوة أحد • ولبوا نداء رسول الله لمـا طلبهم للقاء أبى سفيان فى غزوة حمراء الأسد وهى غزوة متصلة بأحد • للذين أحسنوا منهم واتقنوا العمل واتقوا عاقبة تقصيرهم فى العمل وخافوا الله زيادة على ماهم عليه من الألم • أولئك لهم أجر عظيم يتناسب مع عملهم وجهودهم • الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فلا تخرجوا فزادهم ذلك يقينا وثقة فى دينهم لخوفهم من ربهم وعدم اكتراثهم بالناس ، واعتمادهم على الله مع قلة عددهم •

(ولمـا رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله • وما زادهم الا ايمانا وتسليما) •

وقالوا كافينا ربنا القادر على كل شىء وهـو نعم المولى ونعم النصير وحسبنا الله ونعم الوكيل •

فلمـا فوضـوا أمرهم لله واعتمدوا عليه بقلوبهم صرف عنهم السوء ، ومن عليهم بالتثبيت ، وزيادة الايمان والتوفيق • فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء ، فكانت هذه النعمة ، وذلك الفضل حسرة وندامة فى قلوب المتخلفين •

« ولا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر انهم لن يضروا الله شيئا يريد الله الا يجعل لهم حظا فى الآخرة ولهم عذاب عظيم • ان الذين

اشـــتروا الكفر بالايمان لن يضروا الله شيئا ولهم عـــذاب أليم • ولا يحسبن الذين كفروا انما نملى[1] لهـم خير لأنفسـهم انما نملى لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب مهين • ما كان الله ليذر[2] المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلعـكم على الغيب ولكن الله يجتبى[3] من رسله من يشـاء فآمنوا بالله ورسـله ، وان تؤمنوا وتتقوا فلكم أجـر عظيم ، ولا يحسبن الذين يبخلون بمـا آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ولله ميراث السموات والأرض والله بما تعملون خبير »

١٧٦ — ١٨٠

ولا يحزنك يا محمد الذين يسارعون فى نصرة الكفر ويبذلون المال والرجال لنصرته • فانهم لا يحاربونك انما يحاربون الله القوى القدير وأنهم لن يضروا الله شيئا • ولن يضروا الا أنفسـهم • ولن ينالوا حزب الله بأذى لأن الله ناصرهم ومؤيدهم (**يريد الله أن لا يجعل لهم حظا فى الآخرة ولهم عذاب أليم**) فهـؤلاء سـبقت ارادة الله أن لا يكون لهم نصيب فى الآخرة من الثواب لأن طبيعتهم قد فسدت ولهم عذاب فى الدنيا والآخرة لنصرتهم للكفر وهذا جزاء كل من اختـار الكفر على الايمان ظنا منه أنه كسب فى هذا الاستبدال • ولكن لا يحيق المكر السيىء الا بأهله (**ولا يحسـبن الذين كفروا انمـا نملى لهم**) لا يظن الذين كفروا أن امهالنا لهم خير • وانما الأمهال خير اذا استغله صاحبه فى الخير ولكن هؤلاء كانوا يزدادون اثما ويتعمقون فى الباطل والبهتان ولهم عذاب مهين • انما نملى لهم ليتوبوا ويقلعوا عما هم فيه ولكن جرى فى علم الله أن بعضهم لن يعود للخير •

وما كان الله ليترك المؤمنين على حالهم فلا يميز المؤمن الصادق من المنافقين لأن هذا يضر بجماعة المسلمين • ولذا فقد اختبرهم وابتلاهم وامتحنهم بالشدائد والمصائب (**ولنبلونكم حتى نعلم المجـاهدين منكم والصابرين**) •

---

(١) نمهل
(٢) ليترك
(٣) يختـار

وما كان الله ليعلمكم حقيقة أنفسكم بطريق الغيب ولـكنه خلق الانسان وهداه النجدين أى عرفه الطريقين • وترك له المشـيئة فى اختيار أحسنهما فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر وهذه سنة الله فى خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا • ولكن يختار الله من يشاء من رسله فهو أعلم حيث يجعل رسالته • عالم الغيب والشهادة فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول • فالرسول يطلعه الله على بعض الغيب وان تؤمنوا بذلك وتتقوا فلكم أجر عظيم وثواب جزيل • فلا يحسبن البخيل أن جمعه للمال ينفعه ، بل هو مضرة على دينه ودنياه •

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال صلى الله عليه وسلم : (من أتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له شجاعا[1] أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة يأخـذ بهلمزتيه أى بشـدقيه يقول أنا مالك أنا كنزك) •

ثم تلا هذه الآية « ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ولله ميراث السموات والأرض والله بما تعملون خبير » •

« لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق ونقول ذوقوا عـذاب الحريق ، ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد ، الذين قالوا ان الله عهد الينا ألا نؤمن لرسـول حتى يأتينا بقربان تأكله النار قل قـد جاءكم رسل من قبلى بالبينات وبالذى قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين ، فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاءوا بالبينات والزبر والـكتاب المنير » •• ١٨١ — ١٨٤

---

(١) ثعبانا

لما نزل قوله تعالى (**من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة**) قالت اليهود • افتقر ربك فسأل عباده القرض ؟ فأنزل الله تعالى (**لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا**) • تهديد من الله ووعيد لهم • ولذا قرنه بقوله تعالى (**وقتلهم الأنبياء بغير حق**) هذه معاملتهم لرسل الله • وسيعذبهم الله أشد العذاب ويقول لهم ذوقوا عذاب الحريق بما كسبت أيديكم وان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون •

يقولون ان الله عهد الينا ألا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار • فقل قد جاءتكم الرسل من قبلى بالحجج والبراهين • وبما طلبتم من القربان الذى تأكله النار • فلم كذبتموهم وخالفتموهم • وقتلتموهم ان كنتم صادقين فى قولكم انكم تتبعون الحق وتنقادون للرسل • فان كذبوك يا محمد فلا يوهنك تكذيبهم لك • فلك أسوة فيمن كانوا قبلك من الرسل جاءوا بالبراهين القاطعة والكتب المتلقاة من السماء كالصحف المنزلة على المرسلين والكتاب الواضح المبين •

« كل نفس ذائقة الموت وانما توفون[1] أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور ، لتبلون فى أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الأمور » • ١٨٥ — ١٨٦

يخبر الله تعالى أن كل حى الى ممات وكل شىء هالك الا وجهه له الملك فستفنى الجن والانس والملائكة وحملة العرش وينفرد سبحانه وتعالى بالبقاء وتكون الدنيا كما كانت أولا وتقوم الساعة ، ويجازى كل بما عمل ، ان خيرا فخير وان شرا فشر ، فمن عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد وتوفى كل نفس بما كسبت •

---

(١) تعطون الأجور وافية

لـما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاءت التعزية • جاءهم آت يسمعونه ولا يرون شخصه فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أهل البيت (كل نفس ذائقة الموت وانما توفون أجوركم يوم القيامة) ان فى الله عزاء من كل مصيبة وخلفا من كل هالك • ودركا من كل فائت فبالله فثقوا واياه فارجو ، فان المصاب من حرم الثواب والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته • وقال على بن أبى طالب : أتدرون من هذا ؟ الخضر عليه السلام •

فيا أيها الخلق ، من أبعد عن النار وأدخل الجنة فان هذا لهو الفوز العظيم • وقد ثبت فى الصحيحين عن سهل بن سعد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لموضع سوط أحدكم فى الجنة خير من الدنيا وما فيها) ثم تلا الآية (فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور) فما هذه الحياة الا صغيرة دنيئة قليلة فانية زائلة • وما أوتيتم من شىء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها • وما عند الله خير وأبقى • وقد قال صلى الله عليه وسـلم : (والله ما الدنيا فى الآخرة الا كما يغمس أحدكم أصبعه فى اليم فلينظر بمـا يرجع اليه) •

والله لتختبرن وتمتحنن فى أموالكم وأنفسكم وأولادكم ويبتلى كل على قدر دينه ، فأشد الناس بلاء الأنبياء ثـم الأمثل فالأمثل وان فى هذا تسليم من الله لرسوله فى الحرب والسلم • ليوطن المؤمنون أنفسهم على تحمل البلاء والابتلاء فى سبيل الله بالبذل بالمال والنفس والدفاع بالجهاد • وسينالكم من الذين أوتوا الكتاب من اليهود والنصارى طعنا فى دينكم وكل من قام بحق أو أمر بمعروف أو نهى عن منكر فلا بد من أن يتعرض لأنواع السب والتعذيب وليس لهذا الداء العضال من علاج سوى الصبر والتقوى • وان تصبروا وتتقوا يؤتكم أجرين من رحمته وذلك هو الفوز العظيم •

« ربنا اننا سمعنا مناديا ينادى للايمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار ، ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسـلك ولا تخزنا يوم القيامة انك لا تخلف الميعـاد ، فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منـكم من ذكر أو أنثى

بعضكم من بعض فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا فى سبيلى وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجرى من تحتها الأنهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب » •

١٩٣ — ١٩٥

حينما سمعوا نداء الرسل الكرام قالوا ربنا اننا سمعنا رسولا ينادى للايمان بك • فآمنا وصدقنا وأسرعنا للايمان برسالته وكتابه المنزل عليه • ولما استقر الايمان فى قلوبهم شعروا بالخوف مما سبق من اقترافهم للذنوب والسيئات والهفوات • فقالوا ربنا اغفر لنا ما فرطنا وقصرنا واحشرنا مع الأطهار من عبادك المخلصين • ربنا وأعطنا ما وعدتنا من حسن الجزاء ولا تفضحنا وتهتك سترنا يوم القيامة • يوم تكشف السرائر والحجب والستائر انك لا تخلف الميعاد• فاستجاب لهم ربهم أنى أجازى كلا بما عمل جزاء كاملا غير منقوص سواء كان ذكرا أم أنثى لا فرق بينهما ولكن عدل شامل والجزاء باعتبار العمل لا باعتبار شىء آخر •

فالذين تركوا ديارهم وأموالهم وأولادهم ارضاء لله ورسوله أو أخرجوا منها عنوة واقتدارا ونالهم الأذى فى سبيلى وابتغاء مرضاتى • وجاهدوا وقتلوا • لأكفرن عنهم ما اقترفوا من السيئات ولأدخلنهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك هو الفوز العظيم •

لا يغرنك الذين يسيحون فى الأرض طلبا للتجارة والكسب وما هم فيه من رغد العيش فانه نعيم زائل ومأواهم جهنم وبئس المهاد • وماعند الله خير للأبرار • الذين فعلوا البر وأخلصوا فيه • لهم جنات المأوى تجرى من تحتها الأنهار أكلها دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا • وعقبى الكافرين النار • وان ما عند الله هو الخير كل الخير للذين فعلوا البر وأخلصوا فيه •

« يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصـــابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون » ٠   ٢٠٠

يا أيها الذين آمنوا اصبروا على المصائب فلا تجزعوا وعلى الطاعات فلا تضجروا • وعن المعاصى فلا تشتهوا ، وغالبوا الأعداء فى الصبر على الشدائد اثناء الحرب ولا تكونوا أضعف منهم فيكونوا أشد منكم صبرا ، وأقيموا فى الثغور رابطين خيلكم فيها متربصـــين مترصدين للعدو مستعدين للغزو أكثر من استعداد أعدائكم • والمراد الحث على مداومة الجهاد فى سبيل الله اذ هو ســـبيل الفلاح والنجاح والله أعلم •

آيات الجهاد

فى سورة النساء

بسم الله الرحمن الرحيم

« يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم[1] فانفروا ثبات أو انفروا[2] جميعا • وان منكم لمن ليبطئن[3] فان أصابتكم مصيبة قال قد أنعم الله على اذ لم أكن معهم شهيدا • ولئن أصابكم فضل من الله ليقولن كأن لم تكن بينكم وبينه مودة ياليتنى كنت معهم فأفوز فوزا عظيما • فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون[4] الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما • ومالكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا • الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت[5] فقاتلوا أولياء الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفا » ٧١ — ٧٦

يا أيها الذين آمنوا خذوا حيطتكم وكونوا يقظين متنبهين لعدوكم وكونوا دائما على استعداد ، حتى لا يأخذكم العدو على غرة • واخرجوا لقتال عدوكم واعلنوا التعبئة العامة ، واخرجوا اليه مستعدين مجتمعين • ولابد من تنظيم الأمة عسكريا وتعليم شبابها فنون الحرب حتى اذا دعا داعى الوطن وجدنا الجميع يحمل السلاح• أما الجبهة الداخلية فلا تخلو أمة من الأمم من الجبناء والمنافقين الذين

---

(١) كونوا يقظين
(٢) اخرجوا للحرب
(٣) ليتخلفن
(٤) يبيعون
(٥) الطغيان

يثبطون الهمم ويقعدون عن الجهاد لكثرة حبهم فى الدنيا فاعرفوهم وعالجوا ضعفهم فان منهم من يثبط غيره ويقعده عن الجهاد .

فان أصابتكم مصيبة قال . لقد أنعم الله على ونجانى . اذ لو كنت معهم لأصابنى ما أصابهم من القتل . وان اصابكم من الله نصر فان المنافق يتمنى لو كان معكم فى القتال ويأسف ويتحسر لتخلفه . لا لمحبة فى قلبه تحمله على المشاركة فى الجهاد والبلاء . ولكن لمجرد أنه سيحرم من الغنيمة . فليقاتل فى سبيل الله المؤمنون الذين يبيعون الحياة الفانية بنعيمها الزائل ويختارون الآخرة وثوابها على الدنيا وما فيها من نعيم زائل .

ومن قاتل فى سبيل الله مقبلا غير مدبر فيقتل أو يغلب فسوف يجزيه الله أجرا عظيما « فان مثل المجاهد فى سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله لا يفتر عن صلاة ولا صيام حتى يرجع المجاهد فى سبيل الله « وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال » . تحريض من الله تعالى لعباده المؤمنين على الجهاد فى سبيله والسعى لانقاذ المستضعفين من الرجال والنساء والصبيان الذين يقولون ربنا سخر لنا من عندك وليا ناصرا وأخرجنا من هذه البلدة (مكة) الظالم أهلها .

ان الذين يقاتلون فى سبيل الله يرجون تجارة لن تبور ان الله تعالى اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا يا من بعتم أنفسكم ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم وأما الذين كفروا فانما يحاربون الله ويحاربون فى سبيل الشيطان ارضاء له وطاعة . ثم هيج الله المؤمنين على قتال أعدائه واحباء الشيطان وخلصائه ان الشيطان وأولياءه ليس لهم على المؤمنين سلطان وان كيد الشيطان كان ضعيفا .

« ألم تر الى الذين قيل لهم كفوا[1] أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس

---

(1) ردوا أيديكم عنهم ولا تقاتلوهم

كخشية الله أو أشد خشية وقالوا ربنا لما كتبت علينا القتال لولا أخرتنا الى أجل قريب قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا[1] • أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهــون حديثا • ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك وأرسلناك للناس رسولا وكفى بالله شهيدا » ٧٧ — ٧٩

كان المؤمنون فىابتداء الاسلام مأمورين بالصلاة والزكاة ومواساة الفقراء منهم • وبالصفح عن المشركين والصبر الى حين • وكانوا يودون لو أمروا بالقتال ليشفوا صدورهم من عدوهم • ولقلة عددهم• وكثرة عدوهم ولكونهم فى البلد الحرام وهى أشرف بلاد الله فىالأرض وكان الرسول ينهاهم عن القتال لأنه لم يؤمر به • فلما فرض القتــال بالمدينــة وقد هاجروا اليهــا جزع بعضهم منه وخافوا العدو خــوفا شديدا وكانوا يخافونه كخوفهم من ربهم أو أشد خــوفا • وكانوا يقولون ربنا لولا أخرت فرض القتال الى مدة أخرى فان فيه ســفكا للدماء ويتما للأولاد • وتأيما للنساء •

فقل لهم يا محمــد ان متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى فانها نعيم دائم ولا تظلمون مقدار ما يكون فى شق النواة ولا تنقصون أدنى شىء من أجوركم على الجهاد ومالدنيا كلها أولها وآخرها الا كرجل نام نومة فرأى فى منامه بعض ما يحب ثم انتبه •

« أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة » فيامن تتمسكون بهذه الفانية وتخشون الناس كخشية ربكم أو أكثر انكم صائرون الى الموت لا محالة ولن ينجو منه أحد منكم وكل نفس ذائقة الموت والكل الى فناء وسواء من جاهد ومن لم يجاهد فان الأجل محتــوم •

---

(١) وهو ما يكون فى سن النواة .

ومن هـــاب أســــباب المنـــايا ينلنـــه

ولـــو رام أســـــباب الســـماء بســـلم

فمهما شيدتم من قصور وحصون وقلاع فأنتم الى الموت صائرون فاغتنموا منها لآخرتكم .

ولا خـير فى الدنيـــا لمـــن لـم يـــكن لـه

مــن الله فى دار المقــــام نصـــــيب

وان تعجب الدنيــــا رجــالا فانهــــا

متــــاع قليــــل والـــزوال قـــريب

وان تصبهم حسنة من خصب ورزق وزرع وأولاد يقولـــوا هذه من عند الله ، وان أصابهم جدب أو ضرر فى أموالهم تشاءموا بمحمد وقالوا : لو لم نتبعه لمـــا أصابنا هذا البلاء ، فيرد الله عليهم . « قل كل من الله » فالكل بقضاء الله وقدره . فقضـــاء الله نافذ فى البر والفـــاجر .

وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « والذى نفسى بيده لا يصيب المـــؤمن هم ولا حزن ولا نصب حتى الشـــوكة يشاكها الا كفر الله عنه بهـــا خطاياه » فما لهؤلاء القـــوم لا يكادون يفقهون حديثـــا .

ولقد أرسلناك للناس يا محمد لتبلغهم شرع الله وما يحبـــه ويرضاه ، وما يكرهه ويأباه ، وهو شهيد بينك وبينهم وعالم لما تبلغهم اياه ، وبما يردون عليك من الكفر والضلال والعناد .

« فقاتل فى سبيل الله لا تكلف الا نفسك وحرض المؤمنين عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا والله أشد بأسا[1] وأشد تنكيلا » .

٨٤

(١) الشدة فى الحرب أو العذاب

أمر من الله تعالى لعبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم أن يباشر القتال بنفسه ومن ابتعد عنه فلا عليه منه • وان الذين يقولون لم كتبت علينا القتال ويخافون الناس أكثر من خوفهم من خالقهم فدعهم فالله مجازيهم على أفعالهم وليس عليك سوى أن تحرضهم على القتال وتحثهم عليه « وما عليك الا البلاغ » والله ناصرك على الأعداء سواء كنت وحدك أو معك الألوف فالله أشد بأسا وأشد تنكيلا • « ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلوبعضكم ببعض » •

« فمالكم فى المنافقين فئتين والله أركسهم[1] بما كسبوا أتريدون أن تهدوا من أضل الله ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا • ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا فى سبيل الله فان تولوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ولاتتخذوا منهم وليا ولا نصيرا • الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق أو جاءوكم حصرت[2] صدورهم أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم ولوشاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا • ستجدون آخـرين يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم كل ما ردوا الى الفتنة أركسوا فيهـا فان لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم ويكفوا أيديهم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم[3] وأولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا » ٨٨ — ٩١

لقد كان بمكة قوم تكلموا بالاسلام ولكنهـم كانوا يظـاهرون المشركين فخرجوا من مكة يطلبون حاجة لهم فقالوا ان لقينا أصحاب محمد فلا ضرر علينا منهم • ولما عرف المؤمنون بخروجهم من مكة قال بعضهم هيا بنا الى هؤلاء الجبناء فنقتلهم فانهم يظاهرون علينا عدونا• وقالت طائفة أخرى من المؤمنين : سبحان الله • أتقتلون قوما تكلموا بمثـل ما تكلمتم به لأنهـم لم يهـاجروا ولم يتركوا ديارهـم • وتستحلون دماءهم وأموالهم ؟ فكان المؤمنون على هذه الحال فرقتين والرسول لا ينهى أحدا منهم فنزلت الآية •

---

(١) اهلكهم او اضلهم
(٢) ضاقت صدورهم بما هم فلا هم لكم ولا عليكم
(٣) وجدتموهم

لماذا تنقسمون فى شأن المنافقين • والله قد أهلكهم وأضـــلهم بسبب عصيانهم ، واتباعهم الباطل ومخالفتهم أمر الرسول فانهم ليس لهم طريق الى الهدى فان الله أضلهم وأعمى أبصارهم ، « فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور » •

فماداموا على هذه الحال من النفاق فاقتلوهم حيث وجدتموهم ولا توالوهم ولا تستنصروا بهم على أعداء الله الا من لجأ منهم الى قوم بينكم وبينهم عهد وميثاق • فان من يصل اليهم فهو على عهدهم وفى حمايتهم •

أو اذا جاءكم قوم آخرون يبغضون قتالكم وفى نفس الـــوقت لا يريدون أن يقاتلوا قومهم معكم فلا هم لكم ولاهم عليكم ، وكان من لطف الله بكم أن كفهم عنكم فان سالموكم وألقوا اليكم السلام فلا تقاتلوهم ماداموا مسالمين • وستقبلون صنفا آخر يظهرون لكم بألسنتهم ماليس فى قلوبهم ليأمنوا على دمائهم وأموالهم وأولادهـــم وفى نفس الوقت هم مع الكفار عليكم • يعبدون الأصنام ، واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم من الكافرين قالوا انا معكم انما نحن مستهزئون فهؤلاء القوم ان لم يعتزلوكم ، ويسالموكم ، ويردوا كيدهم عنـــكم • فاقتلوهم أينما وجدتموهم وهم أشد خطـــرا عليكم من المشركين • ولكننا قد جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا •

« يأيها الذين آمنوا اذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا فعنـــد الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا ان الله كان بما تعملون خبيرا • لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله بأموالهم وأنفســـهم فضـــل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما • درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفورا رحيما » ٩٤ — ٩٦

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : مر رجل من بنى سليم بنفر من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا لا يسلم علينا الا ليتعوذ

منا فعمدوا اليه فقتلوه وأتوا بغنمه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت الآية : « فيامن آمنتم بالله ورسوله تمهلوا فى الحكم على من يقابلكم فى سفركم فى سبيل الله وتحققوا من صحة ايمانه ولا تتعجلوا فلنا أن نحكم بالظواهر والبواطن يعلمها الله • أتريدون الغنيمة وعرض الدنيا الزائل ؟ ان ما عند الله أبقى •

فقد كنتم من قبل تحبون الدنيا وما فيها من نعيم زائل فمن الله عليكم وآتاكم ما أنتم فيه من خير • فتبينوا ان الله كان بما تعلمون خبـــيرا •

لا يستوى الذين لم يخرجوا للقتال يوم بدر لعذر أومن غير عذر ولا اذن لهم فى التخلف عن الجهاد غير أصحاب الأمراض والعلل التى لا سبيل معها الى الجهاد من عمى أو ضعف بدن أو عجز عن الأهبة فقد قال صلى الله عليه وسلم : «ان بالمدينة أقواما ما سرتم من مسيرة ولا أنفقتم من نفقة ولا قطعتم من واد الا وهم معكم فيه • قالوا وكيف يا رسول الله يكونون معنا فيه ؟ قال نعم حبسهم العذر » (لفظ أبى داود) •

وقد قال الشاعر :

ياراجلين الى البيت العتيق لقـــد	سرتم جسوما وسرنا نحن أرواحا
انا أقمنا على عـــذر وعن قـــدر	ومن أقام على عذر فقـــد راحا

والمجاهدون فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أفضل ممن أذن لهم فى التخلف وقد فضل الله المجاهدين على القاعدين درجة وكلا وعد الله الجنة والجزاء الجزيل • وقد كرر الله الفضل ثانية للمجـــاهدين على القاعدين من غير اذن من رسول الله أجرا عظيما درجات ما بين الدرجتين مائة عام ومن يرمى بسهم فله أجره درجة ومغفرة من الله ورحمـــة وكان الله غفورا رحيما • وقد ثبت فى الصحيحين عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان فى الجنة مائة درجـــة أعدها الله للمجاهدين فى سبيله ما بين كل درجتين كما بين الســـماء والأرض » •

« ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا • الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا • فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا • ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الأرض مراغما[1] كثيرا وسعة ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفورا رحيما » ٩٧ — ١٠٠

نزلت فى اناس أسلموا بمكة وكانوا يستخفون بالاسلام وتركوا الهجرة وخرجوا مع المشركين بغزوة بدر فماتوا وهم يحاربون على كره منهم • فمن رضى بالظلم ولم يهاجر وقبضت أرواحهم الملائكة فقالت لهم توبيخا : فى أى شىء كنتم من أمور دينكم ؟ قالوا كاذبين : كنـــا مستضعفين فى الأرض ، فلم نتمكن من اقامة الدين وواجباته • وهى حجة واهية ، فتقول لهم الملائكة : ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيهـــا •

فالواجب على المسلم أن يفر بدينه الى حيث يمكنه أن يقيم حدوده حسب أمر ربه •ولقداستثنى الله تعالىالمستضعفين من النساء والولدان الذين لا يستطيعون الهجرة وضاقت بهم الحيل فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم • أما الذين يهاجرون فى سبيل الله ويتحولون من أرض الى أرض ولو كانوا ضعفاء • فمن يهاجر منهم يجد فى أرض الله سعة فيها الخير كل الخير ، وفيها الرزق والعزة ، وهذا ترغيب ووعد صريح لمن يخشى أن يترك ماله وأهله فانه سيجد ما يعينه ، ومن هاجر فى سبيل الله وأدركه الموت قبل الوصول فأجره على الله •

عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «انما الأعمال بالنيات وانما لكل امرىء ما نوى • فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه » •

---

(١) تحولا من ارض الى ارض

وقد ثبت فى الصحيحين أن رجلا قتل تسعة وتسعين نفسا ثم أكمل ذلك العابد المائة ثم سـأل عالما هل له من توبة ؟ فقال له ومن يحول بينك وبين التوبة . ثم أرشده أن يتحول من بلدة الى بلدة أخرى يعبد الله فيها . فلما ارتحل من بلده مهاجرا الى البلد الأخرى أدركه الموت فى أثناء الطريق . فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائـكة العذاب . فقال هؤلاء انه جاء تائبا ،وقال هؤلاء انه لم يصل بعد فأمروا أن يقيسوا مابين الأرضين فالى أيهما كان أقرب فهو منها . فأمر الله هذه أن تقترب من هذه . وهذه أن تبتعد . فوجدوه أقرب الى الأرض التى هاجر اليها بشبر فقبضته ملائكة الرحمة .

« واذا ضربتم[1] فى الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة ان خفتم أن يفتنكم الذين كفروا ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا . واذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفـة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفـة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ولا جناح عليكم ان كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذركم ان الله أعد للكافرين عذابا مهينا . فاذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قيـاما وقعـودا وعلى جنوبكم فاذا اطمـأننتم فأقيموا الصلاة ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا . ولاتهنوا[2] فى ابتغاء القوم ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله مالا يرجون وكان الله عليما حكيما » ١٠١ — ١٠٤

عن يعلى بن أمية قال : سألت عمر بن الخطـاب قلت له . قوله تعالى (ليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة ان خفتم أن يفتنكم الذين كفروا) وقد آمن الناس . فقال عمر رضى الله عنه : عجبت مما عجبت منه . فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال : (صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته) .

---

(١) سافرتم
(٢) لا تضعفوا

فيأيها الذين آمنوا اذا سافرتم وسرتم فى الأرض مهاجرين أو محاربين أو لتجارة • فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة الرباعية فتكون ركعتين وذلك لما فى السفر من مشقة وحددت بمسافة السفر واحد وثمانون كيلو مترا ، ان كنتم تخافون الفتنة من الكفار بتعرضهم لكم بما تكرهون من القتال • فلا اثم عليكم اذا ما قصرتم الصلاة • ان الكافرين كانوا لكم عدوا ظاهرا فكونوا منهم على حذر سواء كنتم مقيمين أو على سفر •

واذا أقمت لهم الصلاة يا محمد وناديتهم بالآذان والاقامة فيجب أن يقسم الجيش طائفتين • فتأخذ كل طائفة منهم أسلحتهم حتى يكونوا مستعدين بعد الصلاة ويقيموا الصلاة معك • اذ ربما يهاجمهم العدو فيكونوا على استعداد • فعند السجود ليقم الذين يحرسون من ورائكم مستعدين فى اتجاه العدو متحفزين لمواجهته اذا ما فكر فى الاعتداء ، والظاهر أن المراد هنا بالسجود اتمام الصلاة •

فاذا أتمت الطائفة الأولى صلاتها وأنت واقف فى أول الركعة الثانية فلتأت الطائفة الثانية الحارسة وتقتدى بك وتأخذ حذرها وأسلحتها ولعل الحكمة فى الأمر بأخذ الحذر لها أن العدو قد يكون تنبه فى صلاة الطائفة الأولى • فمن الحكمة أن تحذر الثانية وتتنبه • ثم تصلى بها الركعة الثانية وتنتظرها فى جلوس التشهد الأخير حتى تقوم هى وتصلى الركعة الثانية لها ثم تسلم بهـا • وعلى هذا تحظى الطائفـة الأولى بالتكبير مع الامام والثانية بالتسليم معه •

والحكمة فى ذلك أن الكفار يحبون ويودون أن تغفلوا عن أسلحتكم وأمتعتكم ولو بانشغالكم فى الصلاة فينقضون عليكم ويميلون ميلة واحدة بالسلب والنهب ويريد الله لكم النصر فيعرفكم ويأمركم بالاستعداد والحذر •

ولا وزر عليكم اذا كان بكم مرض أو عذر أو مطر أن تضعوا أسلحتكم على أن تكونوا حذرين مستعدين لعدوكم • ولابد أن تعلموا أنه لن يتم لكم نصر الا اذا نصرتموه ودافعتم عن دينه وكتابه الذى نزل على رسوله •وقد أعد الله للكافرين عذابا أليما فى الدنيا والآخرة•

عن سماك الحنفى قال : سألت ابن عمر عن صلاة السفر فقال : ركعتان تمام غير قصر انما القصر فى صلاة المخافة فقلت وما صلاة المخافة ؟ فقال يصلى الامام ركعتين ولكل طائفة ركعة ركعة وتصح الصلاة بالايماء بالركوع والسجود الى أى جهة مترجلين أو راكبين •
ويأمر الله تعالى بكثرة الذكر عقب صلاة الخوف وان كان مشروعا مرغبا فيه أيضا بعد غيرها من الصلوات ولكنه مؤكد فيها لما فيها من التخفيف فى الأركان ومن الرخصة فى الذهاب والاياب • وغير ذلك مما لا يوجد فى غيرها • فاذا انتهيتم من الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم أى فى جميع أحوالكم ثم قال تعالى (فاذا اطمأننتم فأقيموا الصلاة) كاملة تامة كما أمرتم بحدودها من الخشوع والركوع والسجود (ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا) • (ولا تهنوا فى ابتغاء القوم) أى لا تضعفوا ولا تتوانوا فى طلب عدوكم بل جدوا فيهم وقاتلوهم واقعدوا لهم كل مرصد وكما يصيبكم جراح وقتل فانه يحصل لهم مثله (ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله) ثم قال تعالى (وترجون من الله مالا يرجون) فانكم واياهم سواء فيما يصيبكم من جراح وألم ولكنكم ترجون من الله المثوبة والنصر والتأييد كما وعدكم فى كتابه وعلى لسان نبيه صلى الله عليه وسلم وهو وعد حق وخبر صدق وهم لا يرجون شيئا من ذلك • فأنتم أولى بالجهاد منهم وأشد رغبة فيه وفى اقامة حدود الله واعلاء كلمته فانه أحكم وأعلم فيما يقدره وهو المحمود على كل حال •

آيات الجهاد

فى سورة المائدة

بسم الله الرحمن الرحيم

« يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة وجاهدوا فى سبيله لعلكم تفلحون • ان الذين كفروا لو أن لهم ما فى الأرض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم عذاب أليم • يريدون أن يخرجوا من النار وماهم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم » ٣٥ — ٣٧

يقول تعالى آمرا عباده المؤمنين بتقواه وهى اذا قرنت بطاعته كان المراد بها هو الكف عن المحارم وترك المنهيات • والتقرب اليه سبحانه وتعالى بالطاعة والعمل بما يرضيه • والوسيلة هى التى يتوسل بها الى تحصيل المقصود • وهى ايضا علم على أعلى منزلة فى الجنة وهى منزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وداره فى الجنة وهى أقرب أمكنة الجنة الى العرش •

وقد ثبت فى صحيح البخارى عن جابر رضى الله عنه قال : «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال حين يسمع النداء • اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة •وابعثه المقام المحمود الذى وعدته الا حلت له الشفاعة يوم القيامة » •

وفى حديث آخر فى صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول : (اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا على فانه من صلى على صلاة صلى الله عليه عشرا • ثم سلوا لى الوسيلة فانها منزلة فى الجنة لا تنبغى الا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو • فمن سأل لى الوسيلة حلت له الشفاعة » •

وقوله تعالى (وجاهدوا فى سبيل الله لعلكم تفلحون) بعد ما أمر الله المؤمنين بترك المحارم وفعل الطاعات أمرهم بقتال الأعـــداء من الكفار والمشركين الذين حادوا عن الطريق المستقيم ورغبهم فيما أعده للمجاهدين فى سبيله يوم القيامة من السعادة الخالدة التى لا تـــزول • وقد أخبر الله تعالى بما أعد لأعدائه الكفار من العذاب والنـــكال يوم القيامة ولو أن أحدهم جاء يوم القيامة بملء الأرض ذهبا ليفتدى نفسه من عذاب الله فلن يقبل منه ويتمنى لو خرج من النار لـــا هو فيه من شدة وعذاب أليم • ولكن لا سبيل للخلاص من عذاب الله • كلمـــا أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها) ولهم عذاب دائم مستمر لا خروج لهم منها •

عن أنس رضى الله عنه قال : قال صلى الله عليه وسلم (يؤتى الرجل من أهل النار فيقال له يا ابن آدم كيف وجدت مضجعك ؟ فيقول شر مضجع • فيقال هل تفتدى بقراب الأرض ذهبا قال : يقول نعـــم يارب فيقول الله تعالى له كذبت قد سألتك أقل من ذلك فلم تفعـــل فيؤمر به الى النار •

« يا أيها الذين آمنوا من يرتد[1] منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشـــاء والله واسع عليم » ٥٤

يخبرنا الله تعـــــالى عـــن قدرته • أنه من تولى عـــن نصرة دينه واقامة شريعته فانه سبحانه يستبدل به من هو خير منه لها وأشد وأقوم سبيلا (ان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم) وان أراد الله تعالى فناءكم ليأتى بغيركم فلن يعجزه ذلك وهـــو سهل يسير • وان من يرجع عن الحق الى الباطل يذهبه الله تعالى ويأتى بآخرين يحبهم ويحبونه ، يطيعون أوامره ويجتنبون نواهيه وهـــذه

---

(١) يتخلى عن صفات المؤمنين من حب لله وتواضع للمؤمنين وعزة على الكافرين ومجاهدة فى سبيل الله وعدم مجاملة لأحد على حساب الدين .

صفات المؤمنين الكاملة • أن يكون أحدهم متواضعا لأخيه عزيزا على خصمه وعدوه •

(يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم) أى لا يردهم عما هم فيه من طاعة الله وقتال الأعداء والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لا يردهم عن ذلك راد ولا يثبطهم عن عزمهم لوم لائم ولا عذل عاذل •

عن أبى ذر رضى الله عنه قال : أمرنى خليلى صلى الله عليـــه وسلم بسبع • أمرنى بحب المساكين والدنو منهم • وأمرنى أن أنظر الى من هو دونى ولا أنظر الى من هو فوقى •

وأمرنى أن أصل الرحم وان أدبرت • وأمرنى أن لا أسأل أحدا شيئا • وأمرنى أن أقول الحق ولو كان مرا • وأمرنى ألا أخاف فى الله لومة لائم • وأمرنى أن أكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله • فانهن من كنز تحت عرش الرحمن •

آيـات الجهـــاد

فى ســـــورة الأنفـــال

بسم الله الرحمن الرحيم

« كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقـا من المـؤمنين لكارهون • يجادلونك فى الحق بعد ما تبين كأنما يساقون الى الموت وهم ينظرون • واذ يعدكم الله احدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة[1] تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر[2] الكافرين • ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون » •

٥ — ٨

لما اختلفتم فى الغنائم وشحت نفوسكم بها قسمها الله الى قســمة وقسم رسوله صلى الله عليه وسلم فقسمها على العــدل والتســوية فكان هذا فى صالحكم • وأصلح الله بينكم وردكم الى حالة الرضـا والصــفاء •

وكذلك لما كرهتم وجادلتم فى خروجكم لملاقاة عدوكم وهم كاملو السلاح والقوة وهم الكفار الذين خرجوا لنصر دينهم واحراز عيرهم فكان عاقبة كراهتكم للقتال أن قــدره الله عليكم وجمع به بينــكم وبين عدوكم على غير ميعاد رشدا منه ونصرا • ولما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خروج النفير أوحى الله اليه يعده احدى الطائفتين أما العير واما النفير للمسلمين ورغب كثير من المسلمين فى العير لأنه كسب بلا قتال ، فقال تعالى « وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين •

---

(١) السلاح او حدته او القوة والشدة او النكاية فى العــدو
(٢) التــابع

ولكن يريد الله أن يجمع بينكم وبين عدوكم من الطائفة التى لها الشوكة والقتال ليظفركم بهم وينصركم عليهم ويظهر دينه ويرفع كلمة الاسلام ويجعله غالبا على جميع الأديان وهو أعلم بعواقب الأمور وهو الذى يدبركم بحسن تدبيره وان كان العباد يحبون خلاف ذلك. ولكن هذه ارادة الله سبحانه وتعالى ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون ولما شاور رسول الله صلى الله عليه وسلم وكرر القول فى ملاقاة العدو كأنه يريد الأنصار . قال سعد بن معاذ . والله لكأنك تريدنا يارسول الله ؟ قال أجل . فقال سعد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يارسول الله لما أمرك الله . فوالذى بعثك بالحق ان استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما يتخلف منا رجل واحد . وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا .

انا لصبر عند الحرب . صدق عند اللقاء . ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله فسر الرسول صلى الله عليه وسلم بقول سعد ونشطه ذلك . ثم قال سيروا على بركة الله . فقد وعدنى الله احدى الطائفتين . والله لكأنى أنظر الى مصارع القوم .

وقد أراد الله لهم وللاسلام ماهو خير فمكنهم من عدوهم وأعز الاسلام بنصرهم وقطع دابر الكافرين . وقد هلك فى هذه الغزوة صناديد قريش وعصابة المستهزئين وهم أئمة الكفر بمكة .

« اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين[1] وما جعله الله الا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم » ٩ — ١٠

اذ تطلبون من الله الغوث والنصر على عدوكم فأجاب دعاءكم بأنه مرسل اليكم مددا ألفا من الملائكة متتابعين بعضهم فى أثر بعض.

(١) متتابعين وراء كل ملك ملك

عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : لمـا كان يوم بدر نظر النبى صلى الله عليه وسلم الى أصحابه وهم ثلاثمائة ونيف ونظر الى المشركين وهم ألف وزيادة فاستقبل القبلة وعليه رداؤه وازاره ثم قال (اللهم انجز لى ما وعدتنى•اللهم ان تهلك هذه العصابة من أهل الاسلام فلن تعبد فى الأرض أبدا • فما زال يستغيث ربه ويدعوه حتى سـقط رداؤه عن منكبيه فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فرده ثم التزمه من ورائه ثم قال : يا نبى الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك • فأنزل الله عز وجل « اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين » فلما كان يومئذ • التقوا فهزم الله المشركين قتل منهم سبعون رجلا وأسر منهم سبعون رجلا • ولقد ظهرت المعجزات•

يقول ابن عباس : بينا رجل من المسلمين يشتد فى اثر رجل من المشركين أمامه اذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس يقول : أقدم حيزوم ولمـا نظر الى المشرك أمامه فوجده خر مستلقيا • قالفنظر اليه فاذا هو قد حطم وشق وجهه كضربة السيف فجاء الأنصارى فحدث بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم • قال صدقت ذلك مدد من السماء الثالثة وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم

« اذ يغشيكم[1] النعاس[2] أمنة[3] منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز[4] الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام • اذ يوحى ربك الى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعنـاق واضربوا منهم كل بنان[5] • ذلك بأنهم شاقوا[6] الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب ذلكم فذوقوه وأن للكافرين عذاب النار • يأيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار • ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة

---

(١) يعطيكم
(٢) أول النوم أو شدته
(٣) أمانا وأمنا ــ شدة اطمئنان
(٤) وسوسة الشيطان
(٥) أطراف الأصابع
(٦) خالفوا

فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير • فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وليبلى المؤمنين منه بلاء حسـنا ان الله سـميع عليم • ذلكم وأن الله موهن[1] كيد الكافرين • ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وان تنتهوا فهو خير لكم وان تعودوا نعد ولن تغنى عنكم فئتكم شـيئا ولو كثرت وأن الله مع المؤمنين •

١١ — ١٩

«واذكروا اذ أنتم قليل مستضعفون فى الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون » •

٢٦

يذكرهم الله تعـالى بما أنعم عليهم من القـائه النعاس أمانا : أمنهم به من الخوف والرهبة من كثرة العدد وقلة عـددهم • وكذلك فعل تعالى بهم يوم أحد حيث قال (ثم انزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا يغشى طائفة منهم وطائفة قد أهمتهم أنفسهم) •

وعن على بن أبى طالب كرم الله وجهه • ماكان فينا يوم بدر فارس غير المقداد • ولقد رأيتنا وما فينا الا نائم • الا رسـول الله صلى الله عليه وسلم يصلى تحت شجرة يبكى حتى أصبح •

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال قال : صلى الله عليه وسلم (النعاس فى القتال أمنة من الله • وفى الصلاة من الشيطان) وقد أنزل الله من السماء ماء حتى سال الوادى فشرب المؤمنون وملأوا الأسقية وسقوا الركائب واغتسلوا من الجنابة فجعـل الله فى ذلك طهورا لهم وتثبيتا لأقدامهم • وذلك اذ كانت بينهم وبين القوم رملة فبعث الله المطر عليها فضربها حتى اشتدت وثبتت عليها الأقدام •

عن عروة بن الزبير قال : بعث الله السماء وكان الوادى دهسا فأصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مالبد لهم الأرض

---

(١) مضعف

ولم يمنعهم من المسير وأصاب قريشا مالم يقدروا على أن يرحلوا معه وأنزل الله عليهم المطر قبل النعاس وأطفأ بالمطر الغبــار وتلبدت به الأرض وطابت نفوســـهم وثبتت به الأقدام • (اذ يوحى ربك الى **الملائكة أنى معكم)** • نعمــة خفية أظهرها الله تعــالى لهم ليشكروه عليهــا • وهو أنه أوحى الى الملائكة الذين أنزلهم لنصرة نبيه ودينه وحزبه ••• يوحى اليهم فيما بينه وبينهم أن يثبتوا الذين آمنــوا • وقيل كان الملك يأتى الرجل من أصحاب النبى فيقول له سمعت هؤلاء القوم يعنى المشركين يقولون • والله لئن حملوا علينا لننكشفن • فيحدث المسلمون بعضهم بعضا بذلك فتقوى أنفسهم (حكاه ابن جرير) • **(ســألقى فى قلوب الــذين كفروا الرعب)** • أى ثبتوا المؤمنين وقووا أنفسهم على أعدائهم عن أمرى لكم بذلك • سألقى فى قلوب الكافرين الرعب والذلة لمخالفتهم أمرى وتكذيبهم لرســولى فاضربوا الهــام ففلقوها • واجتزوا الرقاب فقطعوها • وقطعــوا الأطــراف منهم • وكان الناس يعرفون قتل الملائكة ممن قتلوهم بضرب فوق الأعنــاق وعلى البنان مثل سمة النار قد احرق به : واضربوا منهم كل طرف ومفصل من أطراف أيديهم وأرجلهم •

عن ابن عبــاس رضى الله عنهمــا قال • كان أبو جهــل يقــول لا تقتلوهم قتلا • ولكن خذوهم أخذا حتى تعرفوهم الذى صنعوا من طعنهم فى دينكم ورغبتهم عن اللات والعزى فأوحى الله الى الملائكة « انى معكم فثبتوا الذين آمنوا ســألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان » فقتل أبو جهل لعنه الله فى تسع وستين رجلا وأسر عقبة بن أبى معيط فقتل صبرا بعد انتهــاء المعركة فوفى ذلك سبعين يعنى قتيلا ذلك بأنهم شــاقوا الله ورســوله أى خالفوهما • فساروا فى شق وتركوا الشرع والايمــان به واتباعه فى شق • ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب وهوالغالب لمن خالفه • لا اله غيره ولا رب سواه فذوقوا أيها الكافرون العــذاب والنكال فى الدنيا واعلموا أنه ليس لكم فى الآخرة الا النار (**ياأيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار)** •

يقول تعالى مخاطبا المؤمنين ومن فر منهم من الزحف المقدس عند قتال العدو أنه لا جزاء له سوى غضب الله تعالى ينصب عليــه ومأواه حتما جهنم وساءت مصيرا •

فيا أيها المؤمنون اذا تقاربتم من العدو ودنوتم منهم فلا تولوهم ظهوركم وتتركوا أصحابكم الا اذا كان الفرار مكيدة أو خدعة حربية ليرى العدو أنه خائف منه ثم يفر أمامه فيتبعه ثم يكر عليه فيقتله فلا بأس عليه فى ذلك • أو اذا فر ليتحيز الى فئة من المسلمين ليعاونهم ويعاونوه أو اذا كان الفرار الى قائده وأصحابه •

وأما اذا كان الفرار لأى سبب آخر فهو حرام وهو من المهلكات

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسـول الله صـلى الله عليه وسلم (اجتنبوا السبع الموبقات قيل يا رسول الله وما هن قال : الشرك بالله • والسـحر وقتل النفس التى حرم الله الا بالحق وأكل الربا • وأكل مال اليتيم • والتولى يوم الزحف • وقذف المحصـنات الغافلات المؤمنات • ومن يفعل ذلك فقـد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير) •

وانه سبحانه وتعالى عليم بأفعال العبـاد وأنه هو المحمود على ما صدر منهم لأنه هو الذى وفقهم للخير وهو المعين دائما •

فيا من قتلتم المشركين : ليس هذا بحولكم وقوتكم مع كثرة عددهم وقلة عددكم وما قتلتموهم بمالكم من حول وقوة ••• كلا ••• ولكن الله هو الذى أظفركم عليهم ونصركم •

واقد نصركم الله فى مواطن كثيرة لا بكثرة عددكم ولكن بفضله ومـدده **(ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنـكم شـيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين)** فلا تغرنكم كثرتكم فى العدد والعدد فان النصر ليس بالكثرة ولكنه نصر الله تبارك وتعالى **(كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصـابرين)** **(وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى)** •

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه يوم بدر فقال (يارب ان تهلك هذه العصابة فلن تعبد فى الأرض أبدا) • فقال له جبريل خذ قبضة من التراب فارم بها فى وجوه القوم فأخذ قبضة من التراب فرمى بهـا فى وجوههم فمـا كان من المشركين أحـد الا أصـاب عينيه ومنخريه وفمـه تراب من تلك

القبضـة فولوا مدبرين « وليبلى المؤمنين منه بلاء حسنا » أى ليعرف المؤمنون نعمة الله عليهم من نصر على عدوهم الكثير العدد والعدد . وقلة عددهم فيشكروا الله على نعمه انه سبحانه وتعالى سميع الدعاء عليم بمن يستحق النصر.ذلكم وأن الله موهن كيد الكافرين .ومضعفه. وهى بشارة من الله تعالى للمؤمنين .

ويقول تعالى مخاطبا الكفار : « ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح » أى ان تستنصروا وتستقضوا الله وتستحكموه أن يفصل بينكم وبين أعدائكم . فقد أعطاكم ما سألتم .

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كان المشركون حين خرجوا من مكة الى بدر أخذوا بأستار الكعبة فاستنصروا الله : وقالوا اللهم انصر أكرم الفئتين ، وأعلى الجندين ، وخير القبيلتين . فيقول الله لهم قد نصرت ماقلتم وطلبتم ، وهو محمد وصحبه ، وان عدتم الى ما كنتم فيـه من الضـلال والكفر . نعد لمحمـد بالفتح ونصره عليكم ، ولو جمعتم من رجالكم ما جمعتم .

فمن كان الله معـه فلا غالب له وان الله مع الحزب النبوى فانه حزب الله سبحانه وتعالى .

ويذكر الله عباده المؤمنين بنعمته عليهم واحسانه لهم عندما كانوا قلة فكثرهم . مستضعفين خائفين فأمنهم ونصرهم،وفقراء عالة فأغناهم ورزقهم ، وكان هذا حالهم عند مقامهم بمكة مستضعفين يخـافون أن يتخطفهم الناس من أعداء الله وظلوا كذلك حتى أمر لهم الله بالهجرة الى المدينة فآواهم وسخر لهم أهلها فنصروهم وآووهم .

قال قتاده فى قوله تعالى « واذكروا اذ أنتم قليل » كان هذا الحى من العرب أذل الناس ، وأشـقاه عيشـا ، وأجوعه بطونا ، وأعراه جلودا ، وأبينه ضلالا . من عاش منهم عاش شقيا ومن مات منهم تردى فى النار يؤكلون ولا يأكلون ، والله ما نعلم قبيلا من حاضر أهل الارض يومئذ كانوا أشر منزلا منهم حتى جاء الله بالاسلام فمكن به فى البلاد ووسع به فى الرزق وجعلهم به ملوكا على رقاب الناس . وبالاسـلام أعطى الله مارأيتم فاشكروا الله على نعمه فان ربكم يحب الشكر ولئن شكرتم لازيدنكم .

« ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصـدوا عن سـبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا الى جهنم يحشرون • ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعـا فيجعـله فى جهنم أولئـك هـم الخـاسرون قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وان يعودوا فقد مضت سنت الاولين • وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فان انتهوا فان الله بما يعملون بصير • وان تولوا فاعلموا أن الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير » ٣٦ — ٤٠

أخبرنا الله تعالى أن الكفار ينفقون أموالهم ليصـدوا عن اتباع الحق فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة وندامة ولن تجدى هذه الأموال شيئا لأنهم أرادوا أن يطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون • وهو سبحانه مظهر دينه رغما عنهم ولهم فى الآخرة عذاب شديد • فمن عاش منهم رأى وسمع ما يسوؤه ومن قتل أو مات فالى جهنم وساءت مصيرا • فسينفقون هذه الأموال ثم تكون عليهم وبالا وخبالا وندامة ثم يغلبون وانهم حتما الى جهنم ذاهبون للاقامة الأبدية كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب • ولكن يميز الله ويفرق بين أهل الايمان وأهل الكفر فيجمع أهـل الكفر بعضهم على بعض ليكونوا فى جهنم خاسرين دينهم ودنياهم •

فأخبرهم يا محمـد ان ينتهوا ويرجعوا عن كفرهم وعنـادهم ويعتنقوا الاسلام طائعين تائبين مستغفرين • يغفر لهم ربهم ما مضى من كفر وذنب وخطأ •

عن ابن مسـعود رضى اله عنه قال : قال صلى الله عليه وسلم (من أحسن فى الاسلام لم يؤاخذ بما عمل فى الجاهلية ومن أساء فى الاسلام أخذ فى الأول والآخر) •

وان استمروا على ماهم فيه من كفر وضـلال فقد مضت سنة الاولين أى انهم اذا كذبوا واستمروا فى عنادهم فلا عـلاج لهم الا

العذاب • « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله » أى قاتلوهم حتى لا يكون شرك واكراه للناس على ترك الدين الحق •

وقد ثبت فى الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله • فاذا قالوها • عصموا منى دماءهم وأموالهم الا بحقها وحسابهم على الله عز وجل) •

فان انتهوا عما هم فيه من كفر فكفوا عنهم فقد روى أن رسول الله صلى اله عليه وسلم قال لاسامة وقد علا رجلا بسيفه فقال لا اله الا الله • ولكن أسامة ضربه فقتله فذكر ذلك للرسول صلى اله عليه وسلم فقال : (أقتلته بعد ما قال لا اله الا الله ؟ وكيف تصنع بلا اله الا الله يوم القيامة) ؟ قال أسامة حتى تمنيت أنى لم أكن قد أسلمت الا يومئذ •

واذا استمروا على عدوانهم ومحاربتكم فاعلموا أن الله ناصركم وهو نعم المولى ونعم النصير •

« اذ أنتم بالعدوة[1] الدنيا وهم بالعدوة[2] القصوى والركب[3] أسفل منكم ولو تواعدتم لاختلفتم فى الميعاد ولكن ليقضى الله أمرا كان مفعولا ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حى عن بينة وان الله لسميع عليم • اذ يريكهم الله فى منامك قليــلا ولو أراكهم كثيرا لفشــلتم ، ولتنازعتم فى الامر ولكن الله ســلم انه عليم بذات الصــدور • واذ يريكموهم اذ التقيتم فى أعينكم قليــلا ويقللكم فى أعينهم ليقضى الله أمرا كان مفعولا والى الله ترجع الامور » ٤٢ — ٤٤

يخبرنا الله عن يوم بدر الذى فرق فيه بين الحق والباطل حين كان المؤمنون بجانب الوادى الأقرب الى المدينــة والمشركون بالجانب الآخر الأبعد عنها وركب أبو سفيان ومن معه فى مكان أسفل من مكان

---

(١) جانب الوادى الاقرب الى المدينة
(٢) جانبه الأبعــد
(٣) العير واصحابها

المؤمنين عند ساحل البحر ولو كان هنــاك ميعاد ســابق بينهم وبين المشركين لاختلفوا فيه ٠

عن عبد الله بن الزبير عن أبيه فى هذه الآية قال : لو كان ذلك عن ميعاد بينكم وبينهم ثم بلغكم كثرة عدوكم وقلة عددكم لخفتموهم ولم تلقوهم ولكن ليقضى الله ما أراد بلطفه وحكمته فجمعكم مع عدوكم فى مكان واحد على غير ميعاد لينصركم عليهم وليرفع كلمة الحق ليصبح الامر ظاهرا والحجة قاطعة ولكى لا يكون هناك حجة لاحد ٠ فحينئذ يستمر فى الكفر من استمر فيه على بصيرة من أمره فيبطل بقيام الحجة عليه ويؤمن من آمن عن حجة وبصــيرة والله ســميع لدعائكم عليم بأنكم تستحقون النصر على عدوكم ٠

واذكر اذ يريك الله يامحمد المشركين فى منامك قليلا لتخبر أصحابك فكان ذلك تثبيتا لهم ولو أراكهم كثيرا لجبنتم وخفتم ودب الخــلاف بينكم ٠ ولكن الله سلم من ذلك بأن قللهم فى عينك انه عليم بما تكنه الضمائر وما تخفيه الصدور ٠

واذ يريكموهم الله رأى العين قليلا لطفا بكم وتثبيتا لقلوبكم ، ورحمة ٠

عن ابن مسعود رضى الله عنه قال (لقد قللوا فى أعيننا يوم بدر حتى قلت لرجل الى جنبى تراهم سبعين ؟ قال : لا بل هم مائة ، حتى أخذنا رجلا منهم فسألناه فقال كنا ألفا ولقد أراد الله سبحانه وتعالى أن يغرى كلا من الفريقين بالآخر ويقلله فى عينه وذلك عند المواجهة ٠ فلما التقى الجمعان أيد الله المؤمنين بألف من الملائكة لينتقم ممن أراد الانتقــام منه وينعم على من أراد الانعام عليه فله مزيد الحمــد والمنة ٠ وهذا لينفذ قضاؤه وقدره من هزيمــة المشركين ونصر المؤمنين ولله عاقبــة الأمور ٠

« يأيها الذين آمنــوا اذا لقيتم فئــة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون ٠ وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشــلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصــابرين ٠ ولا تكونوا كالذين خرجوا

من ديارهم بطرا[1] ورئاء[2] الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط • واذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص[3] على عقبيه وقال انى برىء منكم انى أرى مالا ترون انى أخاف الله والله شديد العقاب • اذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم » ٤٥ — ٤٩

يعلم الله تعالى عباده المؤمنين آداب اللقاء وطريق الشجاعة عند مواجهة العدو بقوله **« اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا »** •

ثبت فى الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم انتظر فى بعض أيامه التى لقى فيها العدو حتى اذا مالت الشمس قام فيهم فقال (يأيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية • اذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف ثم قام صلى الله عليه وسلم وقال اللهم منزل الكتاب ومجرى السحاب • وهازم الأحزاب • اهزمهم وانصرنا عليهم) ولقد افترض الله ذكره عند الضرب بالسيوف فما من شىء أحب الى الله تعالى من قراءة القرآن والذكر • ولولا ذلك ما أمر الناس بالصلاة والقتال • فلابد من ذكره فى كل حال وأن لا ينسوه بل يستعينون به ويسألونه النصر على الأعداء • ولا يتنازعون فيما بينهم حتى لا يختلفوا فيكون ذلك سببا فى تخاذلهم وفشلهم وذهاب قوتهم • ويأمرهم بالصبر فانه سبحانه مع الصابرين • كما يأمرهم بالاخلاص فى القتال وسائر الأعمال وينهاهم عن التشبه بالمشركين فى خروجهم من ديارهم دفعا للحق ومفاخرة وتكبرا عليهم كما قال أبو جهل لما قيل له ان العير قد نجا فارجعوا • فقال لا واللات والعزى لا نرجع حتى نرد ماء بدر • وننحر الجزر ونشرب الخمر • وتتحدث عنا العرب فانعكس ذلك كله عليه لأنهم عندما وردوا ماء بدر وردوا الحمام والهلاك

---

(١) دفعا للحق
(٢) مفاخرة وتكبرا
(٣) رجع مدبرا طغيانا بالنعمة

وركموا فى أطوار بدر مهانين أذلاء فى عـذاب سرمدى دائم وان الله عالم بعملهم فجازاهم الله أشد الجزاء وهو محيط بهم وبأعمالهم •

« **واذ زين لهم الشيطان أعمالهم** » قال ابن عباس فى هذه الآية : (لما كان يوم بدر سار ابليس اللعين برايته وجنودهمع المشركين وألقى فى قلوبهم أنه لن يغلبهم أحد وانه جار لهم • فلما التحم الفريقان ونظر الشـيطان الى امداد الملائكة ولى مدبرا وقال انى أرى مالا ترون • انى اخاف الله رب العـالمين • يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشـيطان الا غرورا • اذ يقول المنافقون ممن كانوا قد أقروا بالاسلام وهم بمكة ولم يشهدوا قتال بدر ورآوا قلة المؤمنين • قالوا غر هؤلاء دينهم حتى قدموا على ما قدموا عليه من قتال وهم قلة يعدون على الأصابع • وعدوهم كثرة ! فليعلم هؤلاء المنافقون أن من يتوكل على الله ويعتمد عليه فلن يضره أحد شيئا فان الله عظيم السلطان حكيم فى أفعاله فينصر من يستحق النصر ويخذل من هو أهل للهزيمة والله عزيز حكيم •

«**ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم وذوقوا عذاب الحريق • ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد • كدأب**[1] **آل فرعـون والذين من قبلهم كفروا بآيـات الله فأخذهم الله بذنوبهم ان الله قوى شـديد العقاب • ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وأن الله سميع عليم • كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فأهلكناهم بذنوبهم وأغـرقنا آل فرعـون وكل كانـوا ظـالمين** • ان شـر الدواب عنـد الله الـذين كفـروا فهـم لا يؤمنـون • الـذين عاهدت منهـم ثم ينقضـون عهـدهم فى كل مـرة وهم لا يتقون • فاما تثقفنهم[2] فى الحرب فشرد بهم[3]من خلفهم لعـلهم يذكرون • واما تخافن من قوم خيانة فانبذ[4] اليهم على سـواء ان الله لا يحب الخائنين ٥٠ — ٥٨

(١) كعـادة
(٢) تغلبهم وتظفر بهم
(٣) فنكل بهم نكالا يخوف من خلفهم
(٤) انقض

لو رأيت يامحمد حالة أخذ الملائكة أرواح الكفار لرأيت أمرا عظيما هائلا تقشعر منه الأبدان اذ يضربون وجوههم وأدبارهم ويقولون لهم ذوقوا عذاب الحريق • جزاء ما اقترفتم من السيئات فى دنياكم فهذا هو جزاء الله لكم وهو عادل لا يظلم أحدا من خلقه ولا يجور على أحد فهو منزه عن ذلك •

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم • (ان الله تعالى يقول يا عبادى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا • يا عبادى انما هى أعمالكم أحصيها لكم فمن وجد خيرا فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه) •
(ان شر الدواب) نزلت هذه الآية فى يهود بنى قريظة الذين عاهدوا الرسول صلى الله عليه وسلم ، الا يمالئوا عليه • ثم اعانوا المشركين بالسلاح واعتذروا ثم عاهدوهم بعد ذلك فنكثوا ومالئوا المشركين عليه يوم الخندق وركب زعيمهم كعب بن الأشرف الى مكة فحالف المشركين على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم،فهم شر الدواب فى حكم الله لتماديهم فى الكفر ورسوخهم فيه وهم لايخافون الله شيئا فيما ارتكبوا من الآثام فاذا غلبتهم وظفرت بهم فى حرب فنكل بهم وغلظ فى عقوبتهم ليخاف من سواهم من الأعداء من العرب وغيرهم ويكونوا عبرة لعلهم يحذرون أن ينكثوا عهدهم فيصنع بهم مثل ذلك • وان خفت من قوم قد عاهدتهم أن ينقضوا ما بينك وبينهم من المواثيق فبين لهم ما اعتزمت عليه ، حتى يكونوا على علم بأنك سترد عليهم عدوانهم فان الله لا يحب الخائنين ، وان كان بينك وبين قوم عهد فتمسك به حتى ينقضى أجله •

عن سليم بن عامر قال : كان معاوية يسير فى أرض الروم وكان بينه وبينهم أمد فأراد أن يدنو منهم فاذا انقضى الأمد غزاهم فاذا شيخ على دابة يقول : الله أكبر الله أكبر وفاء لا غدرا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من كان بينه وبين قوم عهد فلا يحلن عقده ولا يشدها حتى ينقضى أجلها أو ينبذ اليهم على سواء) قال فبلغ ذلك معاوية فرجع فاذا بالشيخ عمرو بن عنبسة رضى الله عنه (حديث صحيح) •

« ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا[1] انهم لا يعجزون • وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون[2] به عـدو الله وعدوكم وآخـرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء فى سبيل الله يوف اليكم وأنتم لا تظلمون » ٥٩ — ٦٠

لا تحسبن يا محمد أن الذين كفروا نجوا من عذابنـا • أو أننا لا نقدر عليهم فانهم تحت قدرتنا وفى قبضتنا ولن يعجزوننا (أم حسب الذينيعملون السيئات ان يسبقونا ساء ما يحكمون) وقوله تعـالى (ولا يغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد متاع قليل ثم مأواهمجهنم وبئس المهاد) وأعدوا لهم ما أستطعتم من حصون وقلاع وسـلاح وآلات للحرب ومصانع وفنون حربية وتعليم للفروسية •

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسـول الله صلى الله عليه وسلم : (الخيل لثلاثة • لرجل أجر ولرجل ستر • وعلى رجـل وزر فأما الذى له أجر فرجل ربطها فى سـبيل الله فأطـال فى مرج أو روضـة فما أصـابت فى طيلهـا ذلك من المـرج أو الروضـة كانت له حسنات • ولو أنهـا قطعت طيلهـا فاستنت شرفا أو شرفين كانت آثارها وأرواثها حسنات له • ولو أنها مرت بنهر فشربت منه ولم يرد أن يسقيها ، كان ذلك حسنات له فهى لذلك الرجل أجـر ورجل ربطها تغنيا وتعففـا ولم ينس حق الله فى رقابهـا ولا ظهورها فهى لذلك ستر ، ورجل فخـرا ورياء ونواء فهى على ذلك وزر • (رواه البخارى) •

وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة تخوفون به عدو الله وعدوكم من الكفار وآخرين من الشـياطين التى فى الدور وهـم المنافقون **(وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم)** • ومهما أنفقتم فى الجهاد فانه **(كمثل حبة انبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسـع عليم)** •

(١) خلصوا ونجوا
(٢) تخوفون

« وان جنحوا[1] للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هـــو السميع العليم • وان يريدوا أن يخدعوك فان حسبك[2] الله هــو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين • وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما فى الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم انه عزيز حكيم • يا أيها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين • يا أيها النبى حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون • الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبــوا مائتين وان يكن منكم ألف يلغبــوا ألفين باذن الله والله مع الصابرين » ٦١ — ٦٦

ان مال الأعداء المحاربون الى المسالمة والمصالحة على المهــادنة فمل اليها يا محمد واقبل ذلك منهم مادام فيه خير ظاهر للاسلام وأهله ولذلك قبل الرسول صلى الله عليه وسلم الصلح مع المشركين عام الحديبية على ايقاف الحرب بينه وبينهم عشر سنين على ما اشترطوا من الشروط ولو كانوا يريدون بالصلح خديعة لتكف عنهم ويستعدوا فصالحهم مع ذلك مادام فى هذا اصــلاح بين للاســلام وأهــله وتوكل على الله فانه ناصــرك ومؤيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم فتحــابوا فى الله ، واجتمعوا لاعلاء كلمته ، واتبعوا أمرك وأطاعوك • ولو انفقت كل ما فى الأرض فلن تتمكن من أن تؤلف بينهم ولكن الله ألف بينهم •

« يا أيها النبى حسبك الله » تحريض من الله تعــالى لرسوله وللمؤمنين على القتال ومناجزة العدو ومبارزة الأقران • ويخبرهم أنه ناصرهم على قلة عددهم على عدوهم مع كثرة عددهم • فيا محمــد حرض المؤمنين وحثهم وأمرهم بالقتــال ولذا كان الرســول الكريم يحثهم ويحرضهم على القتال عند صفهم لمواجهة العدو وكان يقول لهم

(١) مالوا
(٢) كافيك

(قوموا الى جنة عرضها السموات والأرض) فقال عمير بن الحمـام عرضها السموات والأرض ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (نعم) فقال بخ بخ فقال « وما يحملك على قولك بخ بخ ؟ » قال رجاء أن أكون من أهلها قال (فانك من أهلها) فتقدم الرجل فكسر جفـن سيفه وأخرج تمرات فجعل يأكل منهن ثم ألقى بقيتهن من يده وقال : لئن أنا حييت آكلهن • انها لحياة طويلة ثم تقدم فقاتل حتى قتل رضى الله عنـه •

ثم قال تعالى مبشرا « ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا » •

لما نزلت الآية الكريمة شق ذلك على المسلمين حتى فرض الله عليهم ألا يفر واحد مسلم من عشرة من الكفار وكان ذلك فى وسعهم• فأعز الله بهم الدين على قلتهم • وخذل المشركين بأيديهم على كثرتهم وكانت السرايا تهزم من المشركين أكثر من عشرة أمثالها تأييدا من الله لدينه • ولما شق الاستمرار فى ذلك على المؤمنين وضعفوا عن تحمله ولم تبق ضرورة لدوام هذا الحكم نزل التخفيف « الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا » • فلو كانوا على الشطر من عدوهم لم يسغ لهم أن يفروا واذا كانوا دون ذلك لم يجب عليهم القتال وجـازلهـم أن يتحولوا عنهم • وعن ابن عمر رضى الله عنهما فى قوله « وان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين » قال نزلت فينا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم •

« ما كان لنبى أن يـكون له أسرى حتى يثخن[1] فى الأرض تريدون عرض[2] الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم • لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم • فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله ان الله غفور رحيم • يا أيهـا النبى قل لمن فى أيديكم من الأسرى ان يعلم الله فى قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم • وان يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فأمكن منهم والله عليم حكيم » ٦٧ — ٧١

---

(١) يغلظ — من الغلظة والصلابة
(٢) عرض الدنيـا — حطام الدنيـا

استشار الرسول أصحابه فى أسرى بدر فأشار أبو بكر باستبقائهم رجاء توبتهم ورأى أن يعفو عنهم ويقبل منهم الفداء فيكونوا قوة للمسلمين . وأشار عمر وآخرون بقتلهم اعزازا للاسلام فمال صلى الله عليه وسلم الى الرأى الأول وكان فداء كل أسير أربعين أوقية من الذهب . الا العباس ففداؤه ثمانون . فنزلت الآية عتابا على الاقدام على الفداء قبل الاثخان لهم حتى يكونوا عبرة لغيرهم . قوة للاسلام وعزة . فلا ينبغى أن يكون لنبى أسرى حتى يبالغ فى قتال الأعداء . اذلالا للكفر واعزازا لدين الله .

تريدون حطام الدنيا وهو الفداء . والله يريد لكم ثوابها بسبب المبالغة فى الغلظة والصلابة قتلا وجراحا حتى يمنع من الحركة فيصير كالثخين الذى لا يسيل . والله عزيز حكيم . ولولا حكم من الله سبق ألا يعذب قوما قبل تقديم البيان اليهم لأصابكم بسبب ما أخذتم من الفداء قبل أن تؤمروا به عذاب عظيم .

ولما نزلت الآية السابقة كف الصحابة عن الأكل من الفداء فنزل قوله تعالى « فكلوا مما غنمتم » . بيانا لحله اذ هو من الغنيمة . واتقوا الله ان الله غفور رحيم . وقد بعثت قريش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى فداء أسراهم . ففدى كل قوم أسيرهم بما رضوا وقال العباس يا رسول الله كنت مسلما . فقال صلى الله عليه وسلم (الله اعلم باسلامك) فان يكن كما تقول فان الله يجزيك . وأما ظاهرك فقد كان علينا فافتد نفسك وابنى أخيك نوفل بن الحارث وعقيل بن أبى طالب وحليفك عتبة بن عمرو ، قال ماذاك عندى يا رسول الله . قال (فأين المال الذى دفنته أنت وأم الفضل ؟ وقلت ان أصبت فى سفرى هذا فهو لبنى الفضل وعبد الله وقثم) قال والله يارسول الله انى لأعلم أنك رسول الله . ان هذا شىء ما علمه أحد غيرى وغير أم الفضل . فاحسب لى يا رسول الله ما أصبتم منى عشرين أوقية من مال كان معى فقال صلى الله عليه وسلم (لا : ذاك شىء أعطى الله منك) ففدى نفسه وابن أخويه وحليفه فانزل سبحانه وتعالى « يا أيها النبى قل لمن فى ايديكم من الأسرى .. الآية) .

قال العباس فأعطانى الله مكان العشرين أوقية فى الاسلام عشرين عبدا كلهم فى يده مال يضرب به مع ما أرجو من مغفرة الله

عز وجل وأرجو أن يكون قد غفر لى . « وان يريدوا خيانتك » فيما أظهروا لك من الأقوال فقد خانوا الله من قبل بدر بالكفر (فأمكن منهم) أى بالأسارى يوم بدر . والله عليم بفعله حكيم فيه .

« ان الذين آمنـوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسـهم فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شىء حتى يهـاجروا وان استنصروكم فى الدين فعليكم النصر الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير . والذين كفروا بعضهم أولياء بعض الا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير . والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقـا لهم مغفرة ورزق كريم . والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله ان الله بكل شىء عليم » ٧٢ — ٧٥

قسم الله تعالى المؤمنين الى مهاجـرين أخـرجوا من ديارهم وأموالهم لنصرة دين الله ورسوله . وبذلوا أموالهم وأنفسهم فى ذلك. والى أنصارهم الذين أسلموا من أهل المدينة اذ ذاك آووا اخـوانهم المهاجرين فى منازلهم وواسوهم فى أموالهم ونصروا الله ورسـوله بالقتال معهم فأولئك بعضهم أولياء بعض أى كل منهم أحق بالآخر من كل أحد ولقد آخى الرسول الأعظم بين المهاجرين والأنصار كل اثنين آخوان فكانوا يتوارثون بذلك ارثا مقدما على القرابة حتى نسخ الله تعالى ذلك بالمواريث .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (المهاجرون والأنصار والطلقاء من قريش والعتقاء من ثقيف بعضهم أولياء بعض فى الدنيا والآخرة) .

أما الذين آمنوا ولم يهاجروا وأقاموا فى بواديهم فليس لهم من الغنائم نصيب ولا فى خمسها الا ما حضروا فيه القتال .
وان استنصركم الذين لم يهاجـروا فى قتال دينى على عـدو لهم فانصروهم لأنهم اخوانكم فى الدين الا اذا استنصروكم على قوم من الكفار بينكم وبينهم مهادنة الى مدة فلا تخفروا ذمتكم ولا تنقضـوا ايمانكم مع من عاهدتم والله أعلم .

آيات الجهاد
في سورة التوبة

بسم الله الرحمن الرحيم

« ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهموا باخراج الرسول وهم بدءوكم أول مرة أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه ان كنتم مؤمنين • قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم[1] وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين • ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم ، أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة[2] والله خبير بما تعملون » ١٣ — ١٦

اغراء من الله على قتال المشركين الذين نكثوا عهدهم وهموا باخراج الرسول من مكة وهمبدأوا بنكث عهدهم يوم بدر حينما خرجوا لنصر غيرهم فلما نجت وعلموا بذلك استمروا على وجههم طلبا للقتال بغيا منهم • فلا تخشوهم واخشوا ربكم فهو أهل أن يخشى منه العباد لأنه القادر على أعدائكم ، بيده الأمر ما شاء كان ومالم يشأ لم يكن •

فيا أيها المؤمنون لا ترهبوهم وقاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم أى يذلهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم ، وهم خزاعة أحلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم •

عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا غضبت أخذ بأنفها وقال (يا عويش قولى اللهم رب النبى محمد

---

(١) يذلهم
(٢) بطانة ودخيلة

أغفر ذنبى واذهب غيظ قلبى وأجرنى من مضـــلات الفتن) . والله تبارك وتعالى يتوب على من يشاء من عباده وهو العليم بما يصـــلح عباده حكيم فى أفعاله وأقواله الكونية فيفعل ما يشــاء وهو العــادل الذى لا يجور ولا يضيع مثقال ذرة من خير أو شر بل يجازى عليها فى الدنيا والآخرة .

هل تظنون أيها المؤمنون أننـــا نترككم مهملين لا نختبركم بأمور يظهر فيها أهل العزم الصادق من الكاذب . وهذا اختبار من اللهلعباده ليعلم من يطيعه ممن يعصيه وهو تعالى العالم بما كان وما يكون فيعلم الشيء قبل وقوعه فلا اله الا هو ولا رب سواه . ولا راد لما قدر .

« أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد فى سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدى القوم الظالمين . الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفـــائزون . يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم . خالدين فيهـــا أبدا ان الله عنده أجر عظيم » ١٩ — ٢٢

قال المشركون : عمارة بيت الله والقيـــام على السقاية كمن آمن بالله وجاهد فى سبيل الله بنفسه وماله ، كلا لا يستوون . وفى الحديث قال الوليد بن مسلم : حدثنى معاوية بن سلام عن جده أبى سلام الأسود عن النعمان بن بشير الأنصارى قال : كنت عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نفر من أصحابه فقال رجل منهم لا أبالى أن لا أعمل لله عملا بعد الاسلام الا أن أسقى الحاج . وقال آخر . بل عمـــارة المسجد الحرام . وقال آخر بل الجهاد فى سبيل الله خير مما قلتم . فزجرهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقال : لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك يوم الجمعة ولكن اذا صـــليت الجمعة دخلت على رســـول الله صـــلى الله عليـــه وسلم فاستفتيته فيما اختلفتم فيه . قال ففعل فأنزل الله عز وجل (أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام » .. الى قوله تعالى : « والله لا يهدى القوم الظالمين » .

وان الذين آمنوا وهاجروا وتركوا الأهل والمال والولد وجاهدوا فى سبيل ربهم بالمال والنفس أولئك أعظم أجرا عند الله تعالى وأولئك هم الفائزون • يبشرهم ربهم برحمته ورضوانه وجنات خالدين فيهــا وهم فى نعيم دائم وما عند الله أعظم من جميع الدنيا وماعليها والله عنــده أجر عظيم •

« يأيها الذين آمنــوا لا تتخذوا آباءكم واخــوانكم أوليــاء ان استحبوا الكفر على الايمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون • قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخــوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها[1] وتجارة تخشون كسادها[2] ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا[3] حتى يأتى الله بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين » ٢٣ — ٢٤

أمر الله تعالى بمعاداة الكفار ولو كانوا آباء أو أبناء ونهى عن موالاتهم ان اختاروا الكفر على الايمان •

وروى الحافظ البيهقى من حديث عبد الله بن شوذب قال : جعل الجراح ينعت الآلهة يوم بدر وجعل أبو عبيدة يحيد عنــه فلما أكثر الجراح قصــده ابنه أبو عبيــدة فقتله فأنزل الله فيــه (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم) •

ثم أمر الله الرسول صلى الله عليــه وســلم أن يتوعد من آثر أهله وقرابته وعشيرته على الله ورسوله وجهـــاد فى سبيله فقــال « قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم ••• »الآية •فان كانتأموال اكتسبتموها وتجارة تحبونها لطيبها وحسنها • فاذا كان كل هذا أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله • فانتظروا ما يحل بكم من عقاب ونكال ولذا قال حتى يأتى الله بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين •

---

(١) اجترائم عليها
(٢) بوارها
(٣) تربصوا : ترقبوا

وقد ثبت فى الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (والذى نفسى بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من والده وولده والناس أجمعين) • وعن ابن عمر قال : سمعت رســول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « اذا تبايعتم بالعينة • وأخذتم بأذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلا • لا ينزعه حتى ترجعوا الى دينكم » •

« لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شــيئا وضــاقت عليكم الأرض بما رحبت ثــم وليتم مدبرين • ثم أنزل الله سكينته[1] على رســوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين • ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم • يأيها الذين آمنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وان خفتم عيلة[2] فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء ان الله عليــم حكيم • قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون[3] » ٢٥ — ٢٩

يذكر الله تعالى المؤمنين بفضله واحسانه عليهم فى نصره اياهم فى مواطن كثيرة من غزواتهم مع رسول الله صلى الله عليــه وسلم وذلك بتأييده وتقديره لا بعددهم ولا بعددهم وينبههم الى أن النصر منه وحده سواء قل الجمع أو كثر •

فان يوم حنين أعجبتهم كثرتهم فلم تجد عنهم شيــئا وولــوا مدبرين الا قليلا منهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أنزل نصره وتأييده على رسوله وعلى من معــه من المؤمنين ليعلمهم أن النصر من عنده تعالى • فكم من فئــة قليــلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع

(١) طمأنينة
(٢) فقــرا
(٣) مهانون أذلاء

الصابرين » وقد أنزل الله طمأنينته على رسـوله وعلى المؤمنين الذين معه ليطمئنهم ويثبتهم ليظهر دينه ويتم ما أرسـله • فأنزل جنـودا لم تروها من الملائكة •

عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فولى عنه الناس وبقيت فى ثمانين رجلا من المهاجرين والأنصار أقدمنا ولم نولهم الدبر وهم الذين أنـزل الله عليهم الأمان • قال ورسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته البيضاء يمضى قدما الى الأمام فحادت بغلته فمال عن السرج فقلت ارتفع رفعك الله • قال ناولنى كفا من تراب فناولته • قال فضرب به وجوههم فامتلأت أعينهم ترابا • قال أين المهاجرون والأنصار ؟ قلت هم هناك• قال اهتف بهم فهتفت فجاءوا وسيوفهم بأيمانهم كأنهم الشهب • وولى المشركون أدبارهم وقد تاب الله على بقيـة قبيلة هـوازن فأسـلموا ويتوب الله على من يشاء والله غفور رحيم •

« يأيها الذين آمنوا انمـا المشركون نجس » يأمر الله تعـالى المؤمنين بعدم تمكين المشركين الذين هم نجس عن قربهم المسجد الحرام وكان ذلك فى التاسع من الهجرة ولذا بعث الرسول عليا صحبة أبى بكر وأمره أن ينادى فى المشركين • أن لا يحج بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان فأتم الله ذلك وحكم به شرعا • وان خفتم الفاقة والفقر بسبب منعهم من دخول أرض الحرم اذ كانوا فى الموسـم للتجارة فسوف يعوضكم الله ما تخافون منه من قطع تلك الأسواق فقد أغناكم وأجزل لكم بما أعطاكم من أهل الكتاب من جزية انه عليم بما يصلحكم حكيم فيما يأمر وينهى عنه فهو الكامل فى أفعاله العـادل فى خلقه • فقاتلوا الذين لا يؤمنون برسالة محمد ورب محمد ولم يبق لهم ايمان صحيح بأحد من الرسل أو الكتب التى جاءوا بها ولكنهم يتبعون أهواءهم وآراءهم فيما هم فيه ولو كانوا مؤمنين بما بأيديهم من الكتب لقادهم ذلك الى الايمان بمحمد لأن جميع الأنبياء بشروا به وأمروا باتباعه فهؤلاء القوم لا ينفعهم ايمانهم ببقية الأنبيـاء وقـد كفروا بسيدهم وأفضلهم • وكانت هذه الآية • أول أمر بقتال أهـل الكتاب بعدما تمهدت أمور المشركين حتى يعطوا الجزية عن يد ، وهم صاغرون أذلاء مهانون •

« يأيها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا[1] فى سبيل الله اثاقلتم[2] الى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة الا قليل • الا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شىء قدير • الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم » ٣٨ — ٤٠

شروع فى عتاب من تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك من شدة الحر •

مالكم اذا دعيتم للجهاد فى سبيل الله تكاسلتم مائلين للاقامة بأرضكم ودياركم • لم فعلتم ذلك ؟ هل آثرتم وفضلتم الدنيا الفانية على الآخرة الباقية • ان متاع الفانية فى الباقية قليل •

قيل انه لما حضرت عبد العزيز بن مروان الوفاة • قال : (ائتونى بكفنى الذى أكفن فيه أنظر اليه فلما وضع بين يديه نظر اليه فقال : أما لى من كبير • ما أخلف من الدنيا الا هذا ؟ ثم ولى ظهره فبكى وهو يقول أف لك من دار انكان كثيرك لقليل • وان كان قليلك لقصير وان كنا منك لفى غرور) ثم توعد الله من ترك الجهاد بقوله : « الا تنفروا يعذبكم عذابا أليما » ويأتى بقوم آخرين لنصرة دينه ونبيه • وان توليتم عن الجهاد وتكاسلتم وتثاقلتم فانه قادر على الانتصار على أعدائكم بدونكم ولا تضروه شيئا سبحانه قدير على كل شىء • وان لم تنصروا نبيه فهو قادر على نصره وتأييده « اذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين » عام الهجرة عندما هموا بقتله أو حبسه أو نفيه فخرج هاربا منهم مع صديقه أبى بكر بن أبى قحافة فلجأ الى غار

---

(١) اخرجوا للحرب
(٢) تباطأتم

ثور ومكث به ثلاثة أيام ليرجع من خرجوا فى طلبه طمعا فى المال والجاه وكان أبو بكر يخشى أن يطلع عليهم أحد فينتابهم أذى فكان صلى الله عليه وسلم يسكنه بقوله : (يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما) فأنزل الله تأييده عليهم ونصر نبيه وأيده بملائكة لم تروها وجعل كلمة الشرك هى السفلى وكلمة لا اله الا الله هى العليا والله عزيز فى انتقامه لا يضام من قصده واحتمى به حكيم فى أقواله وأفعاله •

انفروا • أمر الله تعالى بالخروج للقتال مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام غزوة تبوك لقتال أعداء الله من الكفرة وأهل الكتاب من الروم • وحتم على المؤمنين الخروج معه على كل حال فى المنشط والمكره والعسر واليسر والجهاد (بأموالكم وأنفسكم) فان هذا خير لكم فى الدنيا والآخرة وذلك خير لكم ان كنتم تعلمون •

« لو كان عرضا[1] قريبا وسفرا قاصدا[2] لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم انهم لكاذبون • عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين • لا يستئذنك الذين يؤمنون باللهواليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين • انما يستئذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت[3] قلوبهم فهم فى ريبهم يترددون • ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم[4] وقيل اقعدوا مع القاعدين • لو خرجوا فيكم مازادوكم الا خبالا ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين • لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الأمور حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون » ٤٢ — ٤٨

يقول الله تعالى توبيخا لمن تخلف عن رسول الله صلى اللهعليه وسلم فى غزوة تبوك وقعدوا بعد أن استأذنوه مظهرين أنهم ذووا

(١) ما يعرض من منافع الدنيا
(٢) قريبا
(٣) شكت
(٤) فأخرهم ومنعهم باضعاف عزائمهم

أعذار ولو كان هناك مكسب من الغنائم قريب وسفر قريب لجاءوا معك ولكن لطول المسافة الى الشام اعتذروا • وعند رجوعكم اليهم يقسمون لكم أنهم لو استطاعوا أن يخرجوا معكم لخرجوا لولا أن منعهم العذر يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم فانهم يهلكون أنفسهم بكذبهم وقعودهم وهو عليم بذلك • عفا الله عنك • نداء بالعفو قبل المعاتبة • نزلت هذه الآية فى أناس قالوا : استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فان أذن لكم فاقعدوا ، وان لم يأذن لكم فاقعدوا • فهلا تركتهم لما استأذنوك فلم تأذن لهم فى القعود حتى تعلم الصادق من الكاذب فى اظهار الدعوة • فانهم كانوا مصرين على القعود سواء أذنت لهم أم لم تأذن لهم فلا يستأذنك فى القعود الا الذين لا يرجــون ثوابا على أعمالهم وهم يشكون فى صحة ما جئتهم به • وهم فى شكهم حيــارى لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له وليا مرشدا انهم لو أرادوا الخروج معــك الى الغزو لتأهبوا واستعدوا ، ولكن لجبنهم تخلفوا ، ولو أنهم خرجوا معكم لأشاعوا الفتنة والبغضــاء فى صفوفكم وكان فى وجودهم معكم شر محقق حفظكم الله منه •

انهم فكروا تفكيرا كثيرا فى كيدك وكيد أصحابك وخذلان دينك لأنهم لم يكونوامؤمنين حقا وكانوا متظاهرين بدخولهم فى الاســلام وكلما ارتفعت راية الاســلام ســاءهم ذلك وزاد فى حقدهم وغيظهم حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون •

« ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى ألا فى الفتنــة سقطوا وان جهنم لمحيطة بالكافرين • ان تصبك حسنة تسؤهم وان تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون • قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون • قل هــل تربصون[1] بنا الا احدى الحسنيين ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا فتربصوا انا معكم متربصون » •

٤٩ — ٥٢

نزلت هذه الآية فى الجد بن قيس حينما اعتذر عن غزوة تبــوك بقوله للرسول صلى الله عليه وسلم ما رجل أشد عجبا بالنســاء منى

(١) تنتظرون

وانى أخشى ان رأيت نساء بنى الأصفر ألا أصبر عنهن فأعرض عنه الرسول وأذن له •

وقال أحد المنافقين يغزو محمد بنى الأصفر مع جهد المال والحر والبلد البعيد الى ما قبل له به • أيحسب أن قتال بنى الأصفر اللعب• والله لكأنى أنظر الى اصحابه غدا مقرنين فى الحبال • ان أصابك خير ساءهم وان كانت الأخرى يقولون لقد أخذنا حيطتنا من قبل ويتولون وهم فرحون •

ويقول تعالى قل لهم يا محمد هل تنتظرون بنا الا احدى الحسنيين أى حدى العاقبتين اللتين كل منهما أحسن من جميع العواقب • اما ظفر بكم أيها الأعداء • وفيهالأجر والغنيمة والسلامة واما الشهادة وهى الفوز بالجنة والنجاة من النار • وكلاهما مما نحب ونحن ننتظر لكم أن يرسل عليكم الله عذابا من عنده أو بأيدينا بسبى أو قتل فانتظروا انا معكم منتظرون • ومهما أنفقتم من نفقة طائعين أو مكرهين فانها لن تقبل منكم • فانه لا يصح عمل بدون ايمان • فانكم لا تأتون العمل الا وأنتم كسالى ولا روح ولا همة لكم فى العمل • وما أنفقتم أنفقتم وأنتم كارهون • فقد قال الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم : (ان الله لا يمل حتى تملوا وان الله طيب لا يقبل الا طيبا) فلهذا لا يقبل من هؤلاء نفقة ولا عملا لأن الله لا يتقبل الا من المتقين•

« يأيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير » — ٧٣

يأمر الله سبحانه وتعالى نبيه بجهاد الكفار بالسيف ، وجهاد المنافقين بالحجة والبرهان وأن يشدد عليهم النكير ويستعمل الخشونة معهم ويلزمهم الحجة وينذرهم ويحذرهم أن من خالف ما أمر الله فهو فى الآخرة فى جهنم وساءت مصيرا ، والله أعلم •

« الذين يلمزون[1] المطوعين من المؤمنين فى الصدقات والذين لا يجدون الا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب

(١) يطعنون أو يعيبون

أليم • استغفر لهم أولا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدى القوم الفاسقين فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله وقالوا لا تنفروا فى الحر قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون • فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون • فان رجعك الله الى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معى أبدا ولن تقاتلوا معى عدوا انكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين • ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون » •

٧٩ — ٨٤

كان من عادة المنافقين أن يطعنوا ويعيروا فقراء المسلمين ويحتقروا صدقاتهم فعد الله سبحانه وتعالى ذلك منهم ذنبا عظيما لا يقبل فيه استغفار ولو كان المستغفر هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو كرر الاستغفار لهم سبعين مرة لأنهم لا يسلم أحد من عيبهم ولمزهم فى جميع الأحوال ولا المتصدقون يسلمون ان جاء أحد منهم بمال جزيل قالوا هذا مراء ، وان جاء بشىء يسير قالوا ان الله لغنى عن صدقة هذا •

عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : لما نزلت آية الصدقة كنا نحامل على ظهورنا فجاء رجل فتصدق بشىء كثير فقالوا : مرائى •وجاء رجل فتصدق بصاع فقالوا : ان الله لغنى عن صدقة هذا • فنزلت الآية

فبما أن هؤلاء المنافقين ليسوا أهلا للاستغفار فلن يغفر الله لهم ولو استغفرت لهم سبعين مرة •

(فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله) نزلت هذه الآية ذما للمنافقين المتخلفين عن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك وفرحوا بقعودهم بعد خروجه وكرهوا أن يجاهدوا معه بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله • وقالوا أى بعضهم لبعض لا تخرجوا للقتال فى الحر حيث كانت الغزوة فى شدة الحر • فقل نار جهنم التى تصيرون اليها بمخالفتكم أشد حرا مما فررتم منه من الحر •

يقول الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم : (أوقد الله على النار ألف سنة حتى احمرت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت فهى سوداء كالليل المظلم) فاللهم نجنا منها انك على كل شيء قدير وبالاجابة جدير يانعم المولى ونعم النصير •(فليضحكوا قليلا) • عن ابن عباس قال : الدنيا قليل فليضحكوا ماشاءوا فاذا انقطعت الدنيا وصاروا الى الله عز وجل استأنفوا بكاء لا ينقطع أبدا•

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (يأيها الناس ابكوا فان لم تبكوا فتباكوا فان أهل النار يبكون حتى تسيل دموعهم فى وجوههم كأنهـا جداول حتى تنقطع الدموع فتسيل الدماء فتفرج العيون فلو أن سفنا أزجيت فيها لجرت • فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون) •

فان ردك الله من غزوتك الى طائفة منهم فاستأذنوك فى الخروج معك الى غزوة أخرى فقل لهم لن تخرجوا معى أبدا عقوبة لكم لأنكم رضيتم بالقعود أول مرة فان جزاء السيئة سيئة مثلها كما أن ثواب الحسنة حسنة مثلها أو عشر أمثالها والله يضاعف لمن يشاء • فاقعدوا مع من قعد من المتخلفين •

وابرأ منهم يا محمد ولا تصـل على أحد منهم مات ولا تقم على قبره لتستغفر له لأنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم على ذلك ، فاسـتغفر لهم أو لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سـبعين مـرة فلن يغفر لهـم •

« ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقـا فى التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهـده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم » ١١١

يخبر الله تعالى أنه أعطى عباده المؤمنين عوضـا عن أنفسهم وأموالهم اذا بذلوها فى سبيل جنة عرضها السموات والأرض •

قال عبد الله بن رواحة رضى الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى ليلة العقبة اشترط لربك ولنفسك ما شئت فقال : (أشترط لربى أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا • وأشـــترط لنفسى أن تمنعونى مما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم) قال : فما لنا اذا فعلنا ذلك ؟

قال الجنة • قالوا ربح البيع • نقيل ولا نستقيل • فنزلت الآية الكريمة •

فسواء قتلوا أو قتلوا أو اجتمع لهم هذا وهذا فانهم حتمـــا فى الجنة فقد أكد الله هذا وقطع على نفسه عهدا وأنزله على رسله فى كتبه المنزلة وانه سبحانه وتعالى لا يخلف الميعاد • ومن أصدق من الله حديثا•

فليستبشر من قام بمقتضى هذا العقد ووفى بهذا العهد بالفوز العظيم والنعيم المقيم •

« ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفســـهم عن نفســـه ذلك بأنهم لا يصـــيبهم ظمأ[1] ولا نصب[2] ولا مخمصة[3] فى سبيل الله ولا يطئون[4] موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا الا كتب لهم به عمل صـــالح ان الله لا يضيع أجر المحسنين • ولا ينفقون نفقة صـــغيرة ولا كبـــيرة ولا يقطعون واديا الا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ماكانوا يعملون• وماكان المؤمنون لينفروا كافـــة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفـــة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون•

يأيها الذين آمنـــوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفـــار وليجـــدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين » ١٢٠ ــ ١٢٣

---

(١) عطش
(٢) تعب
(٣) مجاعة
(٤) ينزلون

ليس لأهل المدينة ومن حولهم أن يتخلفوا عن رسول الله فى الجهاد ولا يجعلوا أنفسهم راغبة عما ألقى فيه بنفسه أو لا يرغبون عن نفســه بأنفسهم وهو متضمن أمرهم بأن يصحبوه على البأســاء والضراء ويكابدوا معه الشدائد والأهوال برغبــة ونشــاط وأن يلقوا بأنفسهم فى الشدائد ما تلقاه نفسه الكريمة • فهؤلاء لن يصيبهم العطش ولا التعب ولا المشقة ولا المجاعة • ولا يدوسون مكانا من أمكنة الكفار بأرجلهم أو حوافر خيلهم وأخفاف رواحلهم ولا ينــالون من عدو ظفرا وغلبة الا كتب لهم عن أعمالهم هذه أعمالا صالحة وثوابا جزيلا • ان الله لا يضيع أجر المحسنين •

ولا ينفق هؤلاء الغزاة نفقة قليلة أو كثيرة ولا يقطعون واديا سيرا الى الأعداء الا كتب لهم وما ازداد قوم بعدا فى ســبيل الله من أهلهم الا ازدادوا به قربا من الله •

ويعلم الله المؤمنين النظــام فى حــالة الحرب فلا ينبغى لهم أن يخرجوا جميعا للجهاد ويتركوا النبى وحده فى حالة عــدم خروجه بنفسه للجهاد أو عدم النفير بل يجب أن ينقسموا قسمين • طائفــة تبقى معه لتعلم العلم والفقه فى الدين •

وطائفة تنفر للجهاد فالماكثون يحفظــون ما تجدد من الأحكام • فاذا قدم الغزاة علموهم ما تجــدد فى غيبتهم وهذا التقســيم رعاية للمصلحة فى الجانبين •

ولما أمر الله المؤمنين بقتال المشركين عامة أرشدهم لأصلح طريق وهو أن يقاتلوا الأقرب فالأقرب حتى يصلوا الى الأبعد لعدم تصــور القتال دفعة واحدة ولهذا قاتل الرسول صلى الله عليه وسلم قومه أولا ثم انتقل الى سائر العرب ثم أهل الكتاب وهم قريظة والنضير وخيبر وفدك • ثم انتقل الى غزو الروم والشام وتم فتحه فى زمن الصحابة رضوان الله عليهم • ثم انهم انتقلوا الى العراق ثم الى سائر الأقطار • واذا قاتل الأقرب أولا تقوى بمال يذل منه على الأبعد وليجد الكفار منكم غلظة عليهم فى قتالهم فان المؤمن الكامل شديد على الكافر • رحيم بأخيه المؤمن • أشداء على الكفار رحماء بينهم • فقــاتلوا الــكفار وتوكلوا على الله واعلموا أن الله معكم اذا اتقيتموه وأطعتموه وهكذا الأمر لما كانت القرون الثلاثة الذين هم خــير هــذه الأمــة فى غاية

الاستقامة والقيام بطاعة الله لم يزالوا ظاهرين على عدوهم ولم تزل الفتوحـات كثيرة والأعـداء فى خسـران • حتى دبت الفتنـة والخلافات بين الملوك وطمع الأعداء فى أطراف البلاد وتقدموا اليها فلم يمانعوا لشغل ملوكهم بعضهم ببعض واستحوذوا على كثير من بلاد الاسلام • ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ونسأله تعالى أن يمكن المسلمين من نواصى أعدائه الكافرين وأن يعلى كلمتهم فى سائر الأقطار انه سميع للدعاء مجيب •

آيات الجهاد في سورة الحج

بسم الله الرحمن الرحيم

« ان الله يدافع عن الذين آمنوا ان الله لا يحب كل خوان كفور • أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير• الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع(١) وبيع(٢) وصلوات(٣) ومساجد(٤) يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز • الذين ان مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور » ٣٨ — ٤١

ان الله تعالى يدافع عن عباده المتوكلين عليه القاصدين لجنابه والمحتمين بقوته وجبروته من شر الأشرار وكيد الفجار وهو الحافظ لهم يؤيدهم وينصرهم « ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شىء قدرا » وانه سبحانه لا يحب من يتصف بالخيانة فى العهود والمواثيق ومن يكفر ويجحد بنعم الله فلا يعترف بها

« أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا » قال ابن عباس انها نزلت فى محمد وأصحابه حين أخرجوا من مكة وقال بعض العلماء انها أول سورة نزلت فى الجهاد • واستدلوا على ذلك بأن السورة مدنية • والله سبحانه وتعالى قادر على أن ينصر عباده المؤمنين من غير قتال ولكنه يريد من عباده أن يبذلوا جهدهم فى طاعته • ويقول تعالى : « قاتلوهم

---

(١) المعابد الصغيرة يتعبد بها الرهبان
(٢) بيوت للتعبد أكثر عبادا واتساعا من الصوامع
(٣) كنائس اليهود ويسمونها صلوات وقيل كنائس النصارى
(٤) مساجد المسلمين

يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قــوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء والله عليــم حكيم » .

والآيات فى هذا كثيرة وقد سبق شرحها .

وانما شرع الله الجهاد فى الوقت المناسب له لما كان المسلمون بمكة كان المشركون اكثر عددا . فلو أمر المسلمين بالقتال وهم أقل من العشر لشق ذلك عليهم . ولما بايع أهــل يثرب رســول الله صــلى الله عليه وسلم ليلة العقبة وكانوا نيفا وثمانين رجلا وقالوا يا رسول الله آلا نميل على أهــل الوادى . يقصــدون بذلك أهــل منى فنقتلهم ؟ قال صلى الله عليه وسلم (انى لم أومر بهذا) .

ولما بغى المشركون وأخرجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين أظهرهم وأرادوا قتله . وشردوا أصحابه فمنهم من هاجر الى الحبشة ومنهم من هاجر الى المدينة ولما استقروا بالمدينــة وافاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واجتمعوا عليه ونصروه وصــارت المدينة دار اسلام . وشرع الله جهاد الاعداء فكانت أول ما نزل فى ذلك وأذن الله تعالى لهم بقتال أعدائهم وأن الله ناصرهم ومؤيدهم لأنهم أخرجوا من مكة الى المدينة بغير حق (الا أن يقولوا ربنا الله » ولا ذنب لهم الا ان قالوا ربنا الله ووحدوه وعبدوه لا شريك له .

« ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض » لولا أن الله يدفع بقوم عن قوم ويكشف شرور قوم عن آخرين بما يخلقه ويقدره من أسباب لفسدت الأرض ولأهلك القوى الضعيف ولهدمت الصوامع وهى المعابد الصغيرة التى يتعبد بها الرهبان ، والبيع وهى بيوت للتعبد أوسع من الصوامع وأكثر منها عبادا ، وصلوات أى كنائس لليهود وهم يسمونها صلوات . وقيل انها كنائس النصارى . ومساجد المسلمين التى يذكر فيها اسم الله كثيرا وقال بعض العلماء ان المقصود من ذلك هو الترقى من الأقل الى الأكثر حتى يصل الأمر الى المساجد وهى أكثر عمارا وعبادا وهم المقصودون قصدا صحيحا .

ولينصرن الله من ينصره باتباع أوامره واجتناب نواهيه • فـان الله هو صاحب القوة • والعـزة • فبقوته خلق كل شيء • وبعـزته لا يقهره قاهر ولا يغلبه غالب وان كل شيء فى ذل وافتقار اليه تعالى ومن كان العزيز الناصر مؤيده فهو المنصور وعدوه هو المقهور •

« الذين ان مكناهم فى الأرض أقـاموا الصـلاة » • الآية قال عثمان بن عفان نزلت فينا • فاخرجنا من ديارنا بغير حق الا أن قلنا ربنا الله ثم مكنا فى الأرض فأقمنا الصلاة وآتينا الزكاة وأمرنا بالمعروف ونهينا عن المنكر ولله عاقبة الأمور •

وقال عمر بن عبد العـزيز وهو يخطب : (الذين ان مكناهم فى الأرض) الآية ثم قال ألا انها ليست على الوالى وحده ولكنهـا على الوالى والمولى عليه • ألا أنبئكم بمالكم على الوالى من ذلـكم وبما للوالى عليكم منه ، ان لكم على الوالى من ذلكم أن يأخذ بحقوق الله عليكم وأن يأخذ لبعضكم من بعض،وأن يهديكم للتى هى أقوم ما استطاع وان عليكم من ذلك الطاعة غير المبزوزة ولا المستكره بها ولا المخـالف سرها علانيتها ولله عاقبة الأمور والله أعلم •

« والذين هاجروا فى سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا وان الله لهو خير الرازقين • ليدخلنهم مدخلا يرضونه وان الله لعليم حليم • ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغى عليـه لينصرنه الله ان الله لعفو غفور » ٥٨ — ٦٠

يخبر الله تعـالى عمن خرج فى سبيله مهاجر ابتغاء مرضـاته وفارقوا بلادهم حبا فى الله ورسوله ونصرة لدين الله ثم قتلوا فى الجهاد أو ماتوا من غير قتال فقد حصلوا على الأجر الجزيل (ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجـره على الله) وليجزينهم الله جزاء حسـنا من فضـله ورزقه من الجنة ما تقر به أعينهم •

ثم يدخلهم مدخلا يرضونه وان الله لعليم بمن يهاجر ويجاهد فى سبيله وبمن يستحق ذلك فيغفر لهم الذنوب ويكفرها عنهم بهجرتهم

اليه وتوكلهم عليه • ومن قتل فى سبيل الله مهاجرا أو غير مهاجر فانه حى يرزق عند ربه •

(ذلك ومن عاقب بمثل ماعوقب به) نزلت هـذه الآية فى سرية من الصحابة لقوا جمعا من المشركين فى شهر محرم فناشدهم المسلمون لكى لا يقاتلوهم فى الشهر الحرام فأبى المشركون الا قتالهم • وبغوا عليهم فقاتلهم المسلمون فنصرهم الله عليهم ان الله لعفو غفور •

« يأأيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وماجعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير » ٧٧ — ٧٨

وجاهدوا فى الله بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم فانه اصطفاكم وطهركم واختاركم على سائر الأمم وفضلكم وشرفكم وخصكم بأشرف رسول واكمل شرع •

ولم يجعل عليكم من ضيق فى دينكم ولم يكلفكم مالا تطيقون ولم يلزمكم بشىء يشق عليكم• الا جعل لكم منه مخرجا وفرجا • فالصلاة هى أكبر أركان الاسلام بعدالشهادتين • تجب فى الحضر أربعا وفى السفر تقصر الى اثنتين وفى الخوف يصليها بعض الأئمة ركعة واحدة• وتصلى رجالا وركبانا مستقبلى القبلة وغير مستقبليها وكذا فى النافلة عند السفر الى القبلة وغيرها والقيام فيها يسقط لعذر المرض فيصليها المريض جالسا فان لم يستطع فعلى جنبه الى غير ذلك من الرخص والتحقيقات فى الفرائض والواجبات ولذا يقول الرسول الأعظم (بعثت بالحنيفية السمحة) •

وقد من الله على هذه الأمة فذكرها وأثنى عليها فى سالف الدهر فى كتب الأنبياء التى يتلوها الأحبار والرهبان • وقد سماكم المسلمين من قبل هذا القرآن • وجعلكم أمة وسطا عدولا خيارا مشهودا

لعدالتكم عند جميع الأمم لتكونوا يوم القيامة شهداء على الناس وتقبل
كل الأمم شهادتكم عليهم • فان الرسل بلغتهم رسـالة ربهم ويكون
الرسول شهيدا عليكم انه بلغكم ذلك • فأدوا حق الله عليكم فيمافرض
وأطيعوه فيما أوجب•واتركوا ما حرم،ومن أهم ذلك اقامة الصلاةوايتاء
الزكاة وهـو الاحسـان الى الخلق بما أوجب للفقـير على الغنى •
واستعينوا بالله وتوكلوا عليـه فهـو حافظكم وناصركم فنعم المولى
ونعم النصير • قال وهيب بن الورد يقول الله تعالى « ابن آدم اذكرنى
اذا غضبت اذكرك اذا غضبت فلا آمحقك فيمن أمحق • واذا ظلمت
فاصبر وارض بنصرتى • فان نصرتى لك خير من نصرتك لنفسـك »
رواه بن أبى حاتم والله أعلم

آيات الجهاد
في سورة الأحزاب

بسم الله الرحمن الرحيم

« يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا. اذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم واذ زاغت[1] الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا . هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا . واذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ماوعدنا الله ورسوله الا غرورا . واذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ويستأذن فريق منهم النبى يقولون ان بيوتنا عورة وماهى بعورة ان يريدون الا فرارا » ٩ — ١٣

يقول تعالى مخبرا عباده المؤمنين باحسانه وفضله عليهم حينما هزم أعداءهم وصرفهم عنهم عندما تألبوا عليهم وذلك عام الخندق فى شوال سنة خمس من الهجرة على الصحيح المشهور ، وكان سبب قدوم الأحزاب أن بعض أشراف بنى النضير الذين أجلاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة الى خيبر وخرجوا الى مكة واجتمعوا بأشراف قريش وألبوهم على حربه صلى الله عليه وسلم ووعدهم من أنفسهم فأجابوهم لذلك . وخرجت قريش ومن تابعها بقيادة أبى سفيان وكانوا قريبا من عشرة آلاف فلما سمع الرسول بذلك أشار سلمان الفارسى بحفر الخندق فأمر الرسول بحفره . فعمل فيه المسلمون ونقل معهم الرسول التراب وحفر .

وجاء المشركون ونزلوا شرقى المدينة قريبا من أحد ونزلت طائفة منهم فى أعلى أرض المدينة كما قال تعالى « اذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم » .

---

(١) مالت من شدة الخوف

وعندما تألبت الأحزاب على الرسول صلى الله عليه وسلم أرسل عليهم ريح الصبا وجنـــودا من الملائكـــة زلزلتهم وأنزلت فى قلوبهم الرعب والخوف حتى كان رئيس كل قبيلة ينادى قومه اليه فيجتمعون اليه فيقول النجاة • النجاة • لما ألقى الله تعالى من الرعب فى قلوبهم وكان الله بما تعملون بصيرا •

« اذ جاءوكم من فوقكم » شرقى المدينة قريبا من أحد ونزلت طائفة منهم فى أعالى أرض المدينة ومن أسفل منكم وهم بنو قريظة • وزاغت الأبصار حيرة ودهشة من شدة الخوف والفزع •

وظن بعض من كانوا مع رســـول الله صـــلى الله عليه وسلم أن الدائرة على المؤمنين ونجم النفاق حتى قال بعضهم كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر فأحدنا لا يقدر أن يذهب الى الغائط ولكن المؤمنين أيقنوا أن وعد الله حق وانه سيظهره على الدين كله ولو كره المشركون •

عن أبى سعيد الخدرى قال : قلنا يوم الخندق يا رســـول الله هل من شىء نقول فقد بلغت القلوب الحناجر ؟ قال صلى الله عليه وسلم نعم قولوا اللهم استر عورتنا وآمن روعاتنا • قال • فضرب وجـــوه الأعداء بالريح فهزمهم الريح •

« هنالك ابتلى المؤمنون ••• الآية » عندما نزلت الأحزاب حول المدينة وحاصروا المسلمين وكان المسلمون فى غاية الضيق ورسول الله بينهم • ظهر النفاق لما يلاقون من ابتلاء واختبار شديد وتكلم الذين فى قلوبهم مرض بما فى صدورهم وأفصحوا عما فى نفوسهم : «ماوعدنا الله ورسوله الا غرورا » اذ قال بعضهم يا أهل يثرب لا مقام ولا اقامة لكم اليوم هنا عند رسول الله ولا مكان فارجعوا الى بيوتكم ويستأذن بعضهم النبى فى العودة الى بيوتهم التى ليس بها ما يحميها من العدو خشية منهم عليها • ولكن ليست كما يزعمون ولكنهم يريدون الهـــرب من الزحف •

« ولو دخلت عليهم من أقطـــارها ثـــم ســـئلوا الفتنـــة لأتوها وما تلبثوا بها الا يسيرا • ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار وكان عهد الله مسئولا • قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت

أو القتل واذا لا تمتعون الا قليلا . قل من ذا الذى يعصمكم من الله ان أراد بكم سوءا أو أراد بكم رحمة ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا . قد يعلم الله المعوقين[1] منكم والقائلين لاخوانهم هلم الينا ولا يأتون البأس الا قليلا . أشحة عليكم فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور أعينهم كالذى يغشى عليه من المـوت فاذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد أشحة على الخير أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيرا » ١٤ — ١٩

ان الذين يقولون ان بيوتنا عورة لو دخل عليهم الأعداء من كل جانب ثم سألوهم الدخول فى الكفر ومقاتلة المسلمين لفعلوا ذلك . فانهم لا يحافظون على ايمان ولا يستمسكون به مع أدنى خوف وفزع. وهذا ذم لهم غاية الذم . ثم يذكرهم بما عاهدوا عليه قبل الخـوف على الطاعة فى المنشط والمكره وألا يفروا عن الزحف فلابد أن الله تعالى لن يترك لهم نقض العهـد وعرفهم أن هذا الفرار لا يؤخر آجـالهم بل ربما كان ذلك سببا فى أخذهم على غرة فقال « واذا لاتمتعون الا قليـلا » بعد الفرار والهرب . فهل هناك من يتمكن من منعكم من الله ان أراد بكم شرا ؟ كلا . وألف كلا . لن تجدوا لكم ولا لغـيركم من المخلوقات أن يجيركم أو يغيثكم سواه سبحانه وتعالى هو القادر القاهر.

وهو سبحانه عالم بمن يصرفون غيرهم من الناس عـن نصرة رسول الله صـلى الله عليه وسـلم فى الحرب والقائلين لأصـحابهم وخلطائهم تعالوا معنا الى ما نحن فيه من الاقامة والأمن ولا تكونوا مع محمد فى قتال . فانا نخشى عليكم الهلاك « لا يأتون البأس الا قليلا أشحة عليكم » فهـم لا يأتون الحرب الا حينما يجدون منـه بدا . فيأتونه رياء وسمعة وأنهم بخلاء عليكم بالمودة والشـفقة . والنفقة فى سـبيل الله ، وحفر الخندق فان جاء الخوف من جهة العدو أو منه صلى الله عليه وسلم رأيتهم ينظرون اليك خوفا من القتال أو منك تدور أعينهم يمينا وشمالا دون أن تطرف كدوران من هو فى سكرات

---

(١) المثبطين المانعين عن القتـال

الموت لذهوله وشـــدة خوفه ، وفى وقت الأمن والســـلام عندما يذهب الخوف عنهم • بسطوا فيكم السنتهم بالسب والتنقيص وتكلموا كلاما بليغا فصيحا وادعوا لأنفسهم الشجاعة وهم يكذبون فى ذلك •

أما عند الغنيمة فهم أشح وأسوأ قوما مقاسمة • أعطونا•أعطونا قد شهدنا معكم • وأما عند الناس فهم جبناء • ومع ذلك هم أشحة على الخير فقد جمعوا بين الجبن والكذب وقلة الخير • فأولئك لم يؤمنوا ويصدقوا فأحبط الله عملهم وكان ذلك على الله سهلا يسيرا •

« يحسبون الأحزاب لم يذهبوا وان يأت الأحزاب يودوا لو انهم بادون فى الأعراب يسألون عن أنبائكم ولو كانوا فيكمماقاتلوا الا قليلا• لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا • ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم الا ايمانا وتسليما » ٢٠—٢٢

يحســـبون ويخيـــل اليهم أن الأحزاب قريب منهـــم ولا يودون اذا جاءت الأحزاب أنهم لا يكونوا حاضرين معكم فى المدينـــة بل فى البادية يسألون عن أخباركم وما كان من أمر عدوكم معكم ولو كانوا معكم لما قاتلوا الا قليلا لكثرة جبنهم وضعف ايمانهم والله أعلم بهم•

« لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة » • هذه الآية الكريمة أصل كبير فى التأسى برسول الله صلى الله عليه وسلم فى أفعاله وأقواله وأحواله ولهذا أمر ســـبحانه وتعـــالى بالتأسى يوم الأحزاب فى صبره ومصابرته ومجاهدته وانتظاره الفرج من ربه عز وجل • ولذا قـــال تعالى للذين تضجروا وتزلزلوا واضطربوا فى أمرهم يوم الأحزاب « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة » أى هلا اقتديتم به عليه السلام وتأسيتم بشمائله • ولذا قال تعالى « لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا » •

وعندما رأى المؤمنون الصادقون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله من الابتلاء والاختبار والامتحان الذى يليه النصر القريب•

وصدق الله ورسوله وما زادهم ذلك الضيق الا ايمانا وانقيادا لأمر الله وطاعة لرسوله .

« من المـؤمنين رجال صـدقوا ما عاهدوا الله عليـه فمنهم من قضى[1] نحبه[2] ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبـديلا . ليجزى الله الصادقين بصدقهم ويعـذب المنافقين ان شاء أو يتوب عليهم ان الله كان غفورا رحيما . ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا . وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم[3] وقذف فى قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا . وأورثكم أرضـهم وديارهم وأموالهم وأرضـا لم تطئوها وكان الله على كل شىء قديرا » ٢٣ — ٢٧

لما نقض المنافقـون العهـد الذى عاهدوا عليه الله لا يولون الأدبار . وصف الله تعالى المؤمنين أنهم استمروا على العهد والميثاق. وصدقوا ما عاهدوا الله عليه . وقيل انها نزلت فى حق أنس بن النضر رضى الله عنه لما جاء فى حديث أنس رضى الله عنه قال (غاب عمى أنس بن النضر عن قتال بدر فقال غبت عن أول قتال قاتله رسول الله صلى الله عليه وسلم .. وسيأتى ذكره فى باب الحديث ان شاء الله.

« ليميز الله الخبيث من الطيب فيظهر واضحا أمر هذا من ذاك بالفعل مع انه تعالى يعلم الشىء قبل وقوعه ولكن لا يعذب الخلق بعلمه فيهم حتى يعملوا بما يعلمه منهم كما قال تعالى «ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم) فهذا علم بالشىء بعد كونه . وان كان العلم السابق حاصلا به قبل وقوعه أو وجوده ولذا قال هاهنا « ليجزى الله الصادقين بصـدقهم » أى بصـبرهم على ماعاهدوا الله عليه وقيامهم به ويعذب المنافقين الذين نقضوا العهـد

---

(١) أدى
(٢) نذره
(٣) حصونهم

وخالفوا أمر الله فحق عليهم العذاب ولكنهم تحت مشيئته فى الدنيا ان شاء أبقاهم على ما فعلوا حتى يلقوه فيعذبهم عليه أو يتوب عليهم ان شاء بارشادهم الى الرجوع للايمان الصادق والعمل الصالح بعد الفسوق ، ان الله كان غفورا رحيما .

« ورد الله الذين كفروا بغيظهم » لما هزم الأحزاب وأجلاهم الله عن المدينة بما أرسل عليهم من ريح وجنود لم تروها ولولا انه أرسل رسوله رحمة للعالمين لكانت الريح أشد من ريح عاد ولكن الله يقول « وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم » فسلط عليهم هواء فرق جمعهم وشتت شملهم وردهم خائبين خاسرين لم ينالوا خيرا : لا فى الدنيا ولا فى الآخرة مما فعلوا من مبارزة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعداوة وهمهم بقتله واستئصال جيشه وكفى الله المؤمنين القتال فنصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده . لهذا كان الرسول يقول . الحمد لله وحده صدق وعده . ونصر عبده وأعز جنده . وهزم الأحزاب وحده . فلا شىء بعده .

وفى الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا على الأحزاب « اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الأحزاب اللهم أهزمهم وزلزلهم » فهزم الأحزاب وأعز الاسلام وأهله فله الحمد والمنة . وأنزل تعالى الذين عاونوا الأحزاب وساعدوهم على حرب رسول الله . صلى الله عليه وسلم وهم بنو قريظة من اليهود من حصونهم وقذف فى قلوبهم الرعب والخوف وكان ذلك اثر غزوة الخندق . وقد حاصرهم الرسول صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين ليلة ثم طلبوا حين اشتد عليهم البلاء أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ رضى الله عنه ، ورضى بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فحكم فيهم أن تقتل الرجال وتقسم الأموال وتسبى النساء فكبر صلى الله عليه وسلم وقال « لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة » فكان القتلى منهم على ما قيل ستمائة وسبعمائة مقاتل . وجعل الله لكم أرضهم من قتلكم لهم . وأرضا لم تطأوها بعد بقصد القتال وهى خيبر وهى مدينة كبيرة محصنة — بينها وبين المدينة أربع مراحل . وكان فتحها فى شهر المحرم من السنة السابعة وكان الله على كل شىء قادرا ومقتدرا .

آيـــات الجهـــاد
فى ســـــورة غـــافـــر

بســــــــــم الله الرحمن الرحيم

« انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد[1] • يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم ســوء الدار » ٥١ — ٥٢

شاء الله تعالى دائما أن ينصر رسله ومن اتبعهم فى الحياة الدنيا، وقد نصر الله محمدا صلى الله عليه وسلم وأصحابه على من خالفــه وكذبه وجعل كلمته هى العليا • ودينه هو الظاهر على جميع الأديان • وأمره بالهجرة من مكة الى المدينة وجعل له فيها أنصارا • ثم نصره على المشركين يــوم بدر وخــذلهم وقتل صناديدهم وأسر سراتهم فاستاقهم مقرنين فى الأصفاد • وأخذ منهم الفداء ، ثم بعد مدة قريبة أعاده الى مكة فاتحا منتصرا قرير العين بالبلد الحرام فأنقذه الله من الكفر والشرك وفتح له اليمن وخضعت له جزيرةالعرب كلها،ودخلالناس فى دين الله أفواجا ثم قبضه الله اليه وأقام له خلفاء من بعده بلغوا عنه دين الله • وفتحوا البلاد والقلوب حتى انتشرت الدعوة المحمدية فى مشارق الأرض ومغاربها •

ولا يزال هذا الدين قائما منتصرا حتى يرث الله الأرض ومن عليها • ويوم القيامة فالنصر أعظم وأكبر فى اليوم الــذى لا ينفــع الظالمين معذرتهم فلا يقبــل منهم عذر ولا فدية وجزاؤهم الطرد من رحمة الله ولهم سوء العاقبة •

---

(١) الملائكة

آيات الجهاد

في سورة محمد

بسم الله الرحمن الرحيم

« الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم • والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم • ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم كذلك يضرب الله للناس أمثالهم • فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا اثخنتموهم[1] فشدوا[2] الوثاق فاما منا بعد واما فداء حتى تضع الحرب أوزارها[3] ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلوا بعضكم ببعض والذين قتلوا فى سبيل الله فلن يضل أعمالهم • سيهديهم ويصلح بالهم • ويدخلهم الجنة عرفها لهم • يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا[4] الله ينصركم ويثبت أقدامكم • والذين كفروا فتعسا لهم وأضل أعمالهم • ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط[5] أعمالهم » •

١ — ٩

ان الذين كفروا ومنعوا غيرهم • أبطل أعمالهم ولم يجعل لهم ثوابا • وأما الذين آمنت قلوبهم وانقادت لشرع الله ظواهرهم وبواطنهم وآمنوا بما أنزل على محمد من الحق • محا عنهم سيء أعمالهم قبل الايمان فلم يعاقبهم عليه وأصلح حالهم وشأنهم فى الدين والدنيا بالتوفيق والتأييد كذلك يبين الله لهم مآل أعمالهم وما يصيرون اليه فى معادهم فيأيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا فاحصدوهم

(١) اهلكتموهم وبالغتم فى قتلهم
(٢) فأحكموا قيد من أسرتم
(٣) آلات الحرب واثقالها
(٤) تنصروا جانب الله فى نفوسكم على جانب الشيطان فتكونوا الى جانب الله أميل
(٥) ابطل اعمالهم

بالسيوف حصدا حتى اذا أهلكتموهم قتلا • وأهنتموهم بالجراح ومنعتموهم من الحركة وأسرتم منهم من أسرتم فأحكموا قيدهم حتى لا يفلتوا • وبعد انتهاء الحرب وانفصال المعركة فأنتم مخيرون فى أمرهم • ان شئتم مننتم عليهم باطلاق سراحهم • وان شئتم فاديتموهم بالمال حتى تضع الحرب آلاتها وأثقالها التى لا تقوم الا بها كالسلاح والعتاد المعروف فى الحرب قديما وحديثا وهذا كناية عن انقضاء الحرب بهزيمة العدو أو بالموادعة حتى لا يبقى حرب مع المشركين وتزول شوكتهم •

ولو أراد الله لانتقم منهم بالعقاب والنكال من عنده • ولكنه شرع لكم القتال والجهاد محقا للكافرين • ومن قتل فى سبيل الله فلن يذهب الله عمله بل يكثره وينميه ويضاعفه • وسيهديهم ربهم الى الجنة ويصلح أمرهم وحالهم ويدخلهم الجنة زينها وعطرها لهم وعرفهم بها وهداهم اليها • فيهتدى أهلها الى بيوتهم ومساكنهم وحيث قسم الله لهم منها فلا يخطئون كأنهم ساكنوها منذ خلقوا • لا يستدلون عليها أحد[1] •

عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (اذا خلص المؤمنون من النار حبسوا بقنطرة بين الجنة والنار يتقاضون مظالم كانت بينهم فى الدنيا حتى اذا هذبوا ونقوا اذن لهم فى دخول الجنة والذى نفسى بيده ان أحدهم لأعرف بمنزله فى الجنة وأهدى منه بمنزله الذى كان فى الدنيا) وان تنصروا الله ينصركم فالجزاء من جنس العمل • من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها ويثبت الله قدميه على الصراط يوم القيامة•

وعنه صلى الله عليه وسلم قال (من بلغ ذا سلطان حاجة من لا يستطيع ابلاغها ثبت الله تعالى قدميه على الصراط يوم القيامة • والذين كفروا فتعسا لهم وأضل أعمالهم وأبطلها ذلك بأنهم لا يريدون ولا يحبون ما أنزل الله وكرهوه فأولئك أبطل الله ثواب أعمالهم) •

« أفلم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر[1] الله عليهم وللكافرين أمثالها • ذلك بأن الله مولى الذين

---

(١) خرب

آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم • ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الأنهار والذين كفروا يتمتعـــون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم[1] • وكأين من قرية هى أشد قوة من قريتك التى أخرجتك أهلكناهم فلا ناصر لهم » ١٠ — ١٣

يقصد المشركين بالله • المكذبين لرسوله • أفلم يسيروا فى الأرض فيروا عاقبة الذين من قبلهم كيف عاقبهم الله بالتدمـير والخـراب لتكذيبهم وكفرهم وكيف نجى الله المؤمنين من بينهم وستلاقون أيهـا المشركون مثل ما لاقى الذين من قبلكم من الخراب والدمار ذلك لأن الله مولى الذين آمنوا وهو نعم المولى ونعم النصير •

أما الذين كفروا فلا سند لهم ولا حافظ من السوء والعذابويوم القيامة يدخل الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الأنهار • والمشركون يتمتعون فى دنياهم ويأكلون منهـا كأكل الأنعام تأكل كثيرا غافلة من عاقبتها بعد التسمين وهى الذبح • وكذلك هؤلاء يتمتعون بمختلف متع الحيـاة الدنيـا غافلين عما ينتظرهم من عقاب وعذاب • وقد ثبت فى الصحيح (المؤمن يأكل فى معى واحد • والكافر يأكل فى سبعة أمعاء) ويوم القيامة ليس له جزاء سوى النار وبئس القرار • « وكأين من قرية هى أشـد قـوة من قريتك التى أخرجتك » يعنى مكة لأنهم كذبوا رسوله •

عن ابن عباس رضى الله عنهما (ان النبى صلى الله عليه وسلم لما خرج من مكة الى الغار التفت الى مكة وقال : أنت أحب بلاد الله• الى الله وأنت أحب بلاد الله الى ولولا أن المشركين أخرجونى لـم أخرج منك) فأعدى الأعداء من عدا على الله تعالى فى حرمه فأنزل تعالى (وكأين من قرية هى أشد قوة من قريتك التى أخرجتك أهلكناهم فلا ناصر لهم) •

---

(١) مستقرا

« ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة فاذا أنزلت سورة محكمة[1] وذكر فيها القتال رأيت الذين فى قلوبهم مرض ينظرون اليك نظر المغشى[2] عليه من الموت فأولى لهم طاعة وقول معروف فاذا عزم الأمر فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم • فهل عسيتم ان توليتم[3] أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم • أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم » ٢٠ — ٢٣

يقول تعالى عن المؤمنين أنهم تمنوا شرعية الجهاد فلما فرضه الله وأمر به تحول عنه كثير منهم وكانوا يقولون لولا نزلت سورة مشتملة على حكم القتال ؟؟

فاذا أنزلت السورة وذكر فيها القتال رأيت الذين فى قلوبهم مرض منهم من شدة كراهتهم للقتال ينظرون نظر المحتضر من فزعهم ورعبهم وجبنهم من لقاء العدو وكان الأولى بهم أن يسمعوا ويطيعوا فى هذه الحالة الراهنة • ويقولون قولا كريما • اذا جد الحال وحضر القتال • ولو خلصوا النية لله لكان أفضل لهم وأحسن فهل تيقنتم ان رجعتم عن الجهاد ونكلتم وعدتم الى ما كنتم عليه فى الجاهلية من سفك الدماء • وقطع الأرحام • وقد أمر الله بالاصلاح فى الأرض وصلة الأرحام والاحسان للاقارب والجيران فى الأقوال والأفعال وبذل الأموال •

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (خلق الله تعالى الخلق فلما فرغ منه قامت الرحم فأخذت بحقوى[4] الرحمن عز وجل فقال مه ! فقالت هذا مقام العائذ بك من القطيعة فقال تعالى : ألا ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟ قالت بلى•قال فذاك لك • قال أبو هريرة : أقرأوا ان شئتم (فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم) •

---

(١) غير منسوخة
(٢) نظر المحتضر من سكرات الموت
(٣) نكلتم وعدتم
(٤) موضع شد الازار

وعن عمر البصرى عن سليمان قال : صلى الله عليه وسلم (الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف) وبه قال صلى الله عليه وسلم (اذا ظهر القول وخزن العمل وائتلفت الألسنة وتباغضت القلوب • وقطع كل ذى رحم رحمه • فعند ذلك لعنهم الله وأصمهم وأعمى أبصارهم •) والله أعلم •

«أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها • ان الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم[1] وأملى لهم»

٢٤ — ٢٥

يأمر الله تعالى بتدبير القرآن وتفهمه وينهى عن الاعراض عنه فيقول « أفلا يتدبرون القرآن » أفلا يفهمون هذا الكتاب أم على قلوبهم أقفال قاسية لا تقبل التدبر والتفكر فى آيات الله • أما الذين رجعوا الى ما كانوا عليه من الكفر والضلال وهم المنافقون زين لهم الشيطان وغرهم وخدعهم وحسن اليهم الكفر فقالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم فى بعض الأمر • فمالؤوهم وناصحوهم فى الباطن على الباطل ، وهذا شأن المنافقين ولكن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون وهو مطلع عليهم •

« فكيف اذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم • ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم•أم حسب الذين فى قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم[2] • ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم فى لحن القول والله يعلم أعمالكم » •

٢٧ — ٣٠

أى فكيف حال الكافرين والمنافقين اذا جاءتهم الملائكة لقبض أرواحهم • وتعاصت فى أجسادهم • فاستخرجتها الملائكة بالعنف قهرا وضربا « أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون

---

(١) زين لهم
(٢) حقدهم وحسدهم

على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون » • ولذا قال هاهنـــا وذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم »•

هل يعتقد هؤلاء المنافقون الذين فى قلوبهم مرض وحقد وحسد أن الله لا يكشف أسرارهم ويعرف عباده المؤمنين أمرهم !!

كلا انه سبحانه وتعالى فضح أمرهم حتى يفهمه ذووا البصائر ولهذا فضحهم فى سورة براءة ولذا كانت تسمى سورة الفاضحة •

ولو شئنا يا محمد لأريناك أشخاصهم فعرفتهم عيانا ولكن يفعل الله ذلك بالمنافقين سترا منه على خلقــه وحتى ينفرد ســبحانه بعلم السرائر • وستعرفهم فيما سيبدو من كلامهم فان الكلام يدل على القصد • وعن عثمان بن عفان رضى الله عنه (ما أسر أحد من سريرة الا أبداها الله على صفحات وجهه وفلتات لســانه) وفى الحـــديث (ما أسر أحد سريرة الا كساه الله جلبابها ان خيرا فخير وان شرا فشر)•

« ولنبلونكم[1] حتى نعلم المجــاهدين منكم والصــابرين ونبلوا أخباركم • ان الذين كفروا وصدوا[2] عن سبيل الله وشاقوا[3] الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى لن يضروا الله شيئا وسيحبط أعمالهم • يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم• ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفرالله لهم • فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم[4] أعمالكم » ٣١ — ٣٥

ولنختبرنكم بالأوامر والنواهى حتى نعلم علما شهوديا يشهده غيرنا مطابقا لما نعلمه علما غيبيا فيستخرج منكم ما جبلتم عليه ممــا لا يعلمه أحد منكم • وان الذى كفر وصرف عن سبيل الله وخالف

---

(١) نختبرنكم
(٢) أعرضوا
(٣) خالفوا
(٤) ينقصكم

وأرتد عن الايمان من بعد ما ظهر له الهدى فانه لن يضر الله شيئا وانما يضر نفسه سيحبط الله عمله • فلا يشبه عليه ولا على سالف ما تقدم من عمله الذى عقبه بردته فان الله سيمحقه كلية « يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول » •

عن ابن عمر رضى الله عنهما قال كنا معشر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نرى أنه ليس شىء من الحسنات الا مقبولا • حتى نزلت « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم » فقلنا ما هذا الذى يبطل أعمالنا ؟ فقلنا الكبائر الموجبات والفواحش حتى نزل قوله تعالى « ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » فلما نزلت كففنا عن القول فى ذلك فكنا نخاف على من أصاب الكبائر والفواحش ونرجو الغفران لمن أصابها •

ولا تبطلوا أعمالكم بارتكاب المعاصى أو بالنفاق والرياء أو المن بالاسلام فان الذين كفروا وصرفوا عن دين الله وماتوا وهم على الكفر • فلن يغفر الله لهم ذنوبهم • فيأيها المؤمنون لا تضعفوا عن الأعداء وتدعوا للمهادنة والمسالمة خورا واظهارا للعجز وأنتم الأقوياء فى الحجة الغالبون بقوة الايمان والله ناصركم ومظفركم على أعدائكم ولن يحبط الله أعمالكم بل سيوفيكم ثوابها ولا ينقصكم منها شيئا •

« انما الحياة الدنيا لعب ولهو وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم ولا يسئلكم أموالكم • ان يسئلكموها فيحفكم[1] تبخلوا ويخرج أضغانكم • هأنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا فى سبيل الله فمنكم من يبخل ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه والله الغنى وأنتم الفقراء وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم » ٣٦ — ٣٨

يحقر الله الدنيا ويهين شأنها لأن حاصلها باطل وغرور • لاثبات له ولا امتداد الا ماكان منها لله عز وجل • وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم • ولا يسألكم كل أموالكم فهو غنى عنكم لا يطلب منكم شيئا

---

(١) يجهدكم فى طلبها

وانما فرض عليكم الصدقات مواســاة للفقراء من اخــوانكم لتنالوا ثوابه رحمة منه وفضلا ، ولم يجهدكم فى طلبهــا كلها فتبخلوا ويظهر أحقادكم لمزيد حبكم للمال ، وها أنتم تدعــون للانفــاق فمنــكم من لا يستجيب للانفاق فى سبيل الله ، ومن لا يستجيب فانمــا نقص من أجر نفسه ويعود ذلك عليه بالوبال والخسران والله غنى وكل ما سواه فقير اليه ، وقد بين الله تعالى أنكم أنتم الفقراء دائما وهو الغنى دائما، وان تتولوا عن طاعته واتباع ما أمركم به ونهاكم عنه يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم •

ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد • وما ذلك على الله بعزيز •

آيـات الجهـــاد
فى ســـورة الفتـــح

بسم الله الرحمن الرحيم

« هو الذى أنزل السكينة[1] فى قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم ولله جنود السموات والأرض وكان الله عليما حكيما • ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجـرى من تحتها الأنهـار خالدين فيهـا ويكفر[2] عنهم سيئاتهم وكان ذلك عند الله فوزا عظيما • ويعـذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السـوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيرا • ولله جنود السموات والأرض وكان الله عزيزا حكيما » •

٤ — ٧

هو الذى جعل الطمأنينة والوقار فى قلوب المؤمنين يوم الحديبية الذين استجابوا لله وللرسول فلما اطمأنت قلوبهم لذلك واسـتقرت زادهم ايمانا مع ايمانهم ولو أرسل عليهم ملكا واحدا لأباد خضراءهم ولكنه شرع الجهاد للمؤمنين لما له فى ذلك من حكمة بالغة • وبراهين دامغة وكان الله عليما حكيما • وليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أى ماكثين فيها أبدا ، ويكفر عنهم خطاياهم وذنوبهم فلا يعاقبهم عليهـا بل يعفو ويغفر ويستر ويرحم • وكان ذلك عند الله فوزا عظيما لقوله عز من قائل « فمن زحزح عن النـار وأدخل الجنة فقد فاز » الآية • « ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء » أى يتهمون الله تعالى فى حكمه ويظنون بالرسول وأصحابه أن يقتلوا ويذهبوا بالكلية • عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم وأبعدهم من رحمته وأعد لهم جهنم

---

(١) الطمأنينة
(٢) يمحو عنهم

وساءت مصيرا ، وقال مؤكدا لقدرته على الانتقام من الكفرة والمنافقين. « ولله جنود السموات والأرض وكان الله عليما حكيما » .

« انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا . لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه[1] وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلا . ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث[2] فانما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما . سيقول لك المخلفون من الأعراب شغلتنا أموالنا وأهلونا فاستغفر لنا يقولون بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم قل فمن يملك لكم من الله شيئا ان أراد بكم ضرا أو أراد بكم نفعا بل كان الله بما تعملون خبيرا » .

٨ — ١١

انا أرسلناك شاهدا على الخلق ومبشرا للمؤمنين ونذيرا للكافرين لتؤمنوا بالله ورسوله وتعظموه وتوقروه احتراما واجلالا واعظاما وتسبحوا الله فى أول النهار وآخره . ثم قال عز وجل تعظيما وتشريفا لرسوله: ان الذين يبايعونك أى يعاهدونك ويمتثلون لأوامر الله فان الله حاضر معهم يسمع أقوالهم ويرى سرهم وعلنهم فمن نكث فانما يعود وبال ذلك عليه والله غنى عنه ومن أوفى ولم ينقض عهده فسيؤتيه ثوابا جزيلا . وهذه البيعة هى بيعة الرضوان وكانت تحت شجرة سمرة بالحديبية وكان الصحابة قد بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم . يومئذ ؟ ويخبر الله تعالى رسوله بما يعتذر به المخلفون من الاعراب الذين استنفرتهم ليخرجوا معك حذرا من قريش أن يعرضوا لك بحرب أو يصدوك عن البيت . فتثاقلوا وتخلفوا خوفا من القتال وقالوا لن يرجع محمد واصحابه من هذه السفرة ففضحهم الله بهذه الآية . وأعلم رسوله بقولهم واعتذارهم قبل أن يرجع اليهم . وظنهم ظن السوء وكانوا قوما هلكى . ومن لم يخلص لله العمل باطنا وظاهرا سيعذبه الله تعالى فى السعير وان أظهر للناس ما يعتقدون خلاف ماهو عليه فى نفس الأمر وان الله تعالى هو الحاكم المالك المتصرف فى

---

(١) تعظموه
(٢) نقض

السموات والأرض ومن فيهن يغفر لمن يشاء ويعذب من يشـــاء والله غفور رحيم لمن تاب وأناب وعمل صالحا ثم اهتدى •

« بل ظننتم أن لن ينقلب[1] الرسول والمؤمنون الى أهليهم أبدا وزين ذلك فى قلوبكم وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا[2] • ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا أعتدنا للكافرين سعيرا • ولله ملك السموات والأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشـــاء وكان الله غفورا رحيما • سيقول المخلفـــون اذا انطلقتم الى مغانم لتأخذوها ذرونا[3] نتبعكم يريدون ان يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبـــل فسيقولون بل تحسدوننا بل كانوا لا يفقهون الا قليلا • قل للمخلفين من الأعراب ستدعون الى قوم أولى بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون فان تطيعوا يؤتكم الله أجرا حسنا وان تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذابا أليما • ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتهـــا الأنهار ومن يتول يعذبه عذابا أليما » ١٢ — ١٧

يقول تعالى لمن تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عمرة الحديبية عنـــدما ذهب هو وأصحـــابه رضى الله عنهم الى خيبر يفتحونها • انهم يسألون أن يخرجوا معهم الى المغنم وقد تخلفـــوا عند محاربة الأعداء فأمر الله تعالى رسوله الا يأذن لهم فى ذلك معاقبة لهم من جنس ذنبهم فالجزاء من جنس العمـــل ، وقد وعد الله أهـــل الحديبية بمغانم خيبر لا يشاركهم فيها أحد من الأعراب المتخلفين، فلا يقع غير ذلك شرعا • وهذا وعد الله الذى وعد به أهل الحديبية• وقال ابن جريج يريدون أن يبدلوا كلام الله أى بتثبيطهم المسلمين عن الجهاد• « قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل » أى هذا وعـــد الله لأهل الحديبية قبل سؤالكم الخروج معهم فسيقولون بل تحسدوننا • أى

(١) يرجع
(٢) هلكى
(٣) اتركونا

نشركم فى المغانم !! ولكن الأمر ليس كما زعموا وأنهم لافهم لهم.فقل لمن تخلفوا من الأعراب ستدعون الى قوم أولى بأس شـــديد وذوى نجدة وشدة فى الحرب وهم فارس أو الروم أو هوازن وغطفان يوم حنين . أو بنو حنيفة أصحاب مسيلمة الكذاب . تقاتلونهم أو يسلمون. أى شرع لكم جهادهم فلايزال ذلك مســتمرا ولكم النصرة عليهم أو يدخلون فى دينكم بلا قتال . فان تستجيبوا وتنفــروا الى الجهــاد وتؤدوا ما عليكم يؤتكم الله أجرا حسنا وان توليتم كما توليتم زمن الحديبية حيث دعيتم فتخلفتم يعذبكم عذابا أليما . وذكر الله الأعذار فى ترك الجهاد فمنهـا لازم كالعمى والعرج المستمرين ومنهـا عارض كالمرض الذى يطرأ ثم يزول . ومن يطع الله ورســوله يدخله جنــات تجرى من تحتها الأنهار ومن يعصه سبحانه ويتخلف عن الجهاد يعذبه عذابا أليما بالمذلة فى الدنيا وبالنار فى الآخرة .

« لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبـا . ومغـانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزا حكيما . وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذه وكف أيدى الناس عنكم ولتكون آية للمؤمنين ويهديكم صراطا مستقيما . وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها وكان الله على كل شىء قديرا » ١٨ — ٢١

يبين الله تعالى رضاه عن المؤمنين الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة وقد تقدم ذكرهم . وقد علم ما فى قلوبهم من الصدق والوفاء والسمع والطـاعة فأنزل عليهم الطمأنينة وأصلح على أيديهم ما بينهم وبين أعدائهم وجعلهم فى خير مســتمر ففتحوا خيبر ومكة وسائر البلاد والأقاليم .

وأعزهم الله ورفع شأنهم فى الدنيا والآخرة .

وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذه بفتــح خيبر وصلح الحديبية وأبعد أذى الناس عنكم فلم ينلكم سوء مما أضمره

اعداؤكم من حرب وقتال • وحفظ لكم عيالكم ونساءكم فى غيابكم ولتكن هذه آية لكم وتعلموا أن الله حافظكم وناصركم على أعدائكم مع قلة عددكم • ولتعرفوا وتتأكدوا أن الله عالم بعواقب الأمور وأن الخيرة فيما يختاره الله لعباده المؤمنين وان كرهوا ذلك فى الظاهر ، ويهديكم صراطا مستقيما لطاعتكم له وموافقتكم لرسوله (وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها) وهنك فتح آخر وغنيمة لم تقدروا عليها وهى مغانم هوازن فى غزوة حنين • لم تقدروا عليها لما كان فيها من الجولة قبل ذلك فاستولى عليها وأظفركم بها وكان الله على كل شىء قديرا •

وقد اختلف المفسرون فى الغنائم فقال بعضهم (وأخرى لم تقدروا عليها) وهى خيبر وقال قتادة هى مكة واختاره ابن جرير •وقال الحسن البصرى هى فارس والروم وقال مجاهد وابن عباس هى كل فتح وغنيمة الى يوم القيامة والله أعلم •

« ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الأدبار ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا • سنة الله التى قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا وهو الذى كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم وكان الله بما تعملون بصيرا » ٢٢ — ٢٤

لو ناجزكم المشركون لنصركم عليهم ولانهزم جيش الكفار فارا لا يجد وليا ولا نصيرا • وهذه سنة الله فى خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا • فانه ما تقابل الكفر والايمان فى موطن فاصل الا كان النصر حليف الايمان (وهو الذى كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة) امتنان من الله على عباده المؤمنين حين كف أيدى المشركين عنهم فلم ينلهم سوء وكف أيدى المؤمنين عن المشركين فلم يقاتلوهم عند المسجد الحرام وصان كلا منهما واصلح ما بينهما والصلح خير للمؤمنين لأنه كان نصرا مبينا لهم وكان الله بما تعملون بصيرا •

« لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رءوسكم ومقصرين لا تخافون فعلم مالم تعلموا

فجعل من دون ذلك فتحا قريبا • هوالذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا • محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم فى التوراه ومثلهم فى الانجيل كزرع أخرج شطئه[1] فازره[2] فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما » ٢٧ — ٢٩

« كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رأى فى المنام انه دخل مكة وطاف بالبيت فأخبر أصحابه بذلك وهو بالمدينة •

فلما ساروا عام الحديبية لم يشك جماعة منهم أن هذه الرؤيا تتحقق وتفسر هذا العام فلما وقع الصلح ورجعوا ذلك العام على أن يعودوا فى العام الذى يليه • وقد وقع فى نفس الصحابة رضى الله عنهم شىء • حتى سأل عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى ذلك فقال له فيما قال أفلم تكن تخبرنا أنا سنأتى البيت ونطوف به ؟ قال بلى أفأخبرتك انك تأتيه عامك هذا ؟ قال : لا • قال صلى الله عليه وسلم ، فانك آتيه ومطوف به فكانت هذه الآية تصديقا وتحقيقا لما رأى صلى الله عليه وسلم قد دخلوا المسجد الحرام بمشيئة الله آمنين عند دخولهم محلقين رؤوسهم ومقصرين • لأنهم كان منهم من حلق رأسه ومنهم من قصر •

وثبت فى الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (رحم الله المحلقين) قالوا والمقصرين يا رسول الله ؟ قال صلى الله عليه وسلم (رحم الله المحلقين) قالوا والمقصرين يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم (رحم الله المحلقين) قالوا والمقصرين يا رسول الله ؟ قال صلى الله عليه وسلم والمقصرين فى الثالثة أو الرابعة • وأكد الله تعالى لهم الأمان حال دخولهم ونفى الحرب عنهم حال استقرارهم فى البلد لا يخافون من أحد •

---

(١) الشطأ هو فروخ الزرع
(٢) قواه

وقد علم الله تعالى مالم تعلموه عندما صرفكم عن مكة عامكم هذا ذلك مالم تعلموا قبل دخولكم الذى وعدتم به فى رؤيا الرسول صلى الله عليه وسلم من الصلح الذى كان بينكم وبين المشركين ونصر رسوله على عدوه وعلى جميع أهل الأرض وأرسله بالعلـــم النافع والعمــل الصالح ليظهره على جميع الأديان من سائر أهل الأرض من عــرب وعجم ومسلمين ومشركين وكفى أن الله يشهد أنه لرسوله وهو ناصره

« محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة » • وأما مثلهـــم فى الانجيل كزرع أخرج فروخه فقواه الله فشب وطال واســتوى على ســوقه يعجب الزراع وكذلك أصحاب محمد صلى الله عليه وســلم آزروه وأيدوه ونصروه فهم معه كالشطء مع الزرع • وقد أفتى الامام مالك رحمــه الله فى رواية عنه بتكفير الروافض الذين يبغضون الصحابة رضوان الله عليهم • قال لأنهم يغيظونهم ومن غاظهم فهو كافر • ووافقه طائفة من العلماء رضى الله عنهم على ذلك • ووعد الله الذين آمنوا ثوابا جزيلا ورزقا كريما ووعد الله حق وصدق لا يخلف الله وعده •

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رســول الله صــلى الله عليه وسلم « لا تسبوا أصحابى فوالذى نفسى بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه » • صدق رسول الله •

آيات الجهاد
في سورة الحجرات

بسم الله الرحمن الرحيم

« وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء[1] الى أمر الله فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا ان الله يحب المقسطين . انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون»
٩ — ١٠

يأمر الله تعالى باصلاح ذات البين . الطائفتين المتقاتلين لازالة أسباب الخصام ووجوب النصح وقد ثبت فى صحيح البخارى عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه قال : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب يوما ومعه على المنبر الحسن بن على رضى الله عنهما . فجعل ينظر اليه مرة والى الناس مرة أخرى ويقول : ان ابنى هذا سيد ولعل الله تعالى ان يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين فكان كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . أصلح الله تعالى به بين فئتين عظيمتين من المسلمين وهم أهل الشام وأهل العراق بعد الحروب الطويلة وقوله تعالى فان بغت احداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى أمر الله وتسمع للحق وترضخ له . كما ثبت فى الصحيح عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (انصر أخاك ظالما أو مظلوما . قلت يا رسول الله هذا نصرته مظلوما فكيف أنصره ظالما ؟ قال صلى الله عليه وسلم تمنعه من الظلم فذاك نصرك اياه) .

وان فاءت الباغية ورجعت الى الحق فاعدلوا بينهما واعطوا كل ذى حق حقه ان الله يحب المقسطين .

(انما المؤمنون اخوة) فالجميع اخوة فى الدين (وفى الصحيح . مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتواصلهم كمثل الجسد الواحد اذا

---

(١) ترجع

اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر) فاصلحوا بين أخويكم واتقوا الله فى جميع أموركم •

« انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون » ١٥

انمـــا المؤمنين الكمل الذين لم يشكوا ولا تزلزلوا وثبتوا على حال واحدة وهو التصديق الكامل لله ورسوله وبذلوا كل غال وثمين فى طاعة الله ورضوانه أولئك هم الصادقون فى قولهم اذا قالوا •

عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رســـول الله صلى الله عليه وسلم : المؤمنون فى الدنيـــا على ثلاثة أجزاء • الذين آمنوا بالله ورسوله ولم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله • والذى يأمنه الناس على أموالهم وأنفسهم فى ســـبيل الله • والذى اذا أشرف على طمع تركه لله عز وجل ، ومن جاهد بنفسه وماله فى سبيل الله أولئك هم الصادقون •

آيات الجهاد

في سورة الحديد

بسم الله الرحمن الرحيم

« ومالكم ألا تنفقوا فى سبيل الله ولله ميراث السموات والأرض لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير • من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له وله أجر كريم » ١٠ – ١١

عن عبد الله بن الشخير عن أبيه قال : انتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول : (الهاكم التكاثر) يقول ابن آدم مالى مالى : ! وهل لك من مالك الا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت • رواه مسلم وزاد عليه – وما سوى ذلك فذاهب وتاركه للناس •

يرغب الله تعالى فى الايمان والانفاق الخالص المجرد من الرياء وابتغاء السمعة وماذا يمنعكم من الايمان ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أيديكم يدعوكم • وقد ورد فى شرح كتاب الايمان من صحيح البخارى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوما لأصحابه أى المؤمنين أعجب اليكم ايمانا • قالوا الملائكة • قال ومالهم لا يؤمنون وهم عند ربهم ؟ قالوا فالأنبياء قال فمالهم لا يؤمنون والوحى ينزل عليهم • قالوا فنحن • قال ومالكم لا تؤمنون وأنا بين أظهركم ؟ ولكن أعجب المؤمنين ايمانا قوم يجيئون بعدكم يجدون صحفا يؤمنون بما فيها •

(وقد أخذنا ميثاقكم) وقد بايعتم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أنزل الله على رسوله آيات واضحة وبراهين قاطعة ليخرجكم من الظلمات الى النور من ظلمات الجهل والكفر الى نور الايمان

واليقين وقد أنزل الله لكم الكتاب وأرسل الرسل رحمة بكم ورأفة • فلم لا تنفقون !! انفقوا ولا تخشوا فقرا أو اقلالا مما تنفقون فى سبيل من بيده مقاليد السموات والأرض وعنده خزائنها • فمن توكل على الله أنفق ولم يخش من ذى الحق اقلالا (لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل) •

كان المسلمون فى شدة قبل الفتح ولم يكن يؤمن يومئذ الا الصديقون • ولما فتح الله تعالى مكة دخل الناس فى دين الله أفواجا فلا يستوى من أنفق من قبل الفتح وقاتل فأولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى •

(من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له) • عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : لما نزلت هذه الآية قال أبو الدحداح الأنصارى • يا رسول الله • وان الله ليريد منا القرض ؟ قال نعم يا أبا الدحداح • قال أرنى يدك يا رسول الله قال فناوله يده • قال : فانى اقرضت ربى حائطى وله حائط فيه ستمائة نخلة • وأم الدحداح فيه وعيالها • قال فجاء أبو الدحداح فناداها • يا أم الدحداح قالت لبيك • قال اخرجى فقد أقرضته ربى عز وجل • قالت ربح البيع يا أبا الدحداح • ونقلت منه متاعها وصبيانها • وان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (كم من عذق[1] رداح فى الجنة لأبى الدحداح • وفى لفظ رب نخلة مدلاة عروقها در وياقوت لأبى الدحداح فى الجنة)

(١) النخلة بحملها

آيات الجهاد
في سورة الحشر

بسم الله الرحمن الرحيم

« سبح لله ما فى السموات وما فى الأرض وهو العزيز الحكيم .
هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر
ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم
الله من حيث لم يحتسبوا وقذف فى قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم
بأيديهم وأيدى المؤمنين فاعتبروا يأولى الأبصار . ولولا أن كتب الله
عليهم الجلاء لعذبهم فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب النار . ذلك بأنهم
شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب . ماقطعتم
من لينة[1] أو تركتموها قائمة على أصولها فباذن الله وليخزى الفاسقين » .

١ — ٥

(سبح لله ما فى السموات وما فى الأرض وهو العزيز الحكيم) ان جميع
من فى السموات السبع والأرض ومن فيهن يسبح بحمده ويقدسه
ويصلى له وحده وهو منيع الجناب حكيم فى قدره وشرعه . وهو
الذى أخرج يهود بنى النضير . الذين عاهدوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم لما قدم المدينة وأعطاهم عهدا على ألا يقاتلهم ولا يقاتلوه .
فنقضوا عهدهم فأحل الله بأسه بهم . وأنزل قضاءه الذى لا مرد له .
فأجلاهم وأخرجهم من حصونهم التى طمع فيها المسلمون . وظنوا
أنها ما نعتهم من عقاب الله وبأسه فلم تغن عنهم هذه الحصون شيئا
وأجلاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة وأنزلهم من
حصونهم على أن يأخذوا منها ما يمكن أن تحمله ابلهم .

---

(١) نوع من البلح الجيد

فكانوا يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين فتفكروا يا أولى الأبصار فى عاقبة من كذب كتاب الله وكذب رسوله كيف يحل به الخزى والدمار • هذا زيادة عما يدخر له من عذاب أليم فى الآخـــرة • ولولا أن كتب الله عليهم النفى من ديارهم وأموالهم لكان لهم عذاب آخر فى الدنيا من قتل وسبى ونحو ذلك وفى الآخرة عذاب النار الذى لابد منها لهم ذلك أنهم كذبوا وخالفوا الله ورسوله ومن يخالف اللهورسوله فان الله شديد العقاب •

(ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبأذن الله وليخزى الفاسقين) •

نزلت هذه الآية حين اختلف الصحابة فى قطع نخل لبنى النضير كان موضعا للقتال معهم فمنهم من قطع ومنهم من أمسك فأى شىء قطعتم منه أو تركتم على ما هو عليه فبأمر الله تعالى فلا جناح عليكم فيما فعلتم وليخزى الفاسقين •

« وما أفاء[1] الله على رسوله منهم فما أوجفتم[2] عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شىء قدير • ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كى لا يكون دولة[3] بين الأغنياء منكم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ان الله شديد العقاب » ٦ — ٧

يبين الله تعالى الفىء وصفته وحكمه وهو ما أخذ من الـــكفار بدون قتال أو مبارزة بل أفاءه الله على رسوله ولهذا تصرف فيه كما يشاء فرده على المسلمين فى وجوه البر لله ، ولذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل لكى لا يكون مأكلة يتغلب عليهـــا الأغنيـــاء

---

(١) كل ما أخذ من الكفار بدون قتال
(٢) اسرعتم فى الســـــير
(٣) ماكلة يتصرف فيها الغنى كيف يشــــاء

ويتصرفون فيها حسب أهوائهم وآرائهم • ومهما أمركم الرسـول فافعلوه وما نهاكم عنه فانتهوا واجتنبوا • فانما يأمر بالخير وينهى عن الشر • وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى علمه شـديد القوى • واتقوا الله وامتثلوا أوامره فانه شديد العقاب لمن عصـاه وخالف أمره وارتكب ما نهى عنه •

« للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون• والذين تبوءوا[1] الدار والايمـان من قبلهم يحبـون من هاجر اليهم ولايجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولوكان بهم خصاصة[2] ومن يوق شح نفسه • فأولئك هم المفلحون • والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سـبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رءوف رحيم »•

٨ — ١٠

يبين الله تعالى حال الفقراء المستحقين للفىء أنهم أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا فخالفوا قـومهم ابتغاء مرضاة الله ورضوانه ، ونصرا لله ورسوله ، وهم الذين صدقوا قولهم بأعمالهم وهم سادات المهاجرين فيهم يقول تعالى مادحا الأنصار ومبينا فضلهم وكرمهم (والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم) وسكنوا دار الهجرة قبل المهاجرين وآمنوا قبل كثير منهم • ويحبون من هاجر اليهم ويواسونهم بأموالهم •

عن أنس رضى الله عنه قال : (قال المهاجرون يا رسـول الله ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم أحسن مواساة فى قليل ولا احسن بذلا فى كثير • لقد كفونا المؤنة وأشركونا فى المهنأ حتى خشينا أن يذهبوا بالأجر كله قال : (لا ما أثنيتم عليهم دعوتم الله لهم)• وانهم لا يجدون فى صدورهم حسدا للمهاجرين فيما فضلهم الله به من المنزلة ومما يدل على هذا المعنى • حديث أنس رضى الله عنه قال :

(١) نزلوا المدينـة
(٢) حـاجة

. كنا جلوسا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يطلع عليكم رجل من أهل الجنة • فطلع رجل من الأنصار ينظف لحيته من وضوئه قد علق نعليه بيده الشمال فلما كان الغد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مثل ذلك فطلع ذلك الرجل مثل المرة الأولى • فما كان اليوم الثالث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل مقالته ايضا فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأولى فلما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص • فقال : انى لاجحت أبى فأقسمت انى لا أدخل عليه ثلاثا فان رأيت أن تؤوينى اليك حتى تمضى قال نعم • قال أنس فكان عبد الله يحدث انه يأت معه تلك الليالى الثلاث فلم يره يقوم من الليل شيئا غير أنه اذا تعار تقلب على فراشه ذكر الله وكبر حتى يقوم لصلاة الفجر • قال عبد الله غير أنى لم أسمعه يقول الا خيرا فلما مضت الليالى الثلاث كدت أن أحتقر عمله • قلت ياعبد الله لم يكن بينى وبين أبى غضب ولا هجرة ولكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لك ثلاث مرات (يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة) فطلعت أنت فى الثلاث مرات • فأردت أن آوى اليك لأنظر ما عملك فاقتدى بك ؟ فلم أرك تعمل كبير عمل فما الذى بلغ بك ماقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال هو ما رأيت• غير انى لا اجد لأحد من المسلمين غشا ولا أحسد احدا على خير أعطاه الله اياه • قال عبد الله فهذه التى بلغت بك وهى لا تطاق •

« ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » أى يقدمون حاجة الناس على حاجتهم ويبدأون بغيرهم حتى ولو كانوا فى حاجة لما يقدمون •

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أصابنى الجهد • فأرسل الى نسائه فلم يجد عندهن شيئا فقال صلى الله عليه وسلم (الا رجل يضيف هذا الليلة رحمه الله) فقام رجل من الأنصار فقال أنا يارسول الله فذهب الى أهله فقال لأمرأته هذا ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت والله ما عندى الا قوت الصبية • فقال اذا أراد الصبية

العشاء فنوميهم وتعالى فاطفئى السراج ونطوى بطوننا الليلة ففعلت ثم غدا الرجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال (لقد عجب الله عز وجل) وانزل قوله تعالى « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » • ومن سلم من شح النفس فقد أفلح ونجح •

وروى أن رجلا قال كنت أطوف بالبيت فرأيت رجلا يقول اللهم قنى شح نفسى • لا يزيد على ذلك فقلت له : فقال انى • اذا وقيت شح نفسى لم أسرق ولم أزن ولم افعل • واذا الرجل عبد الرحمن ابن عوف رضى الله عنه •

وعن ابى هريرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا يجتمع غبار فى سبيل الله ودخان جهنم فى جوف عبد ابدا • ولا يجتمع الشح والايمان فى قلب عبد أبدا » •

والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا — أى بغضا ولا حسدا — للذين آمنوا ربنا انك رؤوف رحيم •

« ألم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحـدا أبدا وان قوتلتم لننصرنكم والله يشهد انهم لكاذبون • لئن أخرجـوا لا يخرجون معهـم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليـولن الأدبار ثم لا ينصرون • لأنتم أشد رهبة فى صدورهم من الله ذلك بأنهم قوم لا يفقهون • لا يقاتلونكم جميعا الا فى قرى محصنة او من وراء جـدر بأسهم بينهم شـديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون » ١١ — ١٤

يخبر الله تعالى عن المنافقين حين بعثوا الى يهـود بنى النضير يعدونهم النصر من أنفسهم ويقولون لهم ان أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبدا • وان قوتلتم لننصرنكم والله شهيد على أنهم كاذبون فيما وعدوا • فانهم يقولون بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم

وان قوتلتم لا يقاتلون معكم • وان قاتلوا معكم ليفرون من القتال ثم لا ينصرون • فأنتم أشد رهبة فى قلوبهم فهم يخافونكم كخوفهم من ربهم أو أكثر خوفا كقوله تعالى : (اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية) ذلك بأنهم قوم ليس لهم قلوب يفقهون بها وقد عميت أبصارهم • فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور •

وأنهم من جبنهم وخوفهم لا يقدرون على مقاتلة جيش المسلمين وجها لوجه ، ولكن قتالهم اما فى حصون أو من وراء جدر ولكن عداوتهم فيمـــا بينهم شـــديدة وتراهم مجتمعين فتحســـبهم مؤتلفين ولكنهم مختلفون فى كل أمورهم • وهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا وصل اليه لم يجده شيئا والمقصود بذلك هم أهل الكتاب والمنافقين ذلك بأنهم قوم لا عقول لهم •

آيات الجهاد
فى سورة الممتحنة

بسم الله الرحمن الرحيم

« يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول واياكم أن تؤمنوا بالله ربكم ان كنتم خرجتم جهادا فى سبيلى وابتغاء مرضاتى تسرون اليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل » . الآية ١

نزلت هذه الآية فى حاطب بن أبى بلتعة وكان من المهاجرين وممن شهد بدرا فكان له فى مكة قرابة قريبة . وليس له فى قريش نسب اذ هو مولى . فأرسل كتابا الى أناس من المشركين بمكة يخبرهم ببعض أمر النبى — صلى الله عليه وسلم — فى شأن غزوهم ليتخذ يدا فيحموا بها أقاربه . مع امرأة تسمى سارة . فأطلع الله نبيه بما كان معه فأرسل فى أثرها عليا كرم الله وجهه ومعه آخرون . فأحضروا الكتاب فقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ما هذا يا حاطب ؟ قال لا تعجل على انى كنت امرأ ملصقا فى قريش ولم أكن من أنفسهم وكان معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون أهليهم بمكة فأحببت اذا فاتنى ذلك من النسب فيهم أن أتخذ فيهم يدا يحمون بها قرابتى وما فعلت ذلك كفرا ولا ارتدادا عن دينى ولا رضا بالكفر بعد الاسلام . فقال صلى الله عليه وسلم : (انه صدقكم) فقال عمر دعنى أضرب عنق هذا المنافق فقال صلى الله عليه وسلم : انه قد شهد بدرا وما يدريك لعل الله اطلع الى أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم .

وتتوددون وتتقربون اليهم وهم الذين يحاربون الله ورسوله وقد أمر الله بعداوتهم ونهى أن يتخذ المؤمنون منهم أولياء وأحباء كما قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم » .

عن حذيفة رضى الله عنه قال : ضرب لنا رسول الله — صلى الله عليه وسلم —أمثالا : واحدا . وثلاثة.وخمسة.وسبعة.

وتسعة • وأحد عشر • قال فضرب منها مثلا وترك سائرها قال :
(ان قوما كانوا أهل ضعف ومسكنة قاتلهم أهل تجبر وعداء فأظهر أهل الضعف عليهم فعمدوا الى عدوهم فاستعملوهم وسلطوهم فاسخط الله عليهم الى يوم يلقــونه • ان هؤلاء الكفــار أخرجوا الرســول وأصحابه من مكة كراهة لماهم عليه من التوحيد والاخلاص لله • وليس لهم ذنب الا ايمانهم بالله رب العالمين • فان كنتم خرجتم مجاهدين فى سبيلى تبغون مرضاتى عنكم فلا توالوهم فهم أعدائى وأعداؤكم وقد أخرجوكم من دياركم • تسرون اليهم بالمودة والمحبة سرا • والله تعالى أعلم بالسرائر والضمائر واعلموا أنهم لو قدروا عليكم لما أبقوا منكم أحدا الا ونالوه بالأذى بالقول والفعل فانهم حريصون كل الحرص على أنكم لا تنالون خيرا فعداوتهم لكم ظاهرة • فكيف تأمنون لهم وتوالونهم ، فان قرابتكم لا تنفعكم عند الله ان أراد بكم سوءا وان نفعهم لن يصل اليكم اذا رضيتموهم بما يغضب ربكم •

ومن يفعل ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل •

« لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم[1] وتقسطوا[2] اليهم ان الله يحب المقسطين • انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون»

٨ — ٩

لا ينهاكم الله عن الاحسان للكفار الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يظاهروا أو يعاونوا على اخراجكم كالنساء والضــعاف والصبية • أن تحسنوا اليهم وتعدلوا فى معاملتهم ان الله يحب المقسطين •

وفى الحديث الصحيح عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم —
(المقسطون على منابر من نور عن يمين العرش يعدلون فى حــكمهم وأهاليهم وماولوا) وانما ينهاكم الله عن موالاة هؤلاء الذين ناصبوكم العداء وأخرجوكم وعاونوا على اخراجكم ويأمركم بمعاداتهم وقد أكد الوعيد بقوله : (ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون) •

---

(١) تحسنوا اليهم
(٢) تعدلوا

آيات الجهاد

فى سورة الصف

بسم الله الرحمن الرحيم

« سبح لله ما فى السموات وما فى الأرض وهو العزيز الحكيم • يأيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون • كبر مقتا عند الله ان تقولوا مالا تفعلون • ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص » ١ — ٤

انكارا وتوبيخا على من يعد وعدا أو يقول قولا من الخير عن نفسه ولم يقم بفعله • فهو اما كاذب • أو مخلف لوعده وكلاهما مذموم •

روى أن نفرا من المسلمين قالوا • لو علمنا أحب الأعمال الى الله تعالى لبذلنا فيها أموالنا وأنفسنا فلما نزل الأمر بالجهاد كرهوه • فنزلت الآية توبيخا على اخلافهم ما وعدوا • وقد ثبت فى الصحيحين أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال: آية المنافق ثلاث • اذا وعد أخلف ، واذا حدث كذب ، واذا اؤتمن خان » •

وفى حديث آخر : « أربع من كن فيه كان منافقا خالصا • ومن كانت فيه واحدة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها • اذا وعد أخلف ، واذا حدث كذب ، واذا اؤتمن خان ، واذا خاصم فجر •

وان الله تعالى يخبر بمحبته لعباده المؤمنين • اذا اصطفوا مواجهين للاعداء يقاتلون فى سبيله من كفر به لتكون كلمة الله هى العليا ودينه هو الظاهر على سائر الأديان •

عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله — صلى

الله عليه وسلم : (ثلاثة يضحك الله اليهم • الرجل يقوم من الليل ، والقوم اذا اصطفوا للصلاة ، والقوم اذا صفوا للقتال كأنهم بنيان مرصوص) •

قال قتادة • ألم تر الى صاحب البنيان كيف لا يحب أن يختلف بنيانه وكذلك الله عز وجل لا يحب أن يختلف أمره وان الله صـــف المؤمنين فى صلاتهم وصفهم فى قتالهم فعليكم بأمر الله فانه عصمة لمن أخذ به •

« يأيها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم • تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى ســبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون • يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار ومساكن طيبة فى جنات عدن ذلك الفوز العظيم• واخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين » ١٠ — ١٣

ان الصحابة رضى الله عنهم أرادوا أن يسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أحب الأعمال الى الله عز وجل ليفعلوه •

فأنزل الله تعالى سورة الصف ومن جملتها هذه الآية • وقد فسر التجارة العظيمة التى لا تبور والتى هى محصلة للمقصــود • ومزيلة للمحذور فقال تعالى : « تؤمنون بالله ورســوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وانفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون » فان هذه التجارة خير لكم من تجارة الدنيا والكد لها والتصدى لها وحدها• فان فعلتم ما أمرتكم به ودللتكم عليه • غفرت لكم الزلات وأدخلتكم الجنات والدرجات العاليات • جنات عدن تجرى من تحتها الأنهار ومساكن طيبة فى جنات عدن تجرى من تحتها الأنهار • ومساكن طيبة فى جنات عدن ذلك الفوز العظيم • وأزيدكم على ذلك زيادة تحبونها وهى اذا قاتلتم فى ســبيلى ونصرتم دينى تكفلت بنصركم فان الله ينصر من ينصره « ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز » •

وسيجعل لكم فتحا عاجلا وهى الزيادة • وانها لخــير الدنيــا موصول بنعيم الآخرة لمن نصر الله ورسوله ونصر دينه • ولذا قال وبشر المؤمنين •

آيات الجهاد
في سورة التحريم

بسم الله الرحمن الرحيم

« يأيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير » ٩

يأمر الله سبحانه وتعالى نبيه بجهاد الكفار بالسيف ، وجهاد المنافقين بالحجة والبرهان وأن يشدد عليهم النكير ويستعمل الخشونة معهم ويلزمهم الحجة وينذرهم ويحذرهم أن من خالف ما أمر الله فهو فى الآخرة فى جهنم وساءت مصيرا .. والله أعلم .

باب الحديث

١ ـ عن أنس رضى الله عنه أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « لغدوة[1] أو روحة فى سبيل الله خير من الدنيا وما فيها » .

الشرح :

لغدوة واحدة وهى الخروج فى أى وقت كان من أول النهار الى انتصافه . أو روحة واحدة وهى الخروج فى أى وقت كان من زوال الشمس الى غروبها . جهادا فى سبيل الله خير من الدنيا وما حوت . لأن جميع ما فى الدنيا لا يساوى ذرة مما فى الجنة . فالمراد هو أن ثواب الجهاد أفضل وأعظم مما لو كانت له الدنيا كلها فأنفقها فى طاعة الله . وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لما بعث جيشا فيهم عبد الله بن رواحة . فتأخر ليشهد الصلاة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له صلى الله عليه وسلم : « والذى نفسى بيـده لو أنفقت ما فى الأرض جميعا ما أدركت فضل غدوتهم » .

٢ ـ عن أبى عبس الحارثى قال : سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : (من اغبرت قدماه فى سبيل الله حرمه الله على النـار) . رواه أحمد . والبخارى . والنسائى . والترمذى .

الشرح :

ان مجرد مس الغبار للقدم موجب من موجبات السلام من النار

٣ ـ عن أبى هريرة رضى الله عنه قال . قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : (من قاتل فى سبيل الله فواق ناقة وجبت له الجنة) . رواه أحمد والترمذى .

الشرح :

فواق الناقة هو قدر مابين الحلبتين من الاستراحة .

---

(١) بالضم : البكرة أو مابين صلاة الفجر وطلوع الشمس وبالفتح مرة فى الذهاب أول النهار فيمابين هذين

٤ — عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : مر رجل من أصـحاب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بشعب فيه عيينة من ماء عذبة فأعجبته لطيبها فقال لو اعتزلت الناس فأقمت فى هذا الشعب ولن أفعل حتى أستأذن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فذكر ذلك لرسول الله عليه وسلم فقال : « لا تفعل فان مقام أحدكم فى سبيل الله أفضل الله — صلى الله عليه وسلم — فقال : « لا تفعل فان مقام أحدكم فى سبيل الله أفضل من صلاته فى بيته سبعين عاما • ألا تحبون أن يغفر الله لكم اغزوا فى سبيل الله • من قاتل فى سبيل الله فواق ناقة وجبت له الجنة » •

الشرح :

عندما مر الصحابى على مكان فيه عين صغيرة من ماء نقى صالح للشرب حدثته نفسه فى أن يعتزل الناس ويقيم الى جوارها لعبادة الله • ولكنه قال لن أفعل حتى أستأذن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فلما استأذنه قال لا تفعل • لم !! لأن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — لم يبعث بالنصرانية ولا باليهودية • أى بالتعبد فى الكنائس والأديرة •

ولكن الله بعثه بالحنيفية السمحة • ولذا قال للصحابى • لوقفة أحدكم فى صف القتال خير من صلاته فى بيته سبعين عاما • ألا تحبون أن يغفر الله لكم • جاهدوا فى سبيل الله • من جاهد فى سبيل الله مقدار ما بين الحلبتين كان حقا على الله أن يدخله الجنة •

٥ — عن سلمان الفارسى قال : سمعت رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يقول : « رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه • وان مات جرى عليه عمله الذى كان يعمله • وأجرى عليه رزقه وأمن الفتان » • رواه أحمد ومسلم والنسائى •

الشرح :

رباط : أى تأهب الفريقين كل منهما معد لصاحبه • ومنه قوله تعالى : « وصابروا ورابطوا » والمراد بالفتان : هو الشـيطان لأنه يفتن الناس عن الدين وقيل الفتان منكر ونكير •

٦ — عن أبى أيوب قال : انما نزلت هـذه الآية فينـا معشر الأنصار • لمـا نصر الله نبيه وأظهر الاسلام قلنا هل نقيم فى أموالنا

ونصلحها ؟ فأنزل الله تعالى : « وأنفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة » فالالقاء بأيدينا الى التهلكة أن نقيم فى أموالنا ونصلحها وندع الجهاد • رواه أبو داود •

الشرح :

ندع الجهــاد ـــ نترك الجهــاد •

٧ ـــ عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ يقول : (عينان لا تمسهما النار عين بكت من خشية الله • وعين باتت تحرس فى سبيل الله » • الترمذى •

الشرح :

المراد : حراسة الجيش وكل ما يتعلق بحراسة الأموال العامة تطوعا فيكون له الأجر لمـــا فى الحراسة من تعب وعناء ابتغاء وجه الله •

٨ ـــ عن أأنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم : « ثلاث من أصل الايمان الكف عمن قال لا اله الا الله لانكفره بذنب • ولا نخرجه من اسلام بعمل • والجهاد ماض مذ بعثنى الله الى أن يقاتل آخر أمتى الدجال • لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل• والايمان بالأقدار » • رواه أبو داود وحكاه أحمد •

الشرح :

الجهاد مستمر مادام الاسلام والمسلمون حتى يظهر الدجال • لقوله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ • لا تزال طائفة من أمتى يقاتلون على الحقظاهرين على من ناوأهم حتى يقاتل آخرهم المسيح الدجال• لايبطل هذا الجهاد ظلم ظالم ولا عدل عادل • أى أنه لا فرق فى حصول فضل الجهاد سواء كان الجهاد تحت لواء امام ظالم أو امام عادل •

٩ـــ عن أبى موسى قال: سئل رسولالله ـــ صلىالله عليهوسلم ـــ عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء فأى ذلك فى سبيل الله ؟ قال : « من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله » • رواه الجماعة •

الشرح :

اذا قاتل الرجل حتى يقال عنه انه شجاع • أو كان قتاله من أجل أهل أو أصحاب أو غضبا لجلب منفعة • أو ليرى الناس مكانه • فكل هذا ليس فى سبيل الله • ولكنه اذا قاتل دفاعا عن دينه ووطنه لتكون كلمة الله — وهى الاسلام — هى العليا فهو فى سبيل الله •

١٠ — عن زيد بن خالد قال : قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم : « من جهز غازيا فقد غزا ومن خلفه فى أهله بخير فقد غزا » • متفق عليـــه •

الشرح :

الغازى : هو المجاهد • فمن هيأ له أسباب سفره وما يحتـــاج اليه كتب له مثل أجره • غير أنه لا ينقص من أجر المجاهد شىء • وكذا من يخلفه فيمن ترك بعده يباشر شيئا من المشقة أيضا • فان الغازى لا يأتى منه الغزو الا بعد أن يكفى ذلك العمل فصار كأنه يباشر الغزو معه بخلاف من اقتصر على النية مثلا •

١١ — عن أبى قتادة عن رسول الله —صلى الله عليه وسلم— أنهقام فيهم • فذكر لهم أن الجهاد فى سبيل الله والايمان بالله أفضل الأعمال فقام رجل فقال يا رسول الله أرأيت ان قتلت فى سبيل الله تكفر عنى خطاياى ؟ قال له رسول الله — صلى الله عليه وسلم : «نعم ان قتلت فى سبيل الله وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر • ثم قال رسول الله — صلى الله عليه وسم — كيف قلت ؟ قال أرأيت ان قتلت فى سبيل الله تكفر عنى خطاياى ؟ فقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — • نعم وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر • الا الدين • فان جبريل عليه السلام قال لى ذلك» رواه أحمد ومسلم والنسائى والترمذى وصححه ولأحمد والنسائى من حديث أبى هريرة مثله •

الشرح :

هذا دليل على ان الجهاد فى سبيل الله مع الاحتساب مستحق للمغفرة العامة الا اذا كان هناك دين على الشهيد فانه لا يغفر الابرضاء المدين والله أعلم •

١٢ — عن عائشة رضى الله عنها، قالت خرج رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قبل بدر • فلما كان بحرة الوبرة • أدركه رجل قد كان تذكر منه جرأة ونجدة ففرح به أصحاب رسول الله حين رأوه فلما أدركه قال جئت لأتبعك فأصيب معك • فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تؤمن بالله ورسوله • قال لا قال فارجع فلن أستعين بمشرك »

قالت ثم مضى حتى اذا كان بالشجرة أدركه الرجل فقال له كما قال أول مرة • فقال : « لا • قال فارجع فلن أستعين بمشرك قالت فرجع • فأدركه بالبيداء • فقال له كما قال أول مرة أتؤمن بالله ورسوله قال نعم • فقال له : انطلق » رواه أحمد ومسلم •

الشرح :

(بحرة الوبرة) مكان على بعد أربعة أميال من المدينة (الشجرة والبيداء) اسم مواضع • قال بعض العلماء ان الاستعانة بالمشركين كانت ممنوعة ثم رخص بها وقد ذهب جماعة من العلماء الى أن الاستعانة تجوز بالكفار والفساق حيث يستقيمون على أوامره ونواهيه واستدلوا باستعانته — صلى الله عليه وسلم — بصفوان بن أمية يوم حنين • ويجوز الاستعانة بالمنافق اجماعا لاستعانته — صلى الله عليه وسلم — بابن أبى وأصحابه ويجوز الاستعانة بالفساق على الكفار اجماعا • والرأى والأمر فى ذلك متروك للامام والقائد اذا رأى أن فى ذلك نصرا للمسلمين •

١٣ — عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : ما رأيت أحدا قط كان أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله صلى الله عليه وسلم • رواه الشافعى

الشرح :

يتبين من ذلك أن تستحب المشورة • ويستدل على أنه يشرع للامام ان يستكثر من استشارة أصحابه الموثوق منهم دينا وعقلا ويقول تعالى : « وشاورهم فى الأمر » •

١٤ — عن سهل بن معاذ عن أبيه قال : غزونا مع النبى — صلى الله عليه وسلم — ، غزوة كذا وغزوة كذا فضيق الناس الطريق • فبعث رسول الله — صلى الله عليه وسلم — مناديا فنادى : « من ضيق منزلا أو قطع طريقا فلا جهاد له » • رواه أحمد وأبو داود •

الشرح :

يدل هذا الحديث على انه لا يجوز لأحد أن يضيق الطريق التى تمر بها الناس • ولا جهاد لمن فعل ذلك • وفى هذا مبالغة فى الزجر والتنفير وكذلك لا يجوز تضييق المنازل التى ينزل بها المجاهدون لأن ذلك يضر بهم •

١٥ — عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : « الغزو غزوان فأما من ابتغى وجه الله وأطاع الامام • وانفق الكريمة • وياسر الشريك • واجتنب الفساد •فان نومه ونبهه أجر كله • وأما من غزا فخرا ورياء وسمعة وعصى الامام فانه لن يرجع بالكفاف رواه أحمد وأبو داود والنسائى•

الشرح :

المراد انفاق الحصيلة الكريمة عند المنفق وهى محبوبة اليه • وسامح الشريك وعامله معاملة حسنة ولم يعاسره • واجتنب عمل الفساد فان نومه وانتباهه فى سبيل الله فكله أجر • وأما من غزا طالبا للتفاخر ونفاقا وطمعا فى أن يقول الناس عنه انه بطل مجاهد • وعصى من أمر عليه ولو كان عبدا حبشيا ، رأسه زبيبة فليس له فى الثواب نصيب ويلزمه الاثم • لأن الطاعات اذا لم تكن بقلب خالص ونية طيبة فانها تنقلب الى معاصى •

١٦ — عن سلمان بن بريدة عن أبيه قال • كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أمر أميرا على جيش أو سرية أوصاه فى خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرا • ثم قال : « اغزوا فى سبيل الله • قاتلوا من كفر بالله • اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدة • واذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم الى ثلاث خصال أو خلال • فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف، عنهم ادعهم الى الاسلام • فان أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم • ثم ادعهم الى التحول من دارهم الى دار المهاجرين وأخبرهم أنهم ان فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين فان أبوا أن يتحولوا منها فأخبرهم أنهم يكونوا كأعراب المسلمين يجرى عليهم الذى يجرى على المسلمين ولا يكون لهم فى الفىء والغنيمة شىء الا أن يجاهد مع المسلمين فان هم أبوا فسلهم الجزية فان أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم • وان أبوا فاستعن بالله عليهم وقاتلهم • واذا حاصرت أهل

حصن فارادوك ان تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه ، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك ، فانكم انتخفروا ذمتكم وذمة اصحابكم أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة رسوله ، واذا حاصرت أهل حصن وأرادوك أن تنزلهم على حكم الله فلا تنزلهم على حكم الله ، ولكن أنزلهم على حكمك فانك لا تدرى أتصب فيهم حكم الله أم لا » ، رواه أحمد ، ومسلم ، وابن ماجه ، والترمذى وصححه ،

الشرح :

(قوله ذمة الله) الذمة عقد الصلح والمهادنة ، وانما نهى عن ذلك لئلا ينقض الذمة من لا يعرف حقها وينهك حرمتها بعض من لا تمييز له من الجيش فيكون ذلك أشد لأن نقض ذمة الله ورسوله أشد من نقض ذمة أمير الجيش أو ذمة جميع الجيش وان كان نقض الكل محرما ،

١٧ ــ عن على رضى الله عنه قال: « بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية واستعمل عليهم رجلا من الأنصار وأمرهم أن يسمعوا له ويطيعوا ، فعصوه فى شيىء ، فقال : اجمعوا الى حطبا فجمعوا ، ثم قال أوقدوا نارا فأوقدوا ، ثم قال ألم يأمركم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تسمعوا وتطيعوا ؟ قالوا بلى ، قال فادخلوها ، فنظر بعضهم الى بعض وقالوا انما فررنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من النار فكانوا كذلك حتى سكن غضبه وطفئت النار ، فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو دخلوها لم يخرجوا منها أبدا ، وقال لا طاعة فى معصية الله ، انما الطاعة فى المعروف » متفق عليه ،

الشرح :

السرية طائفة من الجيش ، وقيل ان الأمير على هذه السرية كان عبد الله بن حذافة السهمى وكان من أصحاب بدر وكان فيه دعابة وانما أراد بذلك أن طاعة الأمير واجبة ، ومن ترك الواجب دخل النار فاذا شق عليكم دخول هذه النار فكيف بالنار الكبرى ، وكان قصده أنه لو رأى منهم الجد فى دخولها لمنعهم (لو دخلوها لم يخرجوا منها) يقصد بها تلك النار لأنهم يموتون بتحريقها فلا يخرجون منها أحياء، وليس المقصود نار جهنم لأنه قد ثبت فى حديث الشفاعة أنه يخرج من

النار من كان فى قلبه مثقال حبة من ايمان • والمقصود هنا هو الزجر والتخويف • ولا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق انما الطاعة فى المعروف • والله اعلم •

١٨ — عن سهل بن معاذ عن أبيه عن رسول الله صلى الله الله عليه وسلم انه قال : لأن أشيع غازيا فأكفيه فى رحله غدوة أو روحة أحب الى من الدنيا وما فيها • رواه احمد • وابن ماجه •

الشرح :

المقصود هو توديع المجاهد القائم للغزو واعانته الى بعض ما يحتاج اليه من مؤنة • فان الجهاد من أفضل العبادات • والمشاركة فى مقدماته من أفضل المشاركات •

١٩ — عن أم عطيه الأنصارية قالت: غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع غزوات أخلفهم فى رحالهم وأصنع لهم الطعام وأداوى الجرحى وأقوم على الزمنى • رواه أحمد • ومسلم • وابن ماجة •

الشرح :

قولها غزوت دليل على انها خرجت عازمة الدفاع عن نفسها • وقد ورد فى صحيح مسلم عن أنس أن أم سليم اتخذت خنجرا يوم حنين • فقالت اتخذته ان دنى منى أحد من المشركين بقرت بطنه • فاذا خرجت عازمة على الجهاد • وفى بعض الحالات يكون سقى الجرحى ومداواتهم وصنع الطعام للمحاربين والقيام على المبتلين • وفى هذا دليل واضح على أنه يجوز للمرأة الأجنبية معالجة الرجل الأجنبى للضرورة • ويقول بعض العلماء • ان ذلك يختص بذوات المحارم وان دعت الضرورة فليكن ذلك بدون مباشرة ولامس • ويستدلون على ذلك انه عند موت المرأة وعدم وجود امرأة لغسلها فيجوز للرجل غسلها من وراء حائل فى قول بعضهم • وقال ابن المغير• الفرق بين المداواة وغسل الميت أن الغسل عبادة وأما المداواة ضرورة• والضرورات تبيح المحظورات • والزمنى • المرضى بمرض مزمن •

٢٠ — عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « انطلقوا باسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله لا تقتلوا شيخا

فانيا • ولا طفلا صغيرا • ولا امرأة • ولا تغلوا وضموا غنائمكم • وأصلحوا وأحسنوا ان الله يحب المحسنين » • رواه أبو داود •

فى هذا الحديث الشريف يبين الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم نواحى اجتماعية اسلامية حتى وقت الحروب ، وليت رجال القرن العشرين يتخذون من هذا الحديث دستورهم ، انهم ان فعلوا ذلك لاستراح العالم من شرور الحرب وماتجره على الانسانية من من ويلات •

٢١ — عن يحيى بن سعيد أن أبا بكر بعث جيوشا الى الشام • فخرج يمشى مع يزيد بن أبى سفيان وكان يزيد أمير ربع من تلك الأرباع فقال : « انى موصيك بعشر خلال•لا تقتل امرأة ولا صبيا • ولا كبيرا هرما • ولا تقطع شجرا مثمرا• ولا تخرب عامرا • ولا تعقرن شاة• ولا بعيرا الا لمأكله • ولا تعقرن نخلا ولا تحرقه • ولا تغلل • ولا تخبن » • رواه مالك •

الشرح :

لا تعقرن • لا تجرحن شاة ولا بعيرا الا لمأكله • لا تعقرن نخلا • لا تقطعن نخلا ولا تغلل الاخذ من الغنيمة قبل قسمتها • ولا تخبن • ولا تسرع بالاخذ فى الامر ولا تخادعن •

٢٢ — عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة رهطا عينا • وأمر عليهم عاصم بن ثابت الانصارى • فانطلقوا حتى اذا كانوا بالهداه وهو بين غسقان ومكة ذكروا لبنى لحيان فنفروا لهم قريبا من مائتى رجل كلهم رام فاقتفوا اثرهم • فلما رآهم عاصم وأصحابه لجأوا الى فدفد وأحاط بهم القوم • فقالوا لهم انزلوا واعطوا بأيديكم ولكم العهد والميثاق أن لا نقتل منكم أحدا • قال عاصم بن ثابت أمير السرية • أما أنا فوالله لا أنزل اليوم فى ذمة كافر • اللهم خبر عنا نبيك فرموهم بالنبل فقتلوا عاصما فى سبعة • فنزل اليهم ثلاثة بالعهد والميثاق • منهم خبيب الانصارى • وابن دئنة • ورجل آخر فلما استمكنوا منهم أطلقوا أوتار قسيهم فأوثقوهم • فقال الرجل الثالث هذا أول الغدر والله لا أصحبنكم • ان لى فى هؤلاء لأسوة • يريد القتلى فجردوه وعالجوه على أن يصحبهم فأبى فقتلوه وانطلقوا بخبيب وابن دئنة حتى باعوهما بمكة بعد وقعة

بدر وذكر قصة خبيب الى أن قال استجاب الله لعاصم بن ثابت يوم أصيب فأخبر النبى أصحابه خبرهم وما أصيبوا • فاشترى خبيبا بنو الحرث بن عامر بن نوفل وكان خبيب هو الذى قتل يوم بدر الحارث فمكث عندهم أسيرا حتى أجمعوا على قتله • فاستعار موسى من بعض بنات الحرث ليستخدمها فأعارته قالت فغفلت عن صبى لى فدرج اليه حتى أتاه فوضعه على فخذه فلما رأيته فزعت فزعة حتى عرف ذلك منى وفى يده الموسى فقال أتخشين أن أقتله ما كنت لأفعل ذلك ان شاء الله تعالى • وكانت تقول ما رأيت أسيرا قط خيرا من خبيب لقد رأيته يأكل من قطف عنب وما بمكة يومئذ ثمرة وأنه لموثق بالحديد وما كان الا رزقا ساقه الله خبيبا • فخرجوا من الحرم ليقتلوه • فقال دعونى أصلى ركعتين ثم انصرف اليهم فقال لولا أن تروا ان ما بى جزع من الموت لزدت • فكان أول من سن الركعتين عند القتل وقال اللهم أحصهم عددا • وقال :

ولست أبالى حين أقتل مسلما
على أى جنب كان فى الله مصرعى
وذلك فى ذات الاله وان يشأ
يبارك على أوصال شلو ممزع

ثم قام اليه عقبة بن الحرث فقتله وبعثت قريش الى عاصم ليأتوا بشىء من جسده بعد موته • وكان قتل عظيما من عظمائهم يوم بدر • فبعث الله عليه مثل الظلة من الدبر فحمته من رسلهم فلم يقدروا منه على شىء • رواه البخارى •

الشرح :

(فدفد) المكان المرتفع (عينا) جاسوسا (الظلة) الشىء المظل من فوق (الدبر) بتشديد الدال وسكون الباء وبعدها راء مهملة جماعة النحل (قسيهم) جمع أقواس أى جمع الجمع •

٢٣ — عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : اجتنبوا السبع الموبقات • قالوا وما هن يا رسول الله ؟ قال : الشرك بالله • والسحر • وقتل النفس التى حرم الله الا بالحق • وأكل الربا • وأكل

مال اليتيم، والتولى يوم الزحف ،وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات» متفق عليه .

الشرح :

يستدل من ذلك على أن السبع المذكورة من كبائر الذنوب . وأن الفرار من الزحف من الكبائر المحرمة . وقد ذهب جماعة ممن أهل العلم الى أن الفرار من موجبات الفسق « ومن يولهم يومئــذ دبره الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصــير » .

٢٤ ــ عن أسماء بنت يزيد . قالت . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا أيها الناس ما يحملكم أن تتابعوا على الكذب كتتابع الفراش فى النار . الكذب كله على ابن آدم حرام الا فى ثلاث خصال . رجل كذب على امرأته ليرضيها . ورجل كذب فى الحرب فإن الحرب خدعة . ورجل كذب بين مسلمين ليصلح بينهما » . الترمذى .

الشرح :

(التتابع) التهافت فى الأمر (الفراش فى النار) الذى يتواقع فى ضوء السراج فيحترق .

٢٥ ــ عن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه قال : بينما أنا واقف فى الصف يوم بدر نظرت عن يمينى فاذا بين غلامين[1] من الأنصار حديثة أسنانهما تمنيت لو كنت بين أضلع منهما . فغمزنى أحدهما . فقال يا عم هل تعرف أبا جهل ؟ قال قلت نعم وما حاجتك اليه يا ابن أخى ؟ قال أخبرت أنه يسب رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لئن رأيته لا يفارق سواده سوادى حتى يموت الأعجل منا . قال فعجبت لذلك . فغمزنى الآخر . فقال مثلها فلم أنشب أن

---

(١) يقال ان معاذا ومعوذا ابنى عفراء اثبتا أبا جهل ، ثم وجده عبدالله ابن مسعود فى آخر رمق فوضع رجله على عنقه وضربه فقطع رأسه وأتى بسلبه الى النبى صلى الله عليه وسلم .

وفى مسلم أن اللذين قتلاه معاذ بن عمرو بن الجموح ومعاذ بن عفراء وهو ابن الحارث وعفراء أمه ، وهى ابنة عبيد بن ثعلبة .

نظرت الى أبى جهل يزول فى الناس فقلت ألا تريان ؟ هذا صاحبكما الذى تسألان عنه • قال فابتدراه بسـيفيهما حتى قتلاه • ثم انصرفا الى رسول الله فأخبراه • فقال أيكما قتله ؟ فقال كل واحد منهما أنا قتلته • فقال هل مسحتما سيفيكما ؟ قالا • لا • فنظر فى السيفين • فقـال كلاكما قتله • متفق عليه •

الشرح :

(أضلع منهما) من الضلاعة وهى القوة (السواد بفتح السين المهملة) هو الشخص (حتى يموت الأعجل منا) حتى يموت الأقرب منا أجلا •

٢٦ — عن عمر بن شعيب عن أبيه عن جده قال • قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « المسلمون تتكافأ دماؤهم يسعى بذمتهم أدناهم • ويجير عليهم أقصاهم • وهم يد على من سواهم • يرد مشدهم على مضعفهم • ومتسريهم على قاعدهم » أخرجه ابن ماجه • وسكت عنه أبو داود والنذرى وأخرجه ابن حيان فى صحيحه من حديث ابن عمر مطولا •

الشرح :

(يرد مشدهم على مضعفهم) يرد من كان له فضل قوة على من كان ضعيفا • (التسرى) الذى يخرج فى السرية •

٢٧ — عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه ذكر فتح مكة فقال • أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل مكة فبعث الزبير على احدى المجنبتين • وبعث خالدا على المجنبة الأخرى • وبعث أبا عبيدة على الحسر • فأخذوا بطن الوادى • ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى كتيبته • قال وقد وبشت قريش أوباشها • وقالوا نقدم هؤلاء فان كان لهم شىء كنا معهم • وان أصيبوا علينا الذى سئلنا • قال أبو هريرة ففطن • فقال لى يا أبا هريرة • قلت لبيك يا رسول الله • قال اهتف لى بالأنصار ولا يأتينى الا أنصارى • فهتف بهم فجاءوا فطافوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ترون الى أوباش قريش وأتباعهم • ثم قال بيديه احداهما على الأخرى احصدوهم حصـدا حتى توافونى بالصفا • قال أبو هريرة • فانطلقا فما يشاء أحـد منا أن يقتل منهم

ما شاء الا قتله • وما أحد منهم يوجه الينا شيئا • فجاء أبو سفيان فقال يا رسول الله أبيدت خضراء قريش لا قريش بعد اليوم • فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أغلق بابه فهو آمن ومن دخل دار أبى سفيان فهو آمن فأغلق الناس أبوابهم • فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الحجر فاستلمه • ثم طاف بالبيت وفى يده قوس وهو آخذ بسية القوس فأتى فى طوافه على صنم الى جنب البيت يعبدونه • فجعل يطعن به فى عينيه ويقول « جاء الحق وزهق الباطل » ثم أتى الصفا فعلا حيث ينظر الى البيت فرفع يده فجعل يذكر الله بما شاء أن يذكره ويدعوه والأنصار تحته • قال يقول بعضهم لبعض أما الرجل فأدركته رغبة فى قريته ورأفة بعشـــيرته • قال أبو هريرة وجاء الوحى وكان اذا جاء لم يخف علينا فليس أحد من الناس يرفع طرفه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يقضى • فلما قضى الوحى رفع رأســـه ثم قال : يا معشر الانصـــار • أقلتم أما الرجل فأدركته رغبة فى قريته ورأفة بعشيرته ؟ قالوا قلنا ذلك يا رسول الله • قال فما اسمى اذن كلا • انى عبد الله ورسوله هاجرت الى الله واليكم • فالمحيا محياكم والممات مماتكم • فأقبلوا اليه يبكون ويقولون والله ما قلنا الذى قلنا الا الضن برسول الله • فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الله ورسوله يصدقانكم ويعذرانكم » • رواه أحمد • ومسلم • والله أعلم •

٢٨ — عن ابن مسعود رضى الله عنه قال • جاء ابن النواحة وابن أثال رسولا مسيلمة الكذاب الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال أتشهدان أنى رسول الله ؟ قالا نشهد أن مسيلمة رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم آمنت بالله ورسوله لو كنت قاتلا رسولا لقتلتكما • فقال عبد الله فمضت السنة أن الرسل لا تقتل (رواه أحمد — أخرجه أيضا الحاكم وأبو داود والنسائى مختصرا) •

٢٩ — عن ابن مسعود رضى الله عنه قال • قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الخيل ثلاثة فرس للرحمن • وفرس للانسان • وفرس للشيطان • فأما فرس الرحمن فالذى يرتبط فى سبيل الله • فعلفه وروثه وبوله وذكر ما شاء الله • وأما فرس الشيطان فالذى يقامر أو يراهن عليه • وأما فرس الانسان فالفرس يرتبطه الانسان يلتمس بطنها فهى ستر من الفقر » • رواه أحمد •

الشرح :

يقصد بذلك أن الخيل ثلاثة: قسم منها معد للجهاد وهو الأجر كله، ومنها ما هو للشيطان والمقامرة فهى الوزر كله . ومنها ما يتخذ للنتاج .

٣٠ — عن عقبة بن عامر قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الله يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة . صانعه الذى يحتسب فى صنعته الخير . والذى يجهز به فى سبيل الله . والذى يرمى به فى سبيل الله . وقال ارموا واركبوا فان ترموا خير لكم من أن تركبوا وقال كل شىء يلهو به ابن آدم فهو باطل . الا ثلاثا . رمية عن قوسه . وتأديبه فرسه وملاعبته أهله فانهن من الحق » . رواه الخمسة .

الشرح :

دليل على أن عمل الآلات الحربية واصلاحها واعدادها كالجهاد يستحق فاعلها دخول الجنة . بشرط أن يكون ذلك تقربا الى الله سبحانه وتعالى .

٣١ — عن أبى هريرة رضى الله عنه قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما يجد الشهيد من مس القتل الا كما يجد أحدكم من مس القرصة » . رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح .

٣٢ — وعنه قال . قال صلى الله عليه وسلم « من مات ولم يغز ولم تحدثه نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق » رواه مسلم .

٣٣ — عن أنس رضى الله عنه قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما من نفس تموت لها عند الله خير يسرها أن ترجع الى الدنيا الا الشهيد . فانه يسره أن يرجع الى الدنيا فيقتل مرة أخرى لما يرى من فضل الشهادة » (متفق عليه) .

الشرح :

كل ابن آدم يتمنى ألا يرجع الى الدنيا بعد موته الا الشهيد . فانه يتمنى أن يرجع الى الدنيا فيقتل فى سبيل الله مرة أخرى لما ذاق من حلاوة الشهادة فى سبيل الله .

٣٤ ـ عن ابن الصامت الأنصارى قال • سمعت جابر بن عبد الله قال • نظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال • « يا جابر مالى أراك مهتما ؟ قال • قلت يا رسول الله استشهد أبى وترك دينا وعيالا فقال « ألا أخبركم ما كلم الله أحدا قط الا من وراء حجاب • وأنه كلم أبك كفاحا » قال على : والكفاح المواجهة • قال سلنى أعطك قال • أسألك أن أرد الى الدنيا فأقتل فيك ثانية • فقال الرب عز وجل انه سبق منى القول أنهم اليها لا يرجعون • قال أى رب فأبلغ من ورائى فأنزل الله : « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا » الآية •• وقد سبق ذكرها فى تفسير الجهاد •

٣٥ ـ عن ابن عباس رضى الله عنهما قال • قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الشهداء على بارق نهر بباب الجنة فيه قبة خضراء يخرج اليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشية » بارق • أى لامع •

٣٦ ـ عن عقبة بن عامر يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « كل ميت يختم له عمله الا المرابط فى سبيل الله يجرى عليه عمله حتى يبعث ويأمن الفتان » •

٣٧ ـ عن جابر رضى الله عنه • أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلى • نصرت بالرعب مسيرة شهر • وجعلت الأرض لى مسجدا وطهورا • وأحلت لى الغنائم • وأعطيت الشفاعة • وكان النبى يبعث الى قومه خاصة • وبعثت الى الناس عامة » •

الشرح :

بين الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم ما منحه الله تعالى من فضل دون غيره ووضح ذلك الفضل الالهى فى قوله • أعطيت خمسا وبينها : وهى : النصر بالرعب ، وجعل الأرض مسجدا وطهورا ، وأحلت له الغنائم • وأعطى الشفاعة وبعث الى الناس عامة •

٣٨ ـ عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أصيب اخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم فى جوف طير أخضر • ترد أنهار الجنة تأكل من ثمارها وتأوى الى قناديل من

ذهب معلقة فى ظل العرش • فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم وحسن مقيلهم قالوا يا ليت اخواننا يعلمون ما صنع الله لنا • فقال تعالى : « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سـبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون » •

٣٩ — عن أبى هريرة[1] رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تضمن الله لمن خرج فى سبيله لايخرجه الا جهاد فى سبيلى وايمان بى وتصديق برسلى فهو ضامن أن أدخله الجنة • أو أرجعه الى منزله الذى خرج منه بما نال من أجر أو غنيمة • والذى نفس محمد بيده ما من كلم يكلم فى سبيل الله الاجاء يوم القيامة كهيئته يوم كلم لونه لون الدم وريحه ريح المسك والذى نفس محمد بيده لولا أن يشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو فى سبيل الله أبدا • ولكن لا أجد سعة فاحملهم ولا يجدون سعة ويشق عليهم أن يتخلفوا عنى • والذى نفس محمد بيده لوددت أن أغزو فى سبيل الله فأقتل ثم أغزو فأقتل ثم أغزو فأقتل » • رواه مسلم •

الشرح :

الـكلم • الجرح •

٤٠ — عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قيل يا رسـول الله ما يعدل الجهاد فى سبيل الله ؟ قال لا تستطيعونه • فأعاد عليه مرتين أو ثلاثا كل ذلك وهو يقول • لا تستطيعونه • ثم قال مثل المجاهد فى سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله لا يفتر عن صلاة ولا صيام حتى يرجع المجاهد فى سبيل الله » متفق عليه •

الشرح :

يعدل • يساوى • لا يفتر • لا يستريح •

٤١ — عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ان فى الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين فى سبيل الله • ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض » • رواه البخارى •

---

(١) رياض الصالحين من كلام سـيد المرسلين

٤٢ ـــ وعنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن فى الضرع • ولا يجتمع على عبد غبار فى سبيل الله ودخان جهنم » • رواه الترمذى •

٤٣ ـــ عن البراء رضى الله عنه قال : أتى النبى رجل مقنع بالحديد فقال يارسول الله أقاتل أو أسلم ؟ فقال : « أسلم ثم قاتل • فأسلم ثم قاتل فقتل • فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عمل قليلا وأجر كثيرا » • متفق عليه •

٤٤ ـــ عن أنس رضى الله عنه قال : غاب عمى أنس بن النضر رضى الله عنه عن قتال بدر فقال يا رسول الله : غبت عن أول قتـــال قاتلت المشركين • لئن الله أشهدنى قتال المشركين ليرين الله ما أصنع • فلما كان يوم أحد • انكشف المسلمون • فقال اللهم أعتذر اليك ممـــا صنع هؤلاء يعنى الصحابة وأبرأ اليك مما صنع هؤلاء يعنى المشركين • ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ • فقال يا سعد بن معاذ الجنة ورب الكعبة • انى أجد ريحها من دون أحد • قال سعد فما استطعت يا رسول الله ما صـــنع • قال أنس فوجدنا به بضعا وثمانين ضربة بالســـيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم • ووجدناه قد قتل ومثل به المشركون فما عرفه أحد الا أخته ببنانه • قال أنس كنا نرى أو نظن أن هـــذه الآية نزلت فيه وفى أشباهه من المؤمنين • « رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا » • متفق عليه •

الشرح :

تمثيل الكفار به دليل على ما ألحقـــه بهم من قتل وأذى • ولذا مثلوا به أشد تمثيل حتى أن أحدا لم يتعرف عليه • سوى أخته لأنها أعرف الناس بجسمه •

٤٥ ـــ عن أنس بن مالك رضى الله عنه • أن أم الربيع بنت البراء • وهى أم حارثة بن سراقة أتت النبى صلى الله عليه وسلم فقالت يا نبى الله ألا تحدثنى عن حارثة ؟ وكان قتل يوم بدر أصابه سهم غرب • فان كان فى الجنة صبرت • وان كان غير ذلك اجتهدت عليه فى البكاء • قال « يا أم حارثة انها جنان فى الجنة وان ابنك أصاب الفردوس الأعلى » • رواه البخارى •

الشرح :

سهم غرب : أى لا يعرف راميه أو أتاه من حيث لا يدرى .

٤٦ ــ عن زيد بن ثابت رضى الله عنه قال : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أملى على : لا يستوى القاعدون من المؤمنين والمجاهدون فى سبيل الله . فجاءه ابن أم مكتوم وهو يمليها على . فقال يا رسول الله . لو أستطيع الجهاد لجاهدت . وكان رجلا أعمى . فأنزل الله عز وجل على رسوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وفخذه على فخذى فثقلت على حتى خفت أن ترض فخذى ــ . ثم سرى عنه . فأنزل عز وجل « غير أولى الضرر » رواه البخارى .

٤٧ ــ عن البراء رضى الله عنه قال : رأيت النبى صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب ينقل التراب . وقد وارى التراب بياض بطنه وهو يقول :

لولا أنت ما اهتدينا . ولا صدقنا ولا صلينا . فأنزلن سكينة علينا . وثبت الأقدام ان لاقينا . ان الألى قد بغوا علينا . اذا أرادوا فتنـــة أبينـــا .

٤٨ ــ عن ابن عباس رضى الله عنهما . قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى قبة « اللهم انى أنشدك عهدك ووعدك . اللهم ان شئت لم تعبد اليوم . فأخذ أبو بكر بيده وقال حسبك يا رسول الله فقد ألححت على ربك وهو فى الدرع . فخرج وهو يقول : « سيهزم الجمع ويولون الدبر . بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر » . البخـــارى .

٤٩ ــ عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما . أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تقوم الســـاعة حتى تقاتلوا اليهود حتى يختبىء أحـــدهم وراء الحجر فيقول يا عبد الله هـــذا يهودى ورائى فاقتله » . البخارى .

الشرح :

كلام الحجر بفضح أسرار اليهود تعبير كنائى عن كراهية الله والعالم بشره وجماده لهؤلاء اليهود • وسعى الجميع للتخلص منهم حتى الجماد •

٥٥ ـــ عن جندب بن سفيان رضى الله عنه قال : ان رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ كان فى بعض المشاهد وقد دميت أصبعه فقـــال :

هل أنت الا أصبع دميت ، وفى سبيل الله ما لقيت (رواه البخارى)

الشرح :

ليس هذا بشعر ولكنه كلام اتفق أنه منظوم وبذا لا يكون شعرا لانه ليس عن قصد • والله أعلم •

باب الغزوات

غزوة بدر الكبرى

سببها :

علم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عيرا مقبلة من الشام على رأسها أبو سفيان بن حرب ، بها أموال وتجارة لقريش ، وفيها ثلاثون رجلا من قريش أو أربعون ، فندب المسلمين اليهم ، وقال هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا اليها لعل الله ينفلكموها ، فخف البعض وثقل البعض لظنهم أن رسول الله لم يلق حربا ، قالت عاتكة بنت عبد المطلب رأيت فى منامى راكبا أقبل على بعير له حتى وقف بالأبطح ثم صرخ بأعلى صوته : ألا انفروا يا لغدر لمصارعكم فى ثلاث : ثم قام به بعيره على رأس قبيس فصرخ بمثلها ، ثم أخذ صخرة فأرسلها ، فأقبلت تهوى حتى اذا كانت بأسفل الجبل تفرقت وتفتت ، فما بقى بيت من بيوت مكة ولا دار الا دخلتها منها فلقة ، ولما قرب أبو سفيان من الحجاز يتسمع الأخبار ويسأل من لقى من التجار والمسافرين ، فعلم منهم أن محمدا قد تجهز له ولعيره ، وكانت العير ألف بعير فيها أموال عظام ، ولم يبق بمكة قرشى ولا قرشية له مثقال فصاعدا : الا بعث به فى العير ، فيقال ان فيها لخمسين ألف دينار ويقال أقل ، فأدركه رجل من جذام[1] بالزرقاء فأخبره أن محمدا صلى الله عليه وسلم ينتظر رجعتهم وقد حالف عليهم أهل الطريق ، فأخذ حذره واستأجر ضمضم بن عمر الغفارى وبعثه الى مكة وأمره أن يخبر قريشا بما حدث فى مقابل عشرين دينارا وأمره أن يجدع[2] بعيره اذا دخل مكة ، ويحول رحله ويشق قميصه من قبله ودبره ففعل ، وعندما وصل صرخ ببطن الوادى وهو واقف على بعيره : يا معشر قريش ، اللطيمة اللطيمة ، أموالكم مع أبى سفيان

---

(١) وهو مكان فى طرف الشام تلقاء الحجاز
(٢) يقطع أذنيه

قد عرض لها محمد فى أصحابه لا أرى أن تدركوها • الغوث • الغوث • فتجهز الناس سراعا • وتجهزوا فى ثلاثة أيام • وقيل فى يومين • وأعان قويهم ضعيفهم • فكانوا بين رجلين اما خارج واما باعث مكنه رجلا • وأوعبت قريش فلم يتخلف من أشرافها رجل واحد • الا أن أبا لهب ابن عبد المطلب تخلف وبعث مكانه العاصى بن هشام • وكان له عليه دين • ولمـــا فرغوا من جهازهم وأجمعوا المسير ذكروا ما كان بينهم وبين بنى بكر بن عبد مناه من الحرب • فقالوا انا نخشى أن يأتونا من خلفنا فكاد ذلك يثنيهم عن عزمهم • فتبدى لهم ابليس فى صورة سراقة ابن مالك • فقال لهم أنا جار لكم من أن تأتيكم كنانة من خلفكم بشىء تكرهونه • فخرجوا سراعا • وما كان أحـــد منهم أكره للخروج من الحارث بن عامر •

هاتف من الجن

وحينما توجهت قريش الى بدر مر هاتف من الجن على مـــكة فى اليوم الذى أوقع بهم المسلمون وهو ينشد بأنفذ صوت ولا يرى شـــخصه :

أزار الحنيفيـــــون بــــدرا وقيعــــــة
سـ‍ـــــينقض منهــــا ركن كسرى وقيصرا
أبـــادت رجـــــالا من لـــؤى وأبرزت
خـــرائد يضربن التـــــرائب جســـــرا
فيــــا ويح من أمسى عـــــدو محمـــــد
لقـــد حـــار عن قصــــد الهـــدى وتجبرا

فقال قائلهم من الحنيفيون ؟ فقال هم محمد وأصحابه يزعمون أنهم على دين ابراهيم الحنيف • ثم لم يلبثوا أن جاءهم الخبر اليقين •

وخرج صلى الله عليه وسلم فى ليال خلت من رمضان • وكان ذلك بعد تسعة عشر شهرا من الهجرة فى أصـــحابه • واستخلف على المدينة أبا لبابة بن عبد المنذر ورده صلى الله عليه وسلم من الروحاء •

واستخلف على الصلاة عبد الله بن أم مكتوم وكان المسلمون ثلاثمائة وخمسة . ويقال كانت قريش ستة وثمانين رجلا . والأنصار مائتين وسبعة وعشرين رجلا . وقيل كانت قريش ثلاثة وسبعين رجلا . والأنصار أربعين ومائتى رجل . وتخلف ثمانية ضرب لهم بسهامهم وأجورهم .

وكانت الابل سبعين بعيرا . فكانوا يتعاقبونها الاثنين . والثلاثة . والاربعة .

وكان صلى الله عليه وسلم وعلى بن أبى طالب ومرثد بن مرثد . يتعاقبون بعيرا واحدا . وعندما خرجوا كان الرسول يقول : اللهم انهم حفاة فاحملهم . وعراة فاكسهم . وجياع فأشبعهم . وعالة فأغنهم من فضلك . فما رجع منهم أحد يريد أن يركب الا وجد له ظهرا . للرجل البعير والبعيران . واكتسى من كان عاريا وأصابوا طعاما وفداء من الأسرى . فاغتنى به كل عائل .

(المشورة قبل بدر)

ونزل صلى الله عليه وسلم بئر الروحاء وارتحل منها حتى اذا كان قريبا من الصفراء بعث بسيس بن الجهنى وعدى بن أبى الزغباء الجهنى الى بدر يتحسسان له الاخبار عن أبى سفيان وغيره . ثم ارتحل صلى الله عليه وسلم وقد أتاه الخبر بمسيرة قريش فاستشار الناس فقام أبو بكر الصديق فقال وأحسن . ثم قام عمر بن الخطاب فقال وأحسن . ثم قال يا رسول الله . انها والله قريش وعزها . والله ماذلت منذ عزت . ولا آمنت منذ كفرت . والله لا تسلم عزها أبدا ولتقاتلنك . فتأهب لذلك أهبته . وأعد لذلك عدته . ثم قام المقداد بن عمرو فقال يا رسول الله امض لأمر الله فنحن معك . والله لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لنبيها « اذهب أنت وربك فقاتلا انا ها هنا قاعدون » ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون . والذى بعثك بالحق لو سرت بنا الى برك الغماد[1] لسرنا . فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير .

---

(١) موضع باقصى اليمن

ثم قال أشيروا على أيها الناس • وانما يريد الأنصـــار وكان يظنهم لا ينصرونه الا فى الدار • لانهم شرطوا له أن يمنعوه مما يمنعون منه أنفسهم وأولادهم • فقام سعد بن معاذ رضى الله عنه فقال • والله لكأنك تريدنا يا رسول الله • قال أجل • قال قد آمنا بك وصـــدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لمـــا أردت • فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد • فصل من شئت • واقطع من شئت • وخذ من أموالنا ما شئت • وما أخذت من أموالنا أحب الينا مما تركت • والذى نفسى بيده ما سلكت هذا الطريق قط • وما لى به علم • وما نكره أن نلقى عدونا غدا • انا لصبر عند الحرب • صدق عند اللقاء • لعل الله يريك منا ما تقر به عينـــاك •

فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم من قول ســـعد وقال • سيروا على بركة الله فان الله قد وعدنى احدى الطائفتين والله لكأنى انظر الى مصـــارع القوم •

ثم نزل صلى الله عليه وسلم قريبا من بدر وركب هو ورجل من أصحابه حتى وقف على شيخ من العرب فسأله عن قريش وعن محمد وأصحابه وما بلغه عنهم • فقال الشيخ لا أخبركما الا اذا أخبرتمانى من أنتما • فقال صلى الله عليه وسلم اذا أخبرتنا أخبرناك • قال أذاك بذاك ؟ قال نعم • قال الشيخ فانه قد بلغنى أن محمدا وصحبه خرجوا يوم كذا وكذا فان كان الذى أخبرنى صادقا فانهم بجنب هذا الوادى• فقال صلى الله عليه وسلم أخبرنا عن قريش • قال ان قريشا خرجوا يوم كذا وكذا فان كان الذى أخبرنى صادقا فهم بجنب هذا الوادى • فلما فرغ من خبره قال • ممن أنتما ؟ فقال صلى الله عليه وسلم نحن من ماء ! ثم انصرف عنه ، يقول الشيخ : من ماء ؟ أمن ماء العراق ؟ ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم •

(خبر العيـــون)

فلما أمسى بعث عليا • والزبير • وسعد بن أبى وقاص وبسيس ابن عمرو رضى الله عنهم الى ماء بدر يتحسسون الخبر فوجدوا راوية

لقريش فيها يسار غلام عبيدة بن سعد العاصى • وأسلم غلام منبه بن الحجاج • فأتوا بهما فسألوهما ورسول الله صلى الله عليه عليه وسلم قائم يصلى • فقالا نحن سقاة قريش بعثونا نسقيهم من الماء • فكره القوم خبرهما • ورجوا أن يكونا لأبى سفيان فضربوهما • فقالا نحن لأبى سفيان فأمسكوا عنهم وركع رسول الله صلى الله عليه وسلم وسجد سجدتيه ثم سلم وقال : اذا صدقاكم ضربتموهما واذا كذباكم تركتموهما • صدقا والله انهم لقريش • أخبرانى عن قريش • قالا هم وراء هذا الكثيب وانهم منحرون يوما عشرا ويوما تسعا • وأعلموه بمن خرج من مكة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم القوم ما بين الألف والتسعمائة • وقال هذه مكة قد ألقت اليكم أفلاذ أكبادها •

أبو سفيان يغير الطريق وينجو

وكان بسبس بن عمرو • وعدى بن أبى الزغباء قد مضيا حتى نزلا بدرا • فأناخا الى تل قريب • وكانت هناك جاريتان تقول احداهما للأخرى • انما تأتى العير غدا أو بعد غد • فأعمل لهم ثم أقضيك الذى لك • وكان مجدى بن عمر الجهنى على الماء فسمعهما • فقالت صدقت • وسمع ذلك عدى وبسبس فركبا بعيريهما وانطلقا الى رســول الله • فأخبراه بما سمعاه • وأقبل أبو سفيان حتى تقدم العير بحذر حتى وصل الماء • فقال لمجدى : هل أحسست أحدا ؟ قال ما رأيت أحــدا أنكره ، الا راكبين قد أناخا الى هذا التل ثم استسقيا وانطلقا فذهب أبو سفيان الى مناخها • وأخذ البعر ففته فوجد فيه النوى • فقال هذه أعلاف يثرب ورجع الى أصحابه سريعا وغير طريقه فنجا •

ولمــا رأى أبو سفيان أن عيره قد نجت أرسل الى قريش يدعوهم للرجوع حيث أن عيرهم قد نجت • فقال أبو جهل • والله لا نرجع حتى نرد ماء بدر فتنحر الجزر ونطعم الطعام ونسقى الخمر وتعزف علينا القيان[1] • وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا حتى لا يزالون يهابوننا •

(1) الجوارى المغنيات

(المطر والنعاس)

وبعث الله السماء فأصاب المسلمين ما لبد لهم الارض ولم يمنع من المسير • وأصاب قريشا من ذلك ما لم يقدروا آن يرتحلوا منه • وكان المطر نعمة وقوة على المؤمنين • وبلاء ونقمة على المشركين وأصــاب المسلمين فى تلك الليلة النعاس ألقى عليهم فناموا حتى أن أحدهم تكون ذقنه بين ثدييه وما يشعر حتى يقع على جنبه وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمار بن ياسر وعبد الله بن مسعود رضى الله عنهما فأطافا بالقوم ثم رجعا فأخبراه أن القوم مذعورون وأن السماء تسح عليهم •

(بنــاء الحوض)

وقد أشار الخباب بن المنذر على رسول الله صلى اللهعليه وسلم أن ينزل على أدنى ماء من القوم ويبنى حوضا فيملأ ماء ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون • فنهض رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من الناس وبنوا الحوض وملأوه بالماء ثم قذفوا فيه الآنية •

(بنــاء العريش)

وقال سعد بن معاذ انا قد خلفنا من قومنا قوما ما نحن بأشد منهم حبا لك ولا أطوع لك منهم ، لهم رغبة فى الجهاد ونية • ولو ظنوا يا رسول الله انك ملاق عدوا ما تخلفوا • ولكن انما ظنوا أنها العير • نبنى لك عريشا فتكون فيه وتعد عندك رواحلك ثم نلقى عدونا • فان أعزنا الله وأظهرنا على أعدائنا كان ذلك ما أحببنا • وان تكن الأخرى • جلست على رواحلك فلحقت من ورائنا • فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم له خيرا • وقال أو يقضى الله خيرا من ذلك يا سعد • ودعا له بخير ثم بنى العريش فكان فيه •

(من شرب من الحوض)

وقد أقبلت قريش فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال · اللهم هذه قريش قد أتت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك •

اللهم فنصرك الذى وعدتنى • اللهم أحنهم[1] الغداة فلما نزل الناس أقبل نفر من قريش حتى وردوا حوض رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم حكيم بن حزام • فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوهم يشربون • فما شرب منه رجل يومئذ الا قتل • الا ما كان من حكيم فانه لم يقتل • ثم أسلم بعد ذلك وحسن اسلامه • وجعلها قسما فكان يقول لا والذى نجانى من يوم بدر •

(البلايا تحمــل المنايا)

ولمـــا اطمأنت قريش بعثوا رجلا منهم يتحسس أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع اليهم • وقال ثلثمائة رجل أو يزيدون قليلا أو ينقصون • ولكن أمهلونى حتى أنظر أللقوم كمين أو مدد ؟ فضرب فى الوادى حتى أبعد فلم ير شيئا حتى رجع اليهم فقال ما وجدت شيئ ولكننى رأيت البلايا[2] تحمل المنايا • فواضح يثرب تحمل الموت الناقع • قوم ليس معهم منعة ولا ملجأ الا سيوفهم • والله ما أرى أن يقتل رجل منهم حتى يقتل رجل منكم • فاذا أصابوا منكم أعدادهم فما خير العيش بعد ذلك • ولمـــا سمع حكيم ذلك مشى الى عتبة بن ربيعة • وقال له يا أبا الوليد انك سيد القوم وكبيرهم • فهل لك الى ألا تزال تذكر فيها بخير الى آخر الدهر : قال وماذاك ؟ قال ترجع بالناس • ثم قام عتبة فى الناس خطيبا فقال • يا معشر قريش انكم والله ما تصنعون بأن تلقوا محمدا وأصحابه شيئا • والله لئن أصبتموه لا يزال الرجل ينظر فى وجه رجل يكره النظر اليه قتل عمه أو ابن خاله أو رجلا من عشيرته • فارجعوا وخلوا بين محمد وسائر العرب • ان أصابوه فذاك الذى أردتم • وان كان غير ذلك ألفاكم ولم تعرضوا عليه ما تريدون • ثم ذهب حكيم الى أبى جهل فوجده قد أخرج درعا من جرابها يطليها بعكير الزيت • فقال له ما قال عتبة • فقال أبو جهل كلا والله لا نرجع • وهب الى عامر بن الحضرمى فقال هذا حليفك يريد أن يرجع بالناس • وقد رأيت ثأرك بعينك فقم فانشد خفرتك واطلب من قريش الوفاء لك بعهدهم • وتأخذ ثأر أخيك • فقام عامر وصرخ

---

(١) أهلكهم .
(٢) بلايا . جمع بلية وهى الناقةأو الدابة تربطالى قبر الميت فلا تعلف ولا تسقى حتى تموت .

واعمراه واعمراه •فحميت الحرب وأفســد على الناس الرأى الذى دعاهم اليه عتبة بن ربيعة • ثم حرش الناس وناوش المسلمين فشبت الحرب فخرج اليه مهجع مولى عمر بن الخطاب فقتله عامر فكان أول شهيد فى يوم بدر •

(هدم الحوض)

فلمــا تزاحف الناس قال الاسود بن عبد الاسد المخزومى وكان شرسا ســيىء الخلق • أعاهد الله لأشربن من حوضهم أو لاهدمنه أو لأموتن دونه • فاستقبله حمزة بن عبد المطلب فضربه فأطن[1] قدمه فزحف بنصف ساقه وهو دون الحوض فهــدمه يريد أن يبر بيمينه ويشرب من الحوض وتبعه حمزة فقتله • ثم خرج عتبة بن ربيعة وشيبة والوليد بن عتبة • ودعوا الى المبارزة فخرج اليهم ثلاثة من الانصار فتيان • فقالوا من أنتم ؟ فقالوا رهط من الانصار • قالوا مالنا بكم من حاجة • ثم نادى مناديهم يا محمد أخرج لنا أكفاءنا من قومنا • فقال رســول الله صلى الله عليه وســلم قم يا عبيدة • قم يا حمزة • قم يا على • فلما قاموا ودنوا منهم قالوا من أنتم ؟ فأخبروهم قالوا نعم أكفاء كرام • فقتل على الوليد وقتل حمزة شيبة • واختلف عبيدة وعتبة بينهما ضربتين كلاهما أثبت صــاحبه • فكر حمزة وعلى على عتبــة بأسيافهما فقتلاه واحتملا عبيدة الى الصف • وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى العريش ومعه أبو بكر وكان قد قال لا تقاتلوهم حتى آذن لكم • وان دنا القــوم منكم وقاربوكم فارموهم بالنبــل ولا تسلوا السيوف حتى يغشوكم •

وكانت وقعــة بدر صبيحة الجمعــة فى السابع عشر من رمضان فعدل الرسول صلى الله عليه وسلم الصفوف ورجع الى العريش ومعه أبو بكر الصديق • وهو يناشد ربه ما وعده • ويقول اللهم ان تظهر على هذه العصابة يظهر الشرك ولا يظهر لك دين • وأبو بكر يقول : والله لينصرنك الله وليبيضن وجهك • فاضطجع رسول الله فغشيه نوم غلبه ثم انتبه فقال : أبشر يا أبا بكر أتاك نصر الله • هذا جبريل آخذ بعنــان فرس يقوده •

---

(١) قطعت فيسمع لهــا طنين

(عمير بن الحمام)

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فحرض المسلمين وقال : والذى نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر الا أدخله الله الجنة • فقال عمير بن الحمام وفى يده تمرات يأكلهن بخ بخ[1] • أفما بينى وبين أن أدخل الجنة الا أن يقتلنى هؤلاء !! ثم قذف التمرات من يده وأخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل •

(قتال الملائكة)

ولما التحم القتال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رافعا يديه الى السماء يسأل الله النصر ما وعده • فأمر أن يأخذ كفا من الحصى فرماهم بها وقال : شاهت الوجوه • اللهم أرعب قلوبهم وزلزل أقدامهم • فانهزم أعداء الله لا يلوون على شىء • وما بقى منهم أحد الا امتلأ وجهه وعيناه • فهزمهم الله • وقتل منهم من قتل وأسر منهم من أسر • وقال أبو ذر الغفارى عن ابن عم له • بينا أنا وابن عم لى على ماء بدر • فلما رأينا قلة من مع محمد وكثرة من مع قريش • قلنا اذا التقت الفئتان عمدنا الى عسكر محمد وأصحابه • فانطلقنا اذ جاءت سحابة غشيتنا فرفعنا أبصارنا اليها • فسمعنا أصوات الرجال والسلاح وسمعنا رجلا يقول لفرسه أقدم حيزوم • وسمعناهم يقولون رويدا تتم أخراكم • فنزلوا على ميمنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جاءت أخرى مثل ذلك فكانت مع النبى صلى الله عليه وسلم فنظرنا الى النبى وأصحابه فاذا هم الضعف على قريش • فمات ابن عمى وأما أنا فتماسكت وأخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم وحسن اسلامه •

وكان جبريل يرتب الملائكة ويسوى صفوفهم • وكان صهيب يقول ما أدرى كم من يد مقطوعة أو ضربة جائفة لم يدم كلمها يوم بدر قد رأيتها • وكان ابن عباس يقول : كان الملك يتصور فى صورة من يعرفون من الناس يثبتونهم •

---

(١) كلمة تقال عند الاعجاب

(النهى عن قتل بنى هاشم)

ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل بنى هاشم . فقال : من لقى منكم أحدا من بنى هاشم فلا يقتله . ونهى عن قتل العبـــاس ابن عبد المطلب . ولمـــا وضعت الحرب أوزارها أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يلتمس أبو جهل . فوجده عبد الله بن مسعود فى آخر رمق فوضع رجله على عنقه وضربه فقطع رأسه وأتى بسلبه الى النبى صلى الله عليه وسلم فسر بقتله .

(أهل القليب)

ولمـــا أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أن يطرحوا فى القليب طرحوا الا ما كان من أمية بن خلف فأنه انتفخ فى درعه فملأها فذهبوا ليحركوه فتساقط لحمه . فألقوا عليـــه التراب والحجارة حتى غاب . ووقف رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جـــوف الليل وهو يقول : يا أهل القليب . هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا ؟ فأنى وجدت ما وعدنى ربى حقا . فسمعه المسلمون فقالوا يا رسول الله : تنادى قوما قـــد جيفوا ؟ قال ما أنتم بأسمع لمـــا أقول منهم ولكنهم لا يستطيعون أن يجيبوننى . وكان سعد بن معاذ ممن أقام على خيمة النبى صلى الله عليه وسلم وقال للرسول صلى الله عليه وسلم ما منعنا أن نطلب العدو زهادة فى الأجر ولا جبنا[1] عن العدو ولكن خفنا أن يعرى[2] موضعك فتميل عليك خيل من خيل المشركين ورجال من رجالهم وقد أقام عنـــد خيمتك وجوه من المهاجرين والانصار ولم يشذ منهم أحد . والناس كثير . ومتى تعط هؤلاء لا يبقى لأصحابك شىء . والأسرى والقتلى كثير . والغنيمة قليلة فاختلفوا . فأنزل الله تعالى : « يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول » فرجع الناس وليس لهم من الغنيمة شىء واحتمل رسول الله صلى الله عليه وسلم النفل الذى أصيب من المشركين وجعل عليه عبد الله بن كعب . ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا خرج من مضيق الصـــفراء نزل على كثيب بين المضيق وبين النازية فقسم هنالك النفل الذى أفاء الله على المسلمين

---
(١) فى الأصل (جبنا)
(٢) يعرى — يخلو ممن حرسه

من المشركين على السواء • ثم ارتحل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان بالروحاء لقيه المسلمون يهنئونه • فقال لهم سلمة بن سلام ما الذى تهنئوننا عليه ؟ والله ما لقينا الا عجائز صلعا كالابل المعلقة فنحرناها !! فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم •

(الأســـارى)

مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قدم المدينة قبـــل الأســـارى بيوم • وحين أقبل بالأسارى فرقهم بين أصـــحابه وقال استوصوا بالأسارى خـــيرا • ولمـــا أسر سهل بن عمرو قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه يا رسول الله أنزع ثنيته يدلع[1] لسانه فلا يقوم عليك خطيبا أبدا • فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أمثل به فيمثل بى وان كنت نبيا • ولعله يقوم مقاما لا تكرهه •

(الأسود بن عبد المطلب)

وكان أول من قدم مكة بمصاب قريش الحيسمان بن عبد الله • وناحت قريش على قتلاهم ثم قالوا لا تفعلوا فيشمت بكم محمـــد وأصحابه ولا تبعثوا فى أسراكم حتى تأخذوا فداءهم فلا يشتد عليكم محمد وأصحابه فى الفداء •

وكان الأسود بن عبد المطلب قد أصيب له ثلاثة من ولده : زمعة • وعقيل • والحارث بن زمعة وكان يحب أن يبكى على بنيه فبينما هو كذلك اذ سمع نائحة من الليل • فقال لغلام له وقد ذهب بصره هل بكت قريش على قتلاها وارتفع صوتها حتى أبكى زمعة فأن جوفى يحترق ؟ فلما رجع اليه أخبره أن امرأة تبكى على بعير لها أضلته •

(فـــداء الأسرى)

وبعثت قريش فى فداء أسراها وكان بينهم أبو العاص بن الربيع زوج زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان الاسلام فرق بينهما • فأقامت معه على اسلامها وهو على شركه حتى هاجر رسول

---

(١) دلع لسانه : اندلق من فمه وسقط واسترخى

الله صـــلى الله عليه وسلم فلما سارت قريش الى بدر ســـار فيهم أبو العاص فأصيب فى الأسارى يوم بدر فكان بالمدينة عنـــد النبى • وبعثت زينب بقلادة لها كانت خديجة أدخلتها بها على أبى العاص • ولمـــا رآها النبى رق لها رقة شديدة • وقال ان رأيتم أن تطلقوا لها أســـيرها وتردوا عليها مالها فافعلوا • فقالوا نعم يا رســـول الله • فأطلقوه وردوا عليها الذى لها •

وأقام أبو العاص فى مكة • وأقامت زينب فى المدينـــة حتى فرق الاسلام بينهما • حتى اذا كان قبل الفتح خرج أبو العاص فى تجارة للشام بمال له وأموال الرجال من قريش • وفى عودته من تجارته لقيته سرية لرسول الله فأصابوا ما معه وهرب منهم حتى دخل على زينب فاستجار بها فأجارته وجاء فى طلب ماله فلما خرج رســـول الله الى الصبح كبر وكبر الناس معه • صرخت زينب من صفة النساء : أيهـــا الناس انى قد أجرت أبا العاص • فلما سلم رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلاته • أقبل على الناس وقال هل سمعتم ما ســـمعتم ؟ قالوا نعم • قال والذى نفسى بيـــده ما ســـمعت بشىء من ذلك حتى سمعتم • انه يجير على المسلمين أدناهم •

ثم انصرف وقال لزينب أكرمى مثـــواه ولا يخلص اليـــك فأنك لا تحلين له •

فرد المسلمون على أبى العاص ماله وذهب به الى قريش فأدى الى كل ذى مال وقال لهم هل بقى لأحد منكم شىء ؟ قالوا لا • وجزاك الله خيرا فقد وجدناك وفيا كريما قال : أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله • والله ما منعنى من الاسلام الا خوف من أن تظنوا أنى أردت أكل أموالكم • فلما أداها الله اليكم أسلمت ••

ثم خرج حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان فداء المسلمين يومئذ أربعة آلاف الى ألف درهم • للرجل الا من لا شىء له • وكان بين الاسرى من يكتب وبين المسلمين من لا يعرف الكتابة فيقبل منه أن يعلم عشرة من الغلمان الكتابة ويخلى سبيله •

(شـــهداء بدر)

واستشهد يوم بدر من المسلمين أربعة عشر ، ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار • وهلك من المشركين سبعون وأسر سبعون •

ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة منصورا مؤيدا قد أعلى الله كلمته ومكن له وأعز نصره ودخلهـا من ثنية الوداع يوم الأربعاء الثـانى والعشرين من رمضـان • فتلقـاه الولائد بالدفوف ينشـدون :

طلـع البـدر علينـا مـن ثنيـات الـوداع

وجـب الشـكر علينـا مـا دعـا للـه داع

فأذل الله بوقعة بدر رقاب المشركين والمنافقين واليهود حتى لم يبق منهم بالمدينـة الا من خضع عنقه • وأسـلم حينئذ بشر كثير • والله أعلم •

غـــــزوة أحـــــــد

كانت غزوة أحد بعد غزوة بدر بسنة • وكانت على أحد وثلاثين شهرا من الهجرة وهى وقعة امتحن الله فيها عباده المؤمنين واختبرهم • وميز فيها بين المؤمنين والمنافقين •

لما عاد المشركون من بدر الى مكة مهزومين خائبين خاسرين وجدوا العير التى قدم بها أبو سفيان بن حرب من الشام موقوفة فى دار الندوة كاملة •

فمشى عبد الله بن أبى ربيعة وعكرمة بن أبى جهل • وصفوان ابن أمية فى رجال من قريش ممن أصيب آباؤهم وأبناؤهم واخوانهم يوم بدر • فكلموا أبا سفيان ومن كانت لهم تجارة فى تلك العير من قريش وقالوا لهم • ان محمدا وتركم وقتل أخياركم فأعينونا بالمال على حربه فلعلنا ندرك منه ثأرنا بمن أصاب منا • فطابت أنفسهم أن يجهزوا منها جيشا كثيفا لقتال رسول الله وباعوها • وكانت ألف بعير •• والمال خمسون ألف دينار • وكانوا يربحون فى الدينار دينارا • فأخرجوا منها أرباحهم فنزل فيهم قوله تعالى : « ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون • والذين كفروا الى جهنم يحشرون » •

اجتمعت قريش لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وألبوا العرب وجمعوها وخرجوا من مكة ومعهم زوجاتهم وهن خمس عشرة امرأة•وخرجت نساء مكةومعهن الدفوف يبكين قتلى بدر وينحن عليهم• وحشدت بنو كنانة جنودها وخرجوا من مكة لخمس مضين من شوال فى ثلاثة آلاف رجل • فيهم سبعمائة دارع • ومعهم مائتا فارس وثلاثة

آلاف بعير . وقد كتب العباس بن عبد المطلب كتابا لرسول الله صلى الله عليه وسلم مع رجل من بنى غفار يخبره بذلك . ونزل الرسول على سعد بن الربيع فأخبره بكتاب العباس وشاع الخبر . وأرجفت اليهود والمنافقون .

ونزل المشركون ظاهر المدينة يوم الاربعاء فرعت ابلهم آثار الحرث والزرع يوم الخميس ويوم الجمعة حتى لم يتركوا خضراء ، فلما أصبح يوم الجمعة واجتمع الناس خطب على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس :

انى رأيت فى منامى رؤيا[1] : رأيت كأنى فى درع حصينة ، ورأيت سيفى ذا الفقار انقصم[2] من عند ظبته[3] . ورأيت بقرا تذبح ، ورأيت كأنى مردف كبشا فقال الناس : يا رسول الله : فما ادلتها قال : أما الدرع الحصينة فالمدينة فامكثوا فيها . وأما انقصام سيفى من عند ظبته فمصيبة فى نفسى ، وأما البقر المذبح . فقتلى فى أصحابى . وأما أنى مردف كبشا . فكبش الكتيبة نقتله ان شاء الله تعالى . وفى رواية : وأما انقصام سيفى فقتل رجل من أهل بيتى . وقال : أشيروا على . فاختلف المسلمون فى الخروج الى العدو ، وكان رأيه صلى الله عليه وسلم ألا يخرج من المدينة ووافقه عبد الله بن أبى ، والأكابر من الصحابة ، مهاجرهم وأنصارهم ، وقال امكثوا فى المدينة واجعلوا النساء والذرارى فى الأطام[4] . فان دخلوا علينا قاتلناهم فى الأزقة . فنحن أعلم بها منهم . وكانوا قد شبكوا المدينة بالبنيان . فكانت كالحصن . وقال فتيان أحداث لم يشهدوا بدرا . وطلبوا الشهادة . وأحبوا لقاء العدو اخرج بنا الى عدونا . وقال حمزة وآخرون . انا نخشى أن يظن عدونا أنا كرهنا الخروج جبنا فيتجرأون علينا فلم يزل الناس برسول الله حتى دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيته

---

(١) هذه الرؤية مدونة بامتاع الاسماع للمقريزى
(٢) تكسر وتثلم
(٣) حد السيف من قبل ذبابه وطرفه
(٤) بيوت من حجارة

فلبس لامته[1] • وكان ذلك يوم الجمعة حين فرغ من الصلاة • فجاء سعد بن معاذ • وأسيد بن حضير • فقالا للنـــاس : قلتم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما قلتم واستكرهتموه على الخروج والامر ينزل عليه من السماء فردوا الأمر اليه فما أمركم فافعلوه • فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله اســتكرهناك ولم يكن ذلك لنا فان شئت فاقعد صلى الله عليك • ما كان لنا أن نخالفك • فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لنبي اذا لبس لامته أن يضعها حتى يحكم الله بينـــه وبين أعدائه • انظروا ما أمرتكم به فاتبعوه • امضوا على اسم الله فلكم النصر ما صبرتم •

(انخذال عبد الله بن ســلول)

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ألف من أصحابه فيهم مائة دارع • وفرسان أحدهما لرسول الله والآخر لابى بردة بن نيار حتى اذا كانوا بالشـــوط بين المدينة وأحـــد انخذل عنـــه عبد الله ابن سلول بثلث الناس وقال أطاعهم وعصاني • ما ندري على ما نقتل أنفسنا هاهنا أيها الناس ورجع الى المدينة ومعه ثلاثمائة من أهل النفاق فبقى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سبعمائة •

(الاســتعانة باليهــود)

وقالت الانصار يومئذ ألا نستعين بحلفائنا من اليهود ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حاجة لنا فيهم • ومضى حتى نزل الشعب من أحد فى عدوة الوادى الى الجبل فجعل ظهره وعسكره الى أحـــد وقال لا يقاتلن أحد منكم حتى يؤمر بالقتال وتعبى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى سبعمائة رجل وأمر على الرماة عبد الله بن جبير وكانوا خمسين رجلا • فقال انضح[1] عنا الخيل بالنبل لا يأتونا من خلفنا ان كانت لنا أو علينا لا نؤتين من قبلك •

وتعبأت قريش وهم ثلاثة آلاف رجـــل معهم مائتـــا فارس قد جنبوها فجعلوا على ميمنة الخيل خالد بن الوليد • وعلى الميسرة عكرمة ابن أبى جهل •

---

(١) الدرع وقيل السلاح
(٢) انضحهم (ادفعهم)

(خطبة رسول الله يوم أحـد)

مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم على رجليه يسوى الصفوف فلما استوت دفع اللواء الى مصعب بن عمير فتقدم به بين يديه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قام فخطب الناس : فقال :

يأيها الناس : أوصيكم بما أوصانى به الله فى كتابه من العمـل بطاعته والتناهى عن محارمه • ثم انكم بمنزل أجر وذخر لمن ذكر الذى عليه • ثم وطن نفسه له على الصبر واليقين والجد والنشاط • فان جهاد العدو شديد كريه • قليل من يصبر عليه الا من عزم الله له رشده فان الله مع من أطاعه • وان الشيطان مع من عصاه • وافتتحوا أعمالكم بالصبر على الجهاد • والتمسوا بذلك ما وعدكم الله • وعليكم بالذى أمركم فانى حريص على رشدكم • وان الاختلاف والتنازع والتثبط من أمر العجز والضعف • وهو مما لا يحب الله ولا يعطى عليه النصر ولا الظفر •

يأيها الناس : انه قذف فى قلبى أن من كان على حرام فرق الله بينه وبينه ورغب له عنه غفر الله له ذنبه • ومن صلى على صلى الله عليه وملائكته عشرا • ومن أحسن من مسلم أو كافر وقع أجره على الله فى عاجل دنياه أو آجل آخرته • ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فعليه الجمعة يوم الجمعة • الا صبيا أو امرأة أو مريضا أو عبدا مملوكا• ومن استغنى استغنى الله عنه والله غنى حميد • ما أعلم من عمل يقربكم الى الله الا وقد أمرتكم به • وما أعلم من عمل يقربكم الى النار الا وقد نهيتكم عنه • وانه قد نفث[1] فى روعى الروح الأمين أنه لن تموت نفس حتى تستوفى أقصى رزقها لا ينقص منه شىء وان أبطأ عنها فاتقوا الله ربكم • فأنه لا يقدر على ما عنده الا بطاعته • قد بين لكم الحلال والحرام • غير أن بينهما شبها من الامر لم يعلمها كثير من النـاس الا من عصم الله فمن تركها حفظ عرضه ودينه • ومن وقع فيها كان كالراعى الى جنب الحمى أوشك أن يقع فيه • وليس ملك الا وله حمى • ألا وان حمى الله محارمه • والمؤمن من المؤمنين كالرأس من الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد والسلام عليكم •

---

(1) أوحى الى

(أول من أنشــب الحرب)

أول من أنشب الحرب أبو عامر[1] عبد عمرو طلع فى خمسين من قومه مع عبيد قريش فنادى : يا للأوس أنا أبو عامر • فقالوا لا مرحبا بك ولا أهلا يا فاسق • فتراموا بالحجارة حتى ولى • ودعى طلحة بن أبى طلحة الى المبارزة • فبرز له فقتله فكبر المسلمون • وسر النبى بقتله فانه كبش الكتيبة •

(نساء المشركين وغناؤهم)

وكان النســاء يضربن بالدفوف وكلما ولى رجل حرضــنه وذكرنه قتلاهم ببدر •

وكانت هند بنت عقبة تقول فيما تقول :

ويهـــا بنى عبــد الــدار	ويهـــا حمــاة الادبــار
ضـــربا بـــكل بتـــار	نحــن بنـــات طـــارق
نمشى علـــى النمـــارق	ان تقبـــلوا نعـــانق
أو تدبـــروا نفـــارق	فـــراق غـــير وامــق

وكان اذا سمعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اللهم انى بك أجول وأصول • وفيك أقاتل حسبى الله ونعم الوكيل •

(وصيته صلى الله عليه وسلم للرماة)

تقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الرماة فقال احموا لنــا ظهورنا فانا نخاف أن نؤتى من ورائنا والزموا مكانكم ولا تبرحوه • واذا رأيتمونا نهزمهم حتى ندخل عســكرهم فلا تفارقوا مكانكم وان رأيتمونا نقتل فلا تعينونا ولا تدفعوا عنا • اللهم انى أشهدك عليهم • وارشقوا خيلهم بالنبل فان الخيل لا تقدم على النبل •

وكان الرماة يفعلون ما أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وشــد المسلمون على كتائب المشركين فجعــلوا يضربون حتى اختلت

---

[1] كان فى الجاهلية راهبا • وسماه الرسول أبو عامر الفاسق

صفوف المشركين وتفرقوا . وما ظفر الله نبيه فى موطن قط ما ظفره وأصحابه يوم أحد حتى عصوا الرسول وتنازعوا فى الامر .

(مخالفة الرماة أمر رسول الله)

لقد قتل أصحاب اللواء وانكشف المشركون منهزمين لا يلوون . ونساؤهم يدعون بالويل بعد ضرب الدفاف والفرح . ولكن المسلمين أتوا من قبل الرماة . فلما انهزم المشركون وتبعهم المسلمون يضعون السلاح فيهم حيث شاءوا وأخذوا ينهبون عسكرهم ، خلف الرماة أمر الرسول صلى الله عليه وسلم وقالوا لبعضهم . لم تقيمون ها هنا وقد هزم الله العدو ؟ وهاهم أولاء أخوانكم ينهبون عسكرهم فادخلوا واغنموا معهم . فقال بعضهم ألم يأمرنا الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله احموا ظهورنا ولا تبرحوا مكانكم ؟ وأن رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا وان غنمنا فلا تشركونا احموا ظهورنا ولا تبرحوا مكانكم . فقال الآخرون لم يرد رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا وانطلقوا ولم يبق مع أميرهم الا دون العشرة . وبينما هم منشغلون بالنهب والغنائم دخلت الخيول تنادى فرسانها بشعارهم يا للعزى . يا لهبل . ووضعوا فى المسلمين السيوف وهم آمنون وكل منهم فى يده أو حضنه شىء أخذه وانكشف المسلمون فأصاب فيهم العدو . وكان يوم بلاء وتمحيص أكرم الله فيه من أكرم من المسلمين بالشهادة حتى خلص الى رسول الله فأصيب بالحجارة حتى وقع على جنبه فأصيبت رباعيته[1] . وشج فى وجهه . وجرحت شفته . وكان الذى أصابه عتبة بن أبى وقاص فجعل الدم يسيل على وجهه وهو يقول « كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم الى ربهم ؟ » فأنزل عز وجل : « ليس لك من الأمر شىء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون » .

(صراخ ابليس)

ونادى ابليس وقد تصور فى صورة جعال بن سراقة . ان محمدا قد قتل ثلاث صرخات وتفرق المسلمون وصاروا يقتلون ويضرب بعضهم بعضا ما يشعرون من العجلة .

---

(1) السن المجاورة للناب

(البشرى بسلامة الرسول)

وأقبل الخباب بن المنذر يصيح يا آل سلمة . فأقبلوا اليه متفرقين لبيك داعى الله فأظهروا الشعار بينهم . فجعلوا يصيحون . أمت . أمت . فكف بعضهم عن بعض . وكان أول من بشر المسلمين بسلامة رسول الله صلى الله عليه وسلم كعب بن مالك . فجعل يصيح ورسول الله صلى الله عليه وسلم يشير اليه بأصبعه على فيه أن اسكت . فلما عرف المسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم نهضوا به ونهض معهم نحو الشعب ولما أسند رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الشعب أدركه أبى بن خلف وهو يقول : أى محمد لا نجوت ان نجوت . فقال القوم يا رسول الله أيعطف عليه رجل منا ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوه فلما دنا تناول رسول الله الحربة من الحارث بن الصمة وانتفض بها انتفاضة تطاير القوم عنه تطاير الشعراء[1] عن ظهر البعير اذا انتفض بها ثم استقبله فطعنه طعنة تدحرج منها عن فرسه مرارا فمات عدو الله فى موضع على ستة أميال من مكة وهم قافلون به .

(قتال طلحة عن رسول الله)

قاتل طلحة بن عبد الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قتالا شديدا حين انهزم أصحابه حتى قال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قال بسم الله لدخل الجنة والناس ينظرون . من أحب أن ينظر الى رجل يمشى فى الدنيا وهو من أهل الجنة فلينظر الى طلحة . وأقبل رجل من بنى عامر يقول دلونى على محمد . فضرب طلحة عرقوب فرسه من ناحية مؤخرتها فسقطت ورمت به الى الارض . ثم طعنه فقتله . وأصيب حمزة يومئذ حتى غشى عليه . فنضخ أبو بكر رضى الله عنه الماء فى وجهه حتى أفاق . فقال ما بال رسول الله ؟ قال أبو بكر خيرا . هو أرسلنى اليك . قال الحمد لله كل مصيبة بعده هينة قليلة .

(عمرو بن الجموح)

وكان عمرو بن الجموح رجل أعرج شديد العرج وله أربعة أولاد كالاسود يشهدون المشاهد مع رسول الله . فلما كان يوم أحد أرادوا

---

(١) الشعراء ـ ذباب له لدغ

حبسه وقالوا له ان الله قد عذرك • فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له ان بنى يريدون أن يحبسونى عن الخروج معك • فوالله انى لارجو أن أطأ الجنة بعرجتى هذه • فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أما أنت فلا جهاد عليك • وقال لبنيه ما عليكم ألا تمنعوه لعل الله يرزقه الشهادة • فخرج معه فقتل يوم أحد •

(خبر أنس بن النضر)

ومر أنس بن النضر بنفر من المسلمين قعود • فقال ما يقعدكم ؟ قالوا قتل رسول الله • قال فما تصنعون بالحياة من بعده • قوموا فموتوا على ما مات عليه • ثم جالد بسيفه حتى قتل فوجدوا به بضعا وثمانين ضربة • وما عرفه أحد الا أخته بحسن بنانه وحسن ثناياه •

(هند بنت عتبة)

وكانت هند بنت عتبة زوجة أبى سفيان أول من مثل بقتلى المسلمين وأمرت نساء المشركين أن يمثلن بهم فجدعن الأنوف والأذان حتى اتخذت من الأذان والأنوف خدما[1] وقلائد وبقرت عن كبد حمزة فلاكتها فلم تستطع أن تسيغها فلفظتها •

(نداء أبى سفيان)

ثم ان أبا سفيان أراد الانصراف فأشرف على الجبل ثم صرخ بأعلا صوته • اعل هبل • فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قم يا عمر فأجبه • فقل الله أعلا وأجل لا سواء • قتلانا فى الجنة•وقتلاكم فى النار فلما أجاب عمر أبا سفيان • قال له أبو سفيان • أنشدك الله يا عمر أقتلنا محمدا ؟ فقال اللهم لا • وانه ليسمع كلامك الان • ثم نادى أبو سفيان وقال انه قد كان فى قتلاكم مثل • والله ما رضيت وما سخطت وما نهيت وما أمرت •

وعندما انصرف أبو سفيان ومن معه نادى ان موعدكم بدر للعام القادم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل من أصحابه قل نعم هو بيننا وبينكم موعد •

---

(١) الخدم : الخلخال

ثم بعث الرسول صلى الله عليه وسلم عليا رضى الله عنه فقال اخرج فانظر ماذا يصنع القوم وما يريدون فان كانوا قد جنبوا الخيل وامتطوا الابل فانهم يريدون مكة • وان ركبوا الخيل وساقوا الابل • فانهم يريدون المدينة • والذى نفسى بيده لان أرادوها لأسيرن اليهم فيها ثم لاناجزنهم • قال على فنظرتهم جنبوا الخيــل وامتطوا الابل ووجهوا الى مــكة •

(مقتل حمزة بن عبد المطلب)

وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقــول عمى ويكرر ذلك فخرج على فوجد حمزة مقتولا فأخبر النبى صلى الله عليه وسلم فخرج يمشى حتى وقف عليه فوجده قد بقرت بطنه عن كبده ومثل به فجدع أنفه وأذناه • فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأى ما رأى • لولا أن تحزن صفية ويكون سنة من بعدى لتركته حتى يكون فى بطون السباع وخواصل الطير • ولئن أظهرنى الله على قريش لامثلن بثلاثين رجلا منهم • ولــمــا رأى المسلمون حزن رسول الله عن غيظه على من فعل بعمه ما فعل • قالوا والله لئن أظفرنا الله بهم يوما من الدهر لنمثلن بهم مثلة لم يمثلها أحد من العرب ، فأنزل الله تعالى : « وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين • واصبر وما صبرك الا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك فى ضــيق مما يمكرون » فعفا صلى الله عليه وسلم ونهى عن المثلة • وأمر رســول الله بحمزة فغطى ببردة وصــلى عليه وكبر سبع مرات • ثم أتى بالقتلى فيوضعون الى حمزة فصلى عليهم وعليه معهم حتى صلى عليه اثنين وسبعين صلاة•

(الثابتون مع رســول الله)

وطلع رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه فى الشعب بين سعد بن عبادة وسعد بن معاذ يتكفأ فى الدرع وكان يتوكأ على طلحة ابن عبيد الله فما صلى الظهر بأصحابه الا جالسا وقد حمله طلحة حين انتهى الى الصخرة حتى ارتفع عليها ومضى الى أصحابه ومعه النفر الذين ثبتوا معه • فلما رأوهم ولوا فى الشعب ظنا أنهم من المشركين حتى جعل أبو دجانة يليح اليهم بعمــامة حمراء على رأســه فعرفوه

فرجعوا وكان الذين ثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة عشر • سبعة من المهاجرين وسبعة من الانصار •

فسروا برسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كأنهم لم تصبهم فى أنفسهم مصيبة • وبينما هم على ذلك رد المشركون فأذاهم فوقهم واذا كتائبهم قد أقبلت • فندبهم صلى الله عليه وسلم يحثهم على القتال فتصدوا اليهم فأنكشفوا • ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفأن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزى الله الشاكرين » • وأبو سفيان فى سفح الجبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس لهم أن يعلونا فانكشفوا •

(خبر النعـاس)

وألقى الله النعاس على من مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان الرجل منهم يغط فى نومه حتى يقع السيف من يده رحمة بهم • ثم هبوا من نومهم كأن لم تصبهم قبل ذلك نكبة وكان النعاس لم يصب أهل النفاق والشك يومئذ • وانما أصاب النعاس أهل اليقين والايمان •

(خبر عبـد الله بن عمرو)

فلما كان الغد من يوم الاحد صبيحة أحد • دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر وعمر وذكر لهما أن عبد الله بن عمرو بن عوف المزنى أخبرنى أنه أقبل من أهله حتى كان بملل • فاذا قريش قد نزلوا فسمع أبا سفيان وأصحابه يشتورون ليرجعوا حتى يستأصلوا من بقى • وصفوان يأبى ذلك عليهم• فقالا اطلب العدو يارسول الله ولا يقتحمون على الذرية فلما صلى الصبح يوم الأحد ومعه وجوه الأوس والخزرج وقد باتوا فى المسجد على بابه أمر بلالا فنادى : ان رسول الله يأمركم بطلب عدوكم ولا يخرج معنا الا من شهد القتال بالامس • فخرج سعد ابن معاذ الى داره يأمر قومه بالمسير وكلها جريح • فقال ان رسول الله يأمركم أن تطلبوا العدو • فقالوا سمعا وطاعة • وكان من بينهم من به سبع جراحات وعشر وجاءوا حتى وافوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قد خرج أربعون جريحا من بنى سلمة • فقال لما رآهم قال : اللهم ارحم بنى سلمة • ودفع رسول الله لواءه الى أبى بكر وقيل لعلى رضى الله عنهما • واستخلف ابن أم مكتوم على المدينة •

وأقام على حرسه عباد بن بشر • ولما اجتمع الناس ركع رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ركعتين فى المسجد ودعا بفرسه على باب المسجد وعليه الدرع والمغفر فركب • واذا بطلحة رضى الله عنه • فقال : يا طلحة سلاحك • فأسرع ولبس سلاحه وبه تسع جراحات وأقبل فقال : له رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أين ترى القوم الآن ؟ قال : هم بالشيالة قال : ذلك الذى ظننت • أما انهم يا طلحة لن ينالوا منا مثل أمس حتى يفتح الله مكة علينا ومضى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فى أصحابه حتى عسكروا بحمراء الاسد • وكان عامة زادهم التمر • وحمل سعد بن عبادة رضى الله عنه ثلاثين بعيرا حتى وافت الحمراء • وساق جزرا لينحر • وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر فى النهار بجمع الحطب فاذا أمسوا أمر أن توقد النيران • فيوقد كل رجل نارا • فلقد أوقدوا خمسمائة نار حتى رؤيت من مكان بعيد • وذهب ذكر معسكر المسلمين ونيرانهم فى كل وجه • فكان ذلك مما كبت الله به عدوهم •

(انصراف المشركين خوفا)

وقد مر معبد بن أبى معبد الخزاعى • وكانت خزاعة مسلمهم ومشركهم مسلما للرسول صلى الله عليه وسلم وقال : يا محمد لقد عز علينا ما أصابك فى نفسك وما أصابك فى أصحابك ، ولوددنا أن الله أعلا كعبك • وان المصيبة كانت بغيرك • ثم مضى فوجد أبا سفيان وقريشا بالروحاء وهم مجمعون على الرجوع • فأخبرهم أن محمدا وقومه قد تركهم يتحرقون عليهم مثل النيران • وانهم فى طلبهم • فانصرفوا سراعا خائفين من الطلب لهم • وبعث أبو سفيان مع نفر من عبد القيس مر بهم يريدون المدينة • أن يعلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم أجمعوا الرجعة اليه • فلما بلغوه صلى الله عليه وسلم ذلك • قال : « حسبنا الله ونعم الوكيل » فنزل فى ذلك قوله تعالى :

« **الذين قال لهم الناس أن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل** » وقوله تعالى : « **الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم** » وبعث معبد الخزاعى رجلا فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بانصراف أبى سفيان ومن معه خائفين • فانصرف صلى الله عليه وسلم الى المدينة بعد ثلاث • والله أعلم •

غـــــزوة الخنـــــدق

غزوة الخندق وتسمى الاحزاب • وهى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عسكر يوم الثلاثاء لثمان مضت من ذى القعدة سنة خمس • وقيل كانت فى شوال منها وهى :

(ســببها)

أنه صلى الله عليه وسلم لمـــا أجلى بنى النضير ساروا الى خيبر • فقام نفر من اليهود وهم الذين حزبوا الاحزاب فى بضعة عشر رجلا الى مكة يدعون قريشا وأتباعها الى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لقريش : نحن معكم حتى نستأصل محمدا • جئنا لنحالفكم على عداوته وقتاله • فنشطت قريش لذلك وتذكروا أحقادهم ببـــدر فقال أبو سفيان : مرحبا وأهلا • أحب الناس الينا من أعاننا على محمد • وأخرج خمسين رجلا من بطون قريش وتحالفوا وتعـــاقدوا ألا يخذل بعضهم بعضا ولتكونن كلمتهم واحدة على محمد ما بقى منهم رجل • ثم قال أبو سفيان : أخبرونا عما نختلف فيه نحن ومحمد • أديننا خير أم دين محمد ؟ فنحن عمار البيت • فقالت اليهود : أنتم أولى بالحق منه انكم لتعظمون هذا البيت وتقومون على السقاية وتنحرون البـــدن وتعبدون ما كان عليه آباؤكم فأنتم أولى بالحق منه وأنزل الله تعالى : **« ألم تر الى الذين أوتـــوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا • أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا »** الى قوله : **« أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله »** أى النبوة **« فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما • فمنهم من آمن ومنهم من صد عنه وكفى بجهنم سعيرا »** واتعدوا لوقت وقتوه وخرجت يهـــود الى غطفان وجعلت لهم تمر خيبر سنة ان هم نصروهم • وتجهزت قريش وسارت تدعوا العرب الى نصرها ووعدهم يهود بنى ســـليم فوعدوهم السير معهم وخرجت قريش ومن تبعها من أحابيشها فى أربعة آلاف

وعقدوا اللواء فى دار الندوة وحمله عثمان بن طلحة بن أبى طلحة وقادوا معهم ثلاثمائة فرس وكان معهم ألف بعير وخمسمائة بعير • ولاقتهم سليم بمر الظهران فى سبعمائة يقودهم سفيان بن عبد شمس وكانوا جميعا عشرة آلاف • وأقبلت قريش فى أحابيشها ومن تبعها من بنى كنانة حتى نزلت وادى العتيق ونزلت غطفان بجانب أحد ومعها ثلاثمائة فرس وكادت خيل غطفان وابلها تهلك من الهزال وكانت المدينة اذ ذاك جديبة•

(مشورة رسول الله لأصحابه)

لما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أجمعوا له من الامر ندب الناس ، وأخبرهم خبر عدوهم ، وشاورهم أيبرز من المدينة أم يكون فيها ويخندق عليها • أم يكون قريبا والجبل وراءهم فاختلفوا • وكان سلمان الفارسى يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم يهم بالمقام بالمدينة ويريد أن يتركهم حتى يردوا ثم يحاربهم على المدينة وفى طرقها• فأشار بالخندق فأعجبهم ذلك • وذكروا يوم أحد فأحبوا الثبات فى المدينة وأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجد • ووعدهم النصر ان هم صبروا واتقوا وأمرهم بالطاعة •

(حفر الخندق)

ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسا له ومعه عدة من المهاجرين والأنصار • فارتادو موضعا ينزله ، وعمل فى حفر الخندق لينشطهم ، وأخبر الناس بقرب العدو ووكل رسول الله صلى الله عليه وسلم بكل جانب من الخندق قوما يحفرونه • وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحمل التراب فى المكاتل • وتنافس الناس فى سلمان • فقال المهاجرون سلمان منا • وقالت الانصار هو منا • فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمان منا أهل البيت • وقد كان يعمل عمل عشرة رجال حتى عانه[1] قيس بن أبى صعصعة • فليط[2] به • فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مروه فليتوضأ وليغتسل به ويكفأ الاناء خلفه • ففعل فكأنما حل من عقال وجعل لسلمان خمس أذرع طولا

(١) عان الرجل — أصابه بالعين حسدا
(٢) أى صرع من حسد أو حمى أو أمر غشيه مفاجاة

وخمسا فى الارض ففرغها وحده وهو يقول : اللهم لا عيش الا عيش الآخرة ، وحفر رسول الله صلى الله عليه وسلم وحمل التراب على ظهـره •

ولم يتأخر عن العمل أحد من المسلمين • وكان أبو بكر وعمر ينقلان التراب فى ثيابهما من العجلة اذ لم يجدا مكاتل •

(نبوءته صلى الله عليه وسلم عن الفتوح)

عندما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل فى الخندق صادف حجرا فصل الحجر[1] • فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل مم تضحك يا رسول الله ؟ فقال أضحك من قوم يؤتى بهم من المشرق فى الكبول[2] يساقون الى الجنة وهم كارهون • وضرب عمر بالمعـول فصادف حجرا صلدا • فأخذ الرسول صلى الله عليه وسلم منه المعول فضرب ضربة فذهبت أولها برقة الى اليمن • ثم ضرب أخرى فذهبت برقة الى الشام • ثم ضرب أخرى فذهبت برقة نحـو المشرق وكسر الحجر عند الثالثة • فقال عليه السلام • انى رأيت فى الاولى قصور اليمن • ثم رأيت فى الثانية قصور الشام • ورأيت فى الثالثة قصر كسرى الأبيض بالمدائن • وجعل يصفه لسلمان • فقال صدقت والذى بعثك بالحق ان هذه لصفته • وأشهد أنك رسول الله • فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هذه فتوح يفتحها الله عليكم بعـد ياسلمان لتفتحن الشـام • ويهرب هرقل الى أقصى مملـكته • وتظهرون على الشـام ولا ينازعكم أحد • ولتفتحن اليمن • ولتفتحن هذا المشرق ويقتل كسرى فلا يكون كسرى بعد ذلك • ولـما كمل الخندق صارت المدينة كالحصن وفرغ حفر الخندق فى ستة أيام • وكان المسلمون يومئذ ثلاثة آلاف خرج فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعسكر فجعل سـلعا[3] خلف ظهره والخندق أمامه • ودفع لواء المهاجرين الى زيد بن حارثة • ولواء الانصار الى سعد بن عبادة وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل النساء والذرارى فى الآطـام •

---

(١) صل الحجر يسمع له صليل
(٢) الكبول جمع كبل وهو القيد من الحديد اعظم ما يكون
(٣) سلعا . جبل قريب من المدينة

(حيى بن أخطب)

وكان عدو الله حيى بن أخطب يقول لأبى سفيان ولقريش • ان قومى بنى قريظة معكم وهم أهل حلقة وافرة وهم سبعمائة مقاتل وخمسون • فلما دنوا • قال له أبو سفيان ائت قومك حتى ينقضوا العهد الذى بينهم وبين محمد • فأتى كعب بن أسد القرظى صاحب عقد بنى قريظة وعهدهم • وكان قد وادع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما سمع كعب حيى أغلق بابه دونه وأبى أن يفتح له وقال له : ويحك يا حيى • انك امرؤ مشئوم وقد عاهدت محمدا ولن أنقض عهده فلم أر منه الاوفاء وصدقا • فما زال به حتى نقض العهد • فلما انتهى الخبر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى المسلمين اشتد ذلك عليهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : حسبنا الله ونعم الوكيل • وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ وسعد بن عباده • وأسيد بن حضير • وقال : انطلقوا حتى تنظروا • أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا ؟ فان كان حقا فالحنوا لى لحنا أعرفه ولا تفتوا[1] فى أعضاد الناس وان كانوا على الوفاء فاجهروا به للناس •

فخرجوا حتى أتوهم • فوجدوهم على أخبث مما بلغهم فأبلغوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فكبر رسول الله وقال أبشروا بنصر الله وعونه •

(رعب المسلمين يوم الاحزاب)

وانتهى الخبر الى المسلمين فاشتد الخوف وعظم البلاء • ونجم النفاق وفشل الناس وكانوا كما قال تعالى : « **اذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا • هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا** » وتكلم قوم بكلام خبيث قبيح • قال معتب بن قشير • كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر • وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب الى الغائط • « **ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا** » •

---

(١) فت فى عضده : او هنه واضعفه .

وهمت بنو قريظة أن يغيروا على المدينة ليلا ، وطلب حيى ألف رجل من قريش وألف رجل من غطفان ليغيروا بهم، فبلغ ذلك رسول‌الله صلى الله عليه وسلم ، فبعث سلمة بن أسلم فى مائتى رجل وزيد بن حارثة فى ثلاثمائة رجل يحرسون المدينة ويظهرون التكبير ومعهم خيل المسلمين وكانوا يبيتون بالخندق خائفين • فاذا أصبحوا أمنوا • وبعث بنو حارثة برجل منهم يقولون ان بيوتنا عورة فأذن لنا فلنرجع الى دورنا فنمنع ذرارينا ونساءنا فأذن لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فبلغ ذلك سعد بن معاذ • فقال يا رسول الله لا تأذن لهم • انا والله ما اصابنا واياهم شدة قط الا صنعوا هكذا فردهم • قام رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فى قبته يصلى • ثم خرج فقال • هذه خيل المشركين تطيف بالخندق • ثم نادى يا عباد بن بشر • قال لبيك قال أمعك أحد ؟ قال نعم • أنا فى نفر حول قبتك • فبعثه يطيف بالخندق واعلمه بخيل يطيف بهم ثم قال : اللهم ادفع عنا شرهم وانصرنا عليهم • واغلبهم لا يغلبهم غيرك • وكان المشركون يتناولون بسهم • فلا يزالون يجيلون خيلهم فيتفرقون مرة ويجتمعون ويناوشون المسلمين ويقدمون رماتهم فيرمون • واذا أبو سفيان فى خيل يطيفون بمضيق من الخندق • فرماهم المسلمون حتى رجعوا •

(اقتحام المشركين مضيقا من الخنــدق)

وكان المشركون كثيرا مايطلبــون غــرة ومضــيقا من الخنــدق يقتحمونه • فكانت للمسلمين معهم وقائع فى تلك الليالى • وظلوا على ذلك حتى عظم البلاء وخاف الناس خوفا شــديدا وأجمع رؤســاء المشركين أن يغدوا جميعا • وجاؤا يريدون مكانا ضيقا من الخندق حتى أتوا مكانا ضيقا أغفله المسلمون فلم تدخله خيولهم فاقتحموه •

(تخلف المسلمين عن الصــلاة)

فعبأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه فقاتلوا الى هوى من الليل وثبتوا أماكنهم حتى أنهم لم يصلوا من الظهر الى العشاء • وكان أصحابه يقولون : يا رسول الله ما صلينا • فيقول ولا أنا والله ما صليت • حتى كشف الله المشركين ورجع كل من الفريقين الى منزله • فلما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الى موقع قبته أمر بلالا فأذن

وأقام للظهر وأقام بعد لكل صلاة اقامة فصلى كل صلاة كأحسن ما كان يصليها فى وقتها • وذلك قبل أن تنزل صلاة الخوف ••

(جوع المسلمين والبركة فى الطعام)

وأصاب المسلمين مجاعة شديدة • وكان أهلوهم يبعثون اليهم بما قدروا عليه • وجاءت ابنة بشر لابيها بجفنة تمر عجوة فى ثوبها فوجدت رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا فى أصحابه فقال تعالى يا بنية ما هذا معك ؟ فأخبرته فأخذه فى كفيه ونثره على ثوب بسـط له وقال لجعال بن سراقة اصرخ • يا أهل الخندق أن هلم الى الغذاء فاجتمعوا عليه يأكلون حتى صدر أهل الخندق وانه ليفيض من أطراف الثوب .

(مـدة الحصـار)

وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه محصورون بضع عشرة ليلة حتى اشتد الكرب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم انى أنشدك عهدك ووعدك • اللهم انك ان تشأ لا تعبد • وأرسل الى عيينة والحارث وهما رئيسا غطفان • أن يجعل لهما ثلث تمر المدينة على أن يرجعا بمن معهما • واستشار سعد بن معاذ وسعد بن عبـادة سرا فى ذلك فقالا : أمرا تحبه فنضعه أم شيئا أمرك الله به لابد لنا من عمله ؟ قال بل شىء أصنعه لكم وما صنعته الا لأنى رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة • فقال سعد بن معاذ يا رسول الله • كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان لا نعبد الله ولا نعرفه • وهم لا يطمعون أن يأكلوا منه تمرة واحدة الا قرى[1] أو بيعا • أفحين أكرمنا الله بالاسـلام وهدانا له وأعزنا بك وبه نعطيهم أموالنـا !! والله ما لنا بهذا من حاجة • والله لا نعطيهم الا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم • قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأنت وذاك وقال ليجهدوا علينا •

(نعيم بن مسـعود)

ثم ان نعيم بن مسعود أتى رسول الله صلى الله عليه وسـلم وكان من الاحزاب وقدم مع قومه وهو صـديق لبنى قريظة • وقال

---

(١) قرى ـــ طعام الضيف

يا رسول الله انى قد أسلمت وان قومى لا يعلمون فمرنى بما شئت فقال صلى الله عليه وسلم انما أنت فينا رجل فخذل[1] عنا ان استطعت فان الحرب خدعة •

فخرج نعيم حتى أتى بنى قريظة وكان لهم نديما فى الجاهلية فقال لهم : قد عرفتم ودى لكم فقالوا لست عندنا بمتهم • فقال ان قريشا وغطفان ليسوا كأنتم • البلد بلدكم فيــه أمراؤكم وأبنــاؤكم ونساؤكم لا تقدرون على أن تحولوا منه الى غيره وان قريشا وغطفان قد جاؤا لحرب محمد وأصحابه • وأشار عليهم ألا يقاتلوا مع قريش وغطفان حتى يأخذوا رهنا من أشرافهم • فقبلوا رأيه • واستكتمهم مجيئه اليهم • ثم جاء لابى سفيان فى رجــال من قريش وأعلمهم أن قريظة ندمت على ما كان منها وأنهم راسلوا محمدا بأنهم يأخذون من أشراف قريش وغطفان سبعين رجلا يسلمونهم اليه ليضرب رقابهم • وأشار عليهم ألا يجيبوا قريظة الى اعطاء الرهن وسألهم كتمان أمره • ثم جاء الى غطفان وأعلمهم عن بنى قريظة ما أعلم به قريشــا عنهم وحذرهم أن يدفعوا لهم رهنا • ولمــا أرسل أبو سفيان الى بنى قريظة أن يخرجوا غدا السبت ليناجزوا محمدا • فقالوا ان غدا السبت لا نقاتل فيه ومع ذلك لا نقاتل حتى تعطونا رهانا من رجالكم • فتحققت قريش صدق ما قال نعيم • وأرسلت غطفــان الى بنى قريظة فردت بمثــل ما راسلهم أبو سفيان • ويئس كل منهم من الآخر واختلف أمرهم • وكان الرسول يدعو بقوله : « اللهم منزل الكتاب سريع الحساب • اهزم الاحزاب اللهم اهزمهم » فاستجيب له فعرف السرور فى وجهه :

(الريح وتفرق الاحزاب ورحيلهم)

وبعث الله الريح على الاحزاب حتى ما يكاد أحدهم يهتدى لموضع قدمه ولا رحله • وصلى عليه الســلام الى أن ذهب ثلث الليل وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حــزبه أمر أكثر من الصــلاة • وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم حذيفة بن اليمــان رضى الله عنه لينظر ما فعل القوم وما يقولون • فدخل عسكرهم فى ليلة شديدة

---

(١) اى ادخل بين القوم حتى يخذل بعضهم بعضا

البرد فاذا هم مصطلون على نار والريح لا تقر لهم قدرا ولا بناء وهم يتشاورون فى الرحيل حتى ارتحلوا . وكذلك ذهب الى غطفان فوجدهم قد ارتحلوا فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك . وكانت مدة الحصار عشرين يوما وقيل ما يقرب من الشهر .

وقد أنزل الله تعالى فى شأن الخندق يذكر المسلمين بنعمته عليهم ونصره لهم بعد أن أساءوا الظن . وبعد أن تكلم قوم من المنافقين كلاما قبيحا :

« يأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصـــيرا »
وقتل من المسلمين يومئذ ستة نفر . وقتل من المشركين ثلاثة ولم تغز كفار قريش المسلمين بعد الخندق . والله أعلم .

غــــزوة الفتــــــح

وسببها أن أنس بن زنيم من قبيلة بنى بكر المحالفة لقريش هجا النبى صلى الله عليه وسلم على مسمع من غلام من قبيلة خزاعة المحالفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فغضب الخزاعى وشج رأس أنس واشتبكت القبيلتان فى معركة • استــعان بنو بكر بحلفائهم قريش فأمدوهم بالسلاح والرجال • فنقضت قريش بذلك عهدها من شروط صلح الحديبيــة الذى تم بينهم وبين المســلمين • وكان من الشروط ألا يحارب أحــد الطرفين الآخر ولا يســاعد على حربه أو على أحد حلفائه • وأحست قريش الندم على ما فرط منها • فخرج أبو سفيان الى المدينة يسترضى النبى صلى الله عليه وسلم فقال له : يا محمد انى كنت غائبا فى صلح الحديبية فاشدد العهد وزدنا فى المدة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألهذا قدمت ؟ نحن على عهدنا ومدتنا لانغير ولا نبدل » • ثم قام أبو سفيان فدخل على ابنته أم المؤمنين أم حبيبة وهم بالجلوس على فراش عندها فطوته دونه • وقالت أنت امرؤ نجس مشرك • وهذا فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يغيب عنك فضل الاسلام وأنت سيد قريش وكبيرها • فقال يا عجبا • أهذا منك أيضا •• ثم خرج فلقى أبا بكر فكلمه فى أن يجير له عند رســول الله صلى الله عليه وسلم فقال : جوارى هو جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك فعل مع عمر وعثمان وعلى وسعد بن عبادة فلقى نفس الجواب الذى لقيه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فعاد الى قريش دون أن يظفر بطائل •

(الاستعداد للغزو)

وبدأ الرسول يســتعد لغزو قريش سرا فأخفى ذلك عن أقرب المقربين اليه • وقال : « اللهم خذ عن قريش الاخبار والعيون حتى نأتيهم بغتة » • وبدأ المسلمون يستعدون للحرب وما يعرفون وجهتهم، بعضهم

يقول لعله يريد بنى سليم • والبعض يقول ثقيفا • والبعض يقول بل هوازن • وكان رسول الله يسلك بالجيش الطرق الجبلية غير المعهودة • فلما أجمع الرسول المسير الى قريش وعلم الناس بذلك •

كتب حاطب بن أبى بلتعة كتابا الى قريش يقول فيه • ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد آذن فى النـــاس بالغزو ولا أراه يريد غيركم • وقد أحببت أن يكون لى يد بكتابى هذا اليكم • واستأجر امرأة من مزينة بدنانير عشرة • فعرف الله النبى عليه الصلاة والسلام بأمرها• فبعث عليا والزبير فى اثرها وفتشا رحلها فلم يجدا فيه شيئا • فقالا • بالله ما كذب رسول الله • ولتخرجن هــذا الكتاب أو لنكشفنك فحلت قرون رأسها وأخرجت الكتاب • فذهبا به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام لحاطب ما حملك على هذا ؟ فقال والله ما كفرت منذ أسلمت • ولكننى كنت امرأ ليس لى فى القوم أصل ولا عشيرة ولى بين أظهرهم أهل وولد فصانعتهم • فقال عمر • دعنى أضرب عنقه يا رسول الله انه قد نافق • فقال وما يدريك يا عمر انه شهد بدرا • لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم •

(الخروج الى الفتح)

كان جيش المسلمين عشرة آلاف رجل وقيل اثنا عشر ألفا • وكان ذلك لعشر خلون من رمضان • فقال الرسول من أحب أن يصوم فليصم ومن أحب أن يفطر فليفطر • وصام هو • فلما كان بين الظهر والعصر أخذ اناء من ماء فى يده حتى رآه المسلمون جميعا ثم أفطر • وقال انكم مصبحون عدوكم والفطر أقوى لكم • فعسكر الرسول صلى الله عليه وسلم وأتى له بأسير من هوازن فسأله عن القوم • فقال، تركتهم قد جمعــوا الجموع وأجلبوا العرب وبعثــوا الى ثقيف فأجابتهم وهم سائرون الى هوازن • فسأله الرسول صلى الله عليه وسلم والى من جعلوا أمرهم ؟ قال الى مالك بن عوف • وقد مررت بمــكة فرأيتهم ساخطين لمـــا جاء به أبو سفيان • فقال الرسول حســبنا الله ونعم الوكيل • ما أراه الا صدقنى •

(رؤيا أبى بكر)

فلما نزل المسلمون بالجحفة رأى أبو بكر فى منامه أن كلبة تهر فلما دنوا منها استلقت على ظهرها فاذا أطباؤها تشخب لبنا • فذكرها للنبى صلى الله عليه وسلم فقال : ذهب كلبهم[1] وأقبل درهم[2] • هم سائلوكم بأرحامكم وأنتم لاقون بعضهم فان لقيتم أبا سفيان فلا تقتلوه •

(اسلام حكيم وبديل)

ثم رحل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مر الظهران فنزل بها وأرسل العيون والطلائع وكانت قريش قد أرسلت أبا سفيان وحكيم ابن حزام وبديل بن ورقاء يستطلعون الخبر ويأخذون أمانا وجوارا لقريش من المسلمين فلما رأوا نيران المسلمين وسمعوا صهيل خيولهم ورغاء ابلهم فزعوا فزعا شديدا فبينما هم كذلك • أخذ عيون المسلمين بخطم أبعرتهم وأتوا بهم الى العسكر فلقيهم العباس بن عبد المطلب فأجارهم ودخل بهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره باجارته لهم فدعاهم للاسلام فأسلم حكيم وبديل • وقال أبو سفيان : أشهد أن لا اله الا الله • فقال له النبى • وانى رسول الله • فقال والله يا محمد ان فى النفس من هذه لشيئا بعد فأرجئها ••

(اسلام أبى سفيان)

فلما أذن لصلاة الصبح أذن العسكر كلهم ففزع أبو سفيان من أذانهم وقال ما يصنعون ؟ أأمروا فى بشىء قيل لا ولكنهم قاموا للصلاة • وقال كم يصلون ؟ فقيل خمس صلوات فى اليوم والليلة • فقال أبو سفيان كثير والله • فلما رآهم يبتدرون وضوء النبى صلى الله عليه وسلم قال والله ما رأيت ملكا مثل هذا • لا ملك كسرى • ولا ملك بنى الأصفر • فقال له العباس ويحك آمن • فقال أدخلنى عليه • فأدخله فقال يا محمد استنصرت الهى • واستنصرت الهك • فلا والله ما لقيتك

---

(١) كلبهم : سعارهم
(٢) درهم : خيرهم

من مرة الا ظفرت على . فلو كان الهى حقا . والهك مبطلا لكنت عليتك . وشهد أن محمدا رسول الله . فقال العباس يا رسول الله ان أبا سفيان رجل يحب الفخر اجعل له شيئا فقال النبى نعم . من دخل دار أبى سفيان فهو آمن . ومن دخل داره فهو آمن .

(تعبئــة المســلمين)

وفى الصــباح ركب المسلمون وعبأ رســول الله أصحابه فجعل أبا عبيدة على المقدمة . وخالد بن الوليد على الميمنة . والزبير بن العوام على الميسرة . والنبى صلى الله عليه وسلم فى القلب . ولما طلعت كتيبة النبى الخضراء طلع سواد وغبرة من سنابك الخيل والنبى على ناقته بين الصديق وأسيد بن خضير يحدثهما ويكاد ذقنه الشريف يمس عنق الناقة جزعا لله وتضرعا . وكان فيها ألف دارع فنادى سعد بن عبادة حامل راية رسول الله صلى الله عليه وسلم اليوم يوم الملحمة . اليوم تستحل الحرمة . فقال رسول الله بل اليوم يوم الرحمة . اليــوم أعز الله قريشا وأمر بأن يحمل الراية قيس بن سعد . ووصل المسلمون الى ذى طوى وأخذوا ينتظرون أمر النبى صلى الله عليه وسلم فأمر الزبير أن يدخل من كداء فى أعلا مكة . وأمر خالدا أن يدخل من الليط أسفل مكة . ودخل عليه الصلاة والسلام أذاخر ونهى عن القتال بل أمرهم بقتال من قاتلهم ولم يلق المسلمون مقــاومة . الا فرقة خالد ابن الوليد . فقد تصدى لها صفوان بن أمية . وعكرمة بن أبى جهل فى جمع من أحابيش قريش . ولكنهم ما لبثوا أن انهزموا فى موقعة الخندمة . وكان أحد فرسان قريش قد أعد سلاحه وأكمله . فقالت زوجته لم تعد هذا ؟ قال لمحمد وصحبه . فقالت ما أرى أنه يقــوم لأصحابه بشىء . فقال والله انى لأرجو أن أخدمك بعضهم وأنشــد يقــول :

ان تقدموا اليوم فما بى علة   هــذا ســلاحى كامل وألة[1]

وذو عــزارين سريع الســلة

---

(١) الالة ـــ الحربة

ثم شهد هذا الفارس موقعة الخندمة وما لاقى فيها صـفوان وعكرمة . ففر الى بيته وقال لامرأته اغلقى على بابى فقالت أين ما كنت تقول ؟ فأنشـد :

انك لو شـهدت يوم الخندمة اذ فر صـفوان وفر عـكرمة
واستقبلتنا بالسـيوف المسلمة يقطعن كل سـاعد وجمجمـة
لا تنطقى فى اللـوم أدنى كلمـة

(هزيمة قريش)

ولـما انهزمت قريش تبعهم المسلمون وبينهم سفراء قريش . أبو سفيان . وحكيم بن حزام يصيحان يا معشر قريش علام تقتلون أنفسكم ؟ من دخل داره فهو آمن . ومن دخل دار أبى سفيان فهو آمن . ومن وضع السلاح فهو آمن . فاقتحم الناس الدور وأغلقوا عليهم الأبواب وطرحوا السلاح فى الطرقات فأخذه المسلمون .

(الطـواف)

ومكث الرسول بمكة ساعة من نهار واغتسل وصلى ثمانى ركعات سـلم من كل ركعتين ثم لبس سـلاحه وركب ناقته حتى انتهى الى الكعبة . فتقدم على راحلته فاستلم الركن بمحجنه وكبر وكبر المسلمون حتى ارتجت مكة تكبيرا . فأشـار اليهم أن اسكتوا . ثم طاف وحول الكعبة يومئذ ثلاثمائة وستون صنما . مطلية بالرصاص . فكلما مر بصنم منها يشير اليه بقضيب كان فى يده وهو يقول : « جاء الحـق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا » فيقع الصنم بوجهه حتى أكمل الطواف سبعا . ثم ترجل رسول الله صلى الله عليه وسلم وصـلى ركعتين بالمقـام .

(غســل الكعبة)

وأخذ الناس الدلاء فغسلوا بطن الكعبة وظهرها فلم يدعوا فيها صورة ولا أثرا من آثار الشرك • ودخل الرسول الكعبة فصلى ركعتين ثم أشرف من باب الكعبة على الناس وخطبهم • يا معشر قريش ماذا تقولون وماذا تظنون ؟ قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم فقال انى أقول لكم كما قال أخى يوسف « لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين » •

وهكذا دخل الاسلام مكة • وان بقى البعض فيها على جاهليته • وقد تركهم الرسول صلى الله عليه وسلم للأيام تشفى جهلهم وتحيى قلوبهم • واكتفى بتحطيم دولة الوثنية التى كانت تحميها وتقــاتل دونها • ولم تلبث هذه القلة • أن فتح الله عيونها على الحقيقة وهداها للايمــان • والله أعلم •

غـــزوة حنـــين

(جموع هوازن وثقيف)

لمـا حشد أشراف هوازين وثقيف حشودهم واجتمع اليهم بنو هلال ولم يحضرهم أحد من كعب ولا كلاب وجاءوا جميعا بأموالهم ونسائهم وأبنائهم يريدون حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلوا بأوطاس •

(خروج رسول الله الى حنين)

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم للقائهم • لست خلون من شوال • وخرج أهل مكة لم يتأخر منهم أحد ركبانا ومشاة حتى قال بعضهم يا بنى بكر لو لقينا بنو شيبان ما بالينا ولا يغلبنا اليوم أحد من قلة •

والى ذلك يشير قوله تعالى : « لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين » •

ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بجوار شجرة أسند اليها سيفه وقوسه • وجاء رجل وهو نائم وسل سيفه وقام على رأسه وهم به وهو يقول : يا محمد من يمنعك منى اليوم ؟ فأجابه الرسول صلى الله عليه وسلم الله • فأتى أبو بردة يريد قتل الرجل فمنعـــه النبى صلى الله عليه وسلم قائلا يا أبا بردة ان الله مانعى وحافظى حتى يظهر دينه على الدين كله • وانتهى المسلمون الى حنين • وبعث زعيم هوازن عيونهم وطلائعهم فرجعوا يرتعدون رعبا وقالوا : رأينا رجالا بيضا على خيل بلق فوالله ما نقاتل أهل الأرض ان نقاتل الا أهل السماء وان اطعتنا رجعت بقومك فسبهم وحبسهم ثم عبـأ أصحابه بوادى حنين ليـــلا •

(تعبـئة المسـلمين)

وعبـأ الرسول أصحابه فى السحر وانحدر بهم فى وادى حنين وهو على بغلته البيضاء يحرض الناس على القتال • ويبشرهم بالفتح ان صدقوا وصبروا •

(هزيمة المسـلمين)

استقبلت هوازن جيش المسلمين فى غبش الصبح من فوق هضبة عالية فى هذا الوادى بكثرة لم يروا مثلها وحملوا عليهم حملة واحدة • فانكشف خيل بنى سـليم فولوا وتبعهم أهل مـكة والناس منهزمون ما يلوون على شىء •

(النصر)

التفت رسول الله يمينا وشمالا والناس منهزمون حتى بلغوا مكة • وهو يقول يا أنصار الله وأنصار رسوله أنا عبد الله ورسوله • ثم تقدم أمام الناس بحربته ولم يكن معه الا أبو سفيان بن الحارث وقد أخذ بشفر[1] البغلة وأخذ العباس بلجامها والنبى يركضها الى وجه العـدو قائلا : أنا النبى لا كذب • أنا ابن عبد المطلب • وقال صلوات الله عليه وسلم للعباس اصرخ : يا معشر الأنصار يا أصحاب السمرة فنادى بذلك فأقبلوا كأنهم الابل حنت الى أولادها ينـادون : يا لبيك • يا لبيك فأشرف النبى صلى الله عليه وسلم كالمتطاول فى ركابيه فنظر الى قتالهم وقال الآن حمى الوطيس • ثم رمى فى وجه العدو بقبضة من الحصى فرماهم بها وقال : شاهت الوجوه • حم — لا ينصرون • ثم قال انهزموا ورب الكعبة • ولم يثبت مع النبى صلى الله عليه وسلم سوى على • والفضل • والعباس • فى نفر قليل لا يجاوز المائة • وأما بقية الجيش فلم يرجع الا والأسارى بين يدى رسول الله وكان دعاؤه حين انكشف المسلمون ولم يبق الا المائة الصابرة • اللهم لك الحمد واليك المشتكى وأنت المسـتعان •

---

(١) الشفر : هو السير الذى يكون فى مؤخر السرج تحت ذنب الفرس أو البغـل

(قول المنافقين)

ولما كانت هزيمة المسلمين يوم حنين تكلم بعض المنافقين بما فى نفوسهم فقال أبو سفيان : لا تنتهى هزيمتهم دون البحر • فقال أبو معتب بن سليم والله لولا أنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهى عن قتلك لقتلتك • وقال كلدة بن حنبل • ألا قد بطل سحر محمد اليوم • فرد عليه صفوان • اسكت قبض الله فاك : لأن يربنى[1] رب من قريش أحب الى من أن يربنى رب من هوازن • وقال سهيل ابن عمرو • والله لا يجتبرها محمد وأصحابه • فرد عليه عكرمة بن أبى جهل ان هذا ليس بقول • انما الأمر بيد الله وليس لمحمد من الأمر شىء • ان أديل عليه اليوم فأن له العاقبة غدا فقال سهيل ان عهدك بخلافه لحديث فأجابه : يا أبا يزيد انا كنا والله نوضع فى غير شىء وعقولنا عقولنا نعبد حجرا لا ينفع ولا يضر • ولكن الله تعالى ألقى الرعب فى قلوب المشركين فولوا مدبرين منهزمين • وانتصر المسلمون وأمر الرسول بجمع الغنائم ونادى مناديه من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يغل • وجميع من استشهد فى هذه المعركة من المسلمين أربعة •

(من قتل قتيلا فله سلبه)

وقال عليه السلام فى هذه الغزوة من قتل قتيلا فله سلبه • وكان أبو طلحة قد قتل عشرين رجلا فأعطاه سلبهم • وذكر الزبير بن بكار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سبى يوم حنين ستة آلاف بين غلام وامرأة وأموال كثيرة • وكره رسول الله صلوات الله عليه وسلم أن يقسم على الناس الغنائم فتأنى لعل القوم يرجعون اليه تائبين فيرد عليهم ما فقدوه • وانتظرهم بضع عشرة ليلة •

(تقسيم الغنائم)

ثم شرع بعدها فى تقسيم الأموال فخص بها الطلقاء من أهل مكة ليؤلف بها قلوبهم حتى وجد الأنصار فى أنفسهم شيئا بسبب ذلك وصارح زعيمهم سعد بن عبادة النبى فى ذلك • فجمعهم الرسول

---

(١) يربنى : يكون لى سيدا

وخطبهم قائلا : يا معشر الانصار • ألم آتكم ضلالا فهـداكم الله • وعالة فأغناكم الله • وأعداء فألف الله بين قلوبكم ؟ قالوا بلى • المن لله ورسوله • قال والله لو شئتم لقلتم فصدقتم وصدقتم • جئتنـا طريدا فآويناك • وعائلا فآسيناك وخائفا فآمناك • ومخذولا فنصرناك • فقالوا المن لله ورسوله • ثم قال أوجدتم فى نفوسكم يا معشر الانصار فى لعاعة من الدنيا تألفت بها قوما أسلموا • ووكلتكم الى ما قسم الله لكم من الاسلام أفلا ترضون يا معشر الانصار • أن يذهب الناس الى رحالهم بالشاء والبعير وتذهبون برسول الله الى رحابكم • فوالذى نفسى بيده لو أن الناس سلكوا شعبا وسلكت الأنصار شعبا لسلكت شعب الأنصار • ولولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار • اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار • وأبناء أبناء الأنصار • فبكى القوم وطابت نفوسهم وقالوا رضينا بالله ربا ورسوله قسما • والله أعلم •

غـــزوة تبـــوك

ســــببها :

كانت غزوة تبوك وتسمى غزوة العسرة • فى غرة رجب • وسببها أن الروم قد جمعت جموعها بالشـــام وانضمت اليهم قبـــائل لخم • وجذام • وغسان • وعامله • ورجعوا نحو الجزيرة العربية ووصلت طلائعهم الى البلقاء • ولم يخف ذلك على المسلمين نظرا لكثرة التجار بين الروم وجزيرة العرب • وتسمى هذه الغزوة بغزوة العسرة وذلك لقسوتها على المسلمين لأنها كانت فى وقت الصيف وكان الحر شديدا حتى قال بعض المنافقين • لا تنفروا فى الحر • وكانت محاصيل المدينة لم تستحصد بعد • فشق على المسلمين اعداد وتجهيز هذا الجيش ماديا وبخاصة أنه متجه الى دولة الروم التى يفصلها عن المدينة صحارى شاسعة نارها فى الصيف محرقة • وعدد الروم وفير وجيوشهم موفورة الســـلاح •

(الترغيب فى الجهـــاد والصدقة)

ولم يكن من عادة رسول الله صلوات الله عليه وسلم أن يجدد وجهته فى الغزو • ولكنه خالف ذلك فى هذه المرة ليأخذ المسلمون لذلك الغزو أهبته • فبعث الى القبائل والى مكة ليستنفرهم للجهاد • وحض المسلمين على الجهاد ورغبهم فيه • وأمر بالصدقة فجمعت صـــدقات كثيرة • وأول من حمل صدقته أبو بكر الصديق جاء بأربعة آلاف درهم وكانت كل ما يملك • فسأله الرسول صلى الله عليه وسلم هل أبقيت شيئا ؟ فقال الله ورسوله • وقدم عمر نصف ماله • وسأله الرسول هل أبقيت شيئا ؟ فقال : نصف مالى • ولـــا عرف عمر صنيع الصديق • قال ما استبقنا الى خير الا سبقنى اليه • وقدم العباس مالا • يقال أنه تسعون ألفا • وتسابق المسلمون فى الصدقات حتى أن عثمان بن عفان قد جهز ثلث الجيش وحده • ولم يبق أحد من المسلمين الا أسهم بنصيب فى تجهيز الجيش حتى ان بعض الفقراء كان يقدم صاعا من

تمر . فسخر المنافقون منهم . فدافع الله عنهم بقوله : « **الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون الا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب اليم . استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم** » .

(صدقات النســاء)

وأتت النساء بكل ما قدرن عليه من حليهن يلقينها فى ثوب مبسوط أمام النبى صلى الله عليه وسلم .

(كشف المنافقين)

وقد أسهمت ظروف العسرة هذه فى كشف كثير من المنافقين أمثال جد بن قيس الذى قال : انى لأخشى ان رأيت بنـــات بنى الأصـــفر ألا أصبر عنهن . فأذن لى ولا تفتنى . والذين آثروا المقام فى الظل والثمار وقالوا لا تنفروا فى الحر . فرد الله عليهم :

« **قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون . فليضحـــكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون** » .

(البكاءون)

وقد ظهرت نماذج رائعة للايمان الكامل تمثلت فى نفر من المؤمنين. أطلق عليهم البكاءون حينما جاءوا يريدون الجهاد ولم يستطيعوا . وذلك لفقرهم وعدم استطاعة المسلمين حملهم . فتولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون . فتسابق الى معونتهم ذووا اليسرة من المسلمين أمثال العباس وعثمان . حتى لا يحرموا شرف الجهاد فى سبيل الله فحملوهم معهم .

(المخلفـــون)

وتخلف أربعة من المسلمين كسلا من غير شك ولا ارتياب . هم : أبو خيثمة . وكعب ابن مالك . ومرارة بن الربيع . وهلال بن أمية .

الا أن أبا خيثمة تصور رسول الله فى شدة الحر وقسوة الغزو ورفض دخول بيته حتى يلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم وركب جواده وأدرك المسلمين فى تبوك . وقال أحد المنافقين : يغزو محمد بنى الأصفر مع جهد المـــال والحر والبلد البعيد الى ما لا قبيل له به . أيحسب أن قتال بنى الأصـــفر اللعب والله لكأنى انظر الى أصحابه غدا مقرنين فى الحبـــال .

أما الثلاثة الذين خلفوا فقد اعترفوا بتخلفهم دون عذر بعد عودة المسلمين . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا تكلمن أحدا من هؤلاء الثلاثة ؟ فاعتزل المسلمون كلامهم حتى زوجاتهم وأقرب المقربين اليهم) فشق ذلك عليهم . فصبروا حتى أنزل الله فيهم : « **وعلى الثلاثة الذين خلفوا . الآية** » .

ثم سار الرسول فى ثلاثين ألفا بينهم عشرة آلاف فارس . واثنا عشر ألف بعير حتى بلغوا تبوك . فلم يجدوا بها كيدا أو يلاقوا بها عدوا .

(مصالحة نصـــارى العرب)

بل آثر الروم الاختفاء داخل حدودهم واكتفى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمصالحة نصارى العرب المقيمين فى هذه البلاد مثـــل قبائل . أيلة . وأذرع . ودومة الجندل . وتأكدت هذه القبـــائل التى كانت تعمل لحساب دولة الروم أن اعتمادها على هذه الدولة قد فات أوانه . ورجع الرسول صلوات الله عليه وسلم الى المدينة بجيشه .

(الذين حبسهم العـــذر)

لم ينس الرسول صلى الله عليه وســـلم فى ذهابه وايابه الذين حبسهم العذر فتخلفوا مرغمين عن شرف الجهاد . وقال : ان بالمدينة أقواما ما سرتم ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم . فقالوا يا رسول الله وهم بالمدينة ؟ قال : وهم بالمدينة وحبسهم العذر . وبهذه المواساة الرقيقة كرم رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجال الذين كانوا معه بقلوبهم ومنعهم العـــذر فأزاح بذلك هما كبيرا وثقيلا عن قلوبهم . والله أعلم .

الثلاثة الذين خُلِّفوا

قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فى رمضان • وبدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين ثم جلس للناس • فجاء المخلفون فجعلوا يعتذرون اليه ويحلفون • وكانوا بضعة وثمانين رجلا • فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم على نيتهم وبايعهم واستغفر لهم ووكل سرائرهم الى الله •

وجاء كعب بن مالك • فلما سلم عليه تبسم تبسم المغضب • ثم قال له : تعال • فجاء حتى جلس بين يدى رسول الله صلوات الله عليه وسلامه فقال ما خلفك ؟ ألم تكن ابتعت ظهرك • فقال : بلى يا رسول الله والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أنى سأخرج من سخطه بعذر • لقد أعطيت جدلا ولكن والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديثا صادقا تجد على فيه انى لأرجو عفو الله عنى • والله ما كان لى من عذر • والله ما كنت أقوى ولا أيسر منى حين تخلفت عنك • فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما أنت فصدقت • فقم حتى يقضى الله فيك • فقام ومعه رجال من بنى سلمة فقالوا والله ما علمناك كنت أذنبت ذنبا قبل هذا !! ولقد عجزت ألا تكون اعتذرت بما اعتذر به المخلفون • قد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله لك • حتى كاد أن يرجع فيكذب نفسه • فلقيه معاذ بن جبل وأبو قتادة فقالا • لا تطع أصحابك وأقم على الصدق • فان الله سيجعل لك فرجا ومخرجا ان شاء الله تعالى•فقال لهما هل أتى هذا أحد غيرى؟قالا نعم• رجلان قالا مثل مقالتك • وقيل لهما مثل ما قيل لك • قال من هما ؟ قالا مرارة بن ربيع العمرى • وهلال بن أمية الواقفى • ونهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن كلام الثلاثة من بين من تخلف عنه •

فاجتنبهم الناس وتغيروا لهم • حتى تنكرت لهم أنفسهم فلبثوا على ذلك خمسين ليلة وقد قعد مرارة • وهلال • فى بيوتهما • وكان كعب يخرج فيشهد الصلوات مع المسلمين • ويطوف بالأسواق فلا يكلمه أحد • ويأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى مجلسه بعد

الصلوات فيسلم عليه ويصلى قريبا منه يســارقه النظر وهو معرض عنه • وتسور يوما جدار حائط أبى قتادة • وهو ابن عمه وأحب الناس اليه • فسلم فلم يرد عليه السلام • فقال يا أبا قتادة أنشدك الله • هل تعلمنى أحب الله ورسوله ؟ فسكت • وكرر ذلك • فقال فى الثالثة : الله ورسوله أعلم • ففاضت عيناه وانصرف • فلما مضت أربعون ليلة بعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم والى هلال بن أمية ومرارة ابن ربيع • مع خزيمة بن ثابت يأمرهم أن يعتزلوا نساءهم • فقال كعب لامرأته • ألحقى بأهلك فكونى عندهم حتى يقضى الله فى هذا الأمر ما هو قاض • وبكى هلال وامتنع عن الطعام • وواصل اليومين والثلاثة ما يذوق طعاما • الا أن يشرب الشربة من الماء أو الضيح[1] من اللبن • ويصلى الليل ولم يخرج من بيته لان أحدا لا يكلمه • حتى أن الولدان يهجرونه لطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاءت امرأته فقالت : يا رسول الله : ان هلالا شيخ كبير ضائع لا خادم له • وأنا أرفق به من غيرى • فان رأيت أن تدعنى أخدمه فعلت • قال نعم • ولكن لا تدعيه يصل اليك • فقالت يا رسول الله ما به من حركة الى • والله ما زال يبكى منذ كان من أمره ما كان الى يومنا هذا • وان لحيته لتقطر دموعا الليل والنهار • ولقد ظهر البياض على عينيه حتى تخوفت أن يذهب بصره •

(التــوبة)

فلما كملت خمسون ليلة وهم كما قال الله تعــالى : « حتى اذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم » الآية : أنزل الله توبتهم بقوله تعالى :

« لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه فى ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم انه بهم رؤوف رحيم • وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجا من الله

---

(١) الضيح : اللبن الحليب او الرائب المخفف بالمــاء

الا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا ان الله هو التواب الرحيم · يايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين » ·

(البشرى)

فأعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك عند الصبح فخرج أبو بكر رضى الله عنه فأوفى على سلع فصاح قد تاب الله على كعب ابن مالك •يبشره فأتاه حمزة بن عمر فبشره • فنزع ثوبيه وكساهما اياه ولا يملك غيرهما • واستعار ثوبين من أبى قتادة فلبســهما • ثم انطلق الى رسول الله والناس يهنئونه وخرج أبو الأعور سعيد بن زيد الى هلال يبشره فلما أخبره سجد ولقيه الناس يهنئونه فما استطاع المشى لمـا ناله من الضعف والحزن والبكاء حتى ركب حمارا • وبشر مرارة • فأقبل حتى توافوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام طلحة بن عبد الله يتلقى كعب بن مالك • فلما سلم على رسول الله قال : له • ووجهه يبرق السرور • أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك • فقال : أمن عندك يا رسول الله أو من عند الله ؟ قال من عند الله • وتلا عليهم الآيات • فقال كعب يا رسول الله ان من توبتى أن أنخلع من مالى صدقة • فقال أمسك عليك بعض مالك فهو خـير لك • قال فالثلثان • قال لا • قال فالنصف • قال لا • قال فالثلث قال نعم • والله أعلم •

شخصيات اسلامية

عمرو بن الجموح

(رجل أظلته الملائكة من لدن قتل حتى قبر)

كان عمرو بن الجموح رجلا أعرج شديد العرج . وله أربعة أولاد كالأسود يشهدون المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما كان يوم أحد أرادوا حبسه ، وقالوا أن الله قد عذرك فأتى رسول الله صلوات الله عليه وسلم وقال له : ان بنى يريدون أن يحبسونى عن الخروج معك . فوالله انى لأرجو أن أطأ الجنة بعرجتى هذه . فقال صلى الله عليه وسلم : أما أنت فلا جهاد عليك . وقال لبنيه ما عليكم ألا تمنعوه لعل الله يرزقه الشهادة . فخرج عمرو ، وهو يقول اللهم لا تردنى الى أهلى خزيانا وارزقنى الشهادة . فقتل شهيدا . واستشهد ابنه خلاد وصهره عبد الله فحملتهم هند بنت عمرو بن حرام زوجة عمرو بن الجموع على بعير لها تريد المدينة . فلقيتها عائشة رضى الله عنها ، وقد خرجت فى نسوة تستروح الخبر . ولم يضرب الحجاب يومئذ . فقالت لها عندك الخبر . فما وراءك ؟ قالت أما رسول الله فصالح وكل مصـيبة بعده جلل . واتخذ الله المؤمنين شهداء « ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا » . قالت عائشة من هؤلاء ؟ قالت أخى وابنى خلاد وزوجى عمرو ابن الجموح . قالت فأين تذهبين بهم ؟ قالت الى المدينة لأقبرهم فيها . ثم قالت حل . تزجر البعير فبرك . قالت : عائشة لما عليه . قالت ما ذاك به لربما حمل ما يحمل البعيران . ولكنى أراه لغير ذلك . وزجرته فقام فوجهته راجعة الى أحد فأسرع . فرجعت الى النبى صلى الله عليه وسلم وأخبرته بذلك . فقال : ان الجمل مأمور . هل قال شيئا ؟ قالت : ان عمرو لمـا وجه الى أحد . قال : اللهم لا تردنى الى أهـلى خزيانا وارزقنى الشهادة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلذلك الجمل لا يمضى . ان منكم يا معشر الأنصار من لو أقسم على الله لأبره . منهم عمرو بن الجموح .

يا هند ما زالت الملائكة مظلة على زوجك من لدن قتل الى الساعة ينظرون أين يدفن ثم مكث صلوات الله عليه وسلم حتى قبرهم . ثم قال يا هند : قد ترافقوا فى الجنة عمرو بن الجموح . وابنك خلاد . وأخوك عبد الله . قالت يا رسول الله : أدع الله أن يجعلنى معهم .

خالد بن الوليد

سيف الله المسلول

خالد بن الوليد بن المغيرة وكان أبوه أكثر أهل زمانه فى قريش مالا حتى قيل عنه انه كان يملك تسعة آلاف مثقال من الفضة • ومع هذا فقد كان رجلا ذو همة عالية ونفس كريمة أبية • وهو الذى عندما سمع كلام النبى عاد الى قومه يقول :

والله لقد سمعت من محمد كلاما ما هو من كلام الانس ولا من كلام الجن،• وان له لحلاوة • وان عليه لطلاوة ، وان أعلاه لمثمر • وان أسفله لمغدق ، وانه يعلو ولا يعلى عليه ، فقالت قريش لقد خرج الوليد عن دينه وأتبع محمد •

ولكن الشيطان أضله وظل على دينه • وقد نزل فى شأنه قرآنا : **« ذرنى ومن خلقت وحيدا • وجعلت له مالا ممدودا • وبنين شهودا • ومهدت له تمهيدا • ثم يطمع أن أزيد • كلا انه كان لآياتنا عنيدا • سأرهقه صعودا »** •

لقد ضرب خالد بن الوليد المثل فى شجاعته فى أيام صباه فقد قيل انه قد تصارع مع عمر بن الخطاب وهو فى مثل سنه فى عهد الشباب فصرع عمر وكسر ساقه •

مولده

ولد خالد قبل الهجرة بنحو ثمانية أو تسعة وثلاثين عاما على أصح الأقوال • وكان عظيم الجسم • طويل القامة • شغوفا بالمصارعة والفروسية • وكان ذكيا شجاعا • وقد ورث عن أبيه الثراء والجاه العريض وبغضه للنبى صلى الله عليه وسلم ومحاربته لدعوة الاسلام •

وكان لخالد أخا يسمى الوليد وكان مثلا أعلى فى الكرامة وعزة النفس والتمسك بهما ولو عرضـــه ذلك للمهـــالك • فقد حـــارب مع المشركين فى غزوة بدر وأسر • ولمـــا رأى كرم أخلاق المسلمين وتمسكهم بالفضيلة حبب اليه الايمان • فآمن ولكنه طوى ايمانه فى قلبه ولم يعلنه للمسلمين وظل صامتا حتى تم فداؤه خوفا من أن يســـاء فهم اسلامه • ثم أعلن اسلامه عندما ذهب الى قومه •

وقد بعث كتابا الى أخيه خالد يقول فيه : أما بعـــد فانى لم أر أعجب من ذهاب رأيك عن الاسلام • وعقلك عقلك • ومثل الاســـلام لا يجهله أحد ؟ ولقد سألنى رسول الله • فقال أين خالد ؟ قلت يأتى الله به • فقال صلى الله عليه وسلم ما مثل خالد يجهل الاسلام • ولو كان جعل نكايته وحده مع المسلمين على المشركين لكان خـــيرا له ولقدمناه على غيره ••• فاستدرك يا أخى ما فاتك • فقد فاتتك مواطن صـــالحة •

وعندما قرأ خالد رسالة أخيه فكر فى كل حرف منها • واستعرض ماضيه وتذكر ما كان منه ومن أبيه •

اســـــلامه :

وبعد غزوة الاحزاب • أخذ أرباب العقول من قريش يفكرون فى الاسلام ونبى الاسلام • حتى ان بعضهم أغلق عليه بيته يفكر تفكيرا عميقا فى هذا الدين وكان من بينهم خالد بن الوليد فقد مكث أربعين يوما يفكر •

رأى خالد بعدها أن هناك قوة جبارة تقوده الى الخـــير فعزم على الاسلام • وجمع أهله وعشيرته وفيهم عكرمة بن أبى جهل وقال لهم :

انى عزمت عزما أكيدا صادقا على اتباع دين محمد ويعجبنى قول أبى طالب بن عبد المطلب •

ولقد علمت بأن دين محمد من خير أديان البرية دينا

فرد عليه عكرمة بن أبى جهل بقوله : يا ابن الوليد • ثب الى رشدك • وعد الى صوابك • ولا تجعل الناس يتحدثون عنا بأننا خرجنا على عهد آبائنا وأجدادنا • فقال له خالد : فلتعلموا جميعا أن الشمس لا تتكسر فى وضح النهار • وأن الحق واضح جلى لا لبس فيه ولا غموض • وان الحق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم •

وقال من فوره وذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل عليه وهو يقول السلام عليك يا رسول الله • فيلتفت اليه الرسول الأعظم ويقول له عليك السلام يا خالد بن الوليد • أما ان لك أن تسلم • وتتبع الاسلام •

فيقول خالد : أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله • فيقول النبى الحمد لله الذى هداك الى الحق •

ثم ماذا بعد أن أعلن خالد اسلامه ؟

أن خالدا يبكى بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويذكر ما كان منه من أذى ونكير للرسول الكريم الذى جعله الله رحمة للعالمين •

ثم يرفع وجهه وهو يقول : ادع الله لى يا رسول الله أن يغفر لى ما زلف منى وان يغفر لى ما كنت أشهد من تلك المواطن عليك معاندا عن الحق فيقول له رسول الرحمة : (ان الاسلام يجب ما قبله) •

وكان اسلام خالد سنة ثمان من الهجرة النبوية الشريفة • واتخذه الرسول الكريم قائدا لجيوش المسلمين التى حاربت الشرك والمشركين وكان النصر حليفه فى جميع المواقع •

ولما كانت غزوة مؤتة وكانت أول غزوة خاضها خالد بن الوليد وهى التى أسماه رسول الله بسبب جهاده فيها سيف الله المسلول •

خالد بن الوليد وغزوة مؤتة

ولى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقيادة جيش المسلمين زيد ابن حارثة ، وعبد الله بن رواحة ، وجعفر بن أبى طالب ، وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم ان أصيب زيد ، فعبد الله ، وان أصيب فجعفر ، وان أصيب فيولى المسلمون من يشاءون .

ولما قتل زيد وعبد الله ، تولى القيادة جعفر بن أبى طالب ، فأطاح أحد الكفار ذراعه الايمن فأمسك السيف بذراعه الايسر فقطعه أحد الكفار فأمسك السيف بعضدى ذراعيه ، وقاتل حتى قتل رضى الله عنه ، ولقد حزن عليه الرسول كثيرا ، وأخبر صلى الله عليه وسلم أن الله أبدله بجناحين من ذهب يطير بهما فى الجنة ، ثم تولى القيادة خالد بن الوليد فصال وجال وهزم الكافرين هزيمة منكرة وظهرت عبقريته فى القيادة ورجع سليما هو وجيشه .

(هدم الصنم)

وقد قام خالد بأعمال عظيمة للاسلام ... لعل من أقلها أنه قد قام بهدم الصنم الذى عبده قومه ، وكان أبوه ينحر عنده الذبائح تقربا لهذا الصنم وتمسحا به ، وبعد أن هدم خالد هذا الصنم عاد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول الحمد لله الذى أكرمنا بك وأنقذنا بك من الهلكة .

ولقد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى خالد رضى الله عنه ثقة فكان يندبه فى السفر فى معظم أنحاء جزيرة العرب لدعوة بعض القبائل للاسلام ، فكان يتعرف اليهم ويدعوهم للاسلام بالحكمة والموعظة الحسنة ، وكانوا فى أكثر الاحيان يستجيبون اليه فيعود بكبارهم الى النبى صلى الله عليه وسلم يعلنون اسلامهم كما حدث ذلك مع بنى الحارث بن كعب الذين اشتهر عنهم أنهم ما حاربوا أحدا فى الجاهلية الا غلبوه .

بلاؤه رضى الله عنه

فى غزوة حنين

أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم خالدا بعد هدم صـنم العزى لقيادة أحد الجيوش التى غزت حنينا وكان رضى الله عنه فى هذه الغزوة مثلا أعلى • وأبلى فيها بلاء حسنا •

وكانت هـذه الغزوة التى اجتمعت فيها قبائل همـدان وثقيف وغيرهما • وقالوا ان محمدا قد فرغ من قتال قومه وأنه لابد مقاتلنا فلنبدأه بالغزو قبل أن يغزونا •

وقد كان عدد المسلمين فى هذه الغزوة كثير ولكنهم كانوا حديثى عهد بالاسلام وغرتهم كثرتهم وقالوا لن نغلب اليوم عن قلة ونسوا أن النصر من عند الله • لا بكثرة العدد والعدد • وأن الايمان الصحيح والتعرف على الله والتقوى • واكتساب مرضاة الله هو من أهم أسباب النصر • ولذا هزمهم الله ليكون ذلك درسا لهم فى مستقبل حياتهم • « ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » •

وقد جرح خالد فى هذه المعركة وذهب بعدها الى دومة الجندل فى أربعة وعشرين فارسا ليأتى بأميرها وقد اقتحم خالد حصنه واضطره ومن معه للتسليم وجاء بهم جميعا وبأميرهم الى النبى فصالحهم على الجزية ومنحهم الأمان •

(حروب الردة)

لمـا انتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الأعلى • ارتد الكثير من العرب عن الاسلام • لظنهم أن المسلمين سيضعفون بعد موت الرسول الكريم وأنه ستكون هناك الفرصـة للتغلب عليهم وقهرهم • فمنع بعضهم الزكاة • فاستشار أبو بكر أصحابه فى حربهم • واستقر الرأى على محاربتهم • فأرسل خالدا رضى الله عنه للقضاء على هذه الفتنة التى كانت تنذر بشر مستطير •

وقد أظهر خالد رضى الله عنه مقدرة عظيمة فى قيادة الجيش ولقد كان مثلا أعلى يقتدى به فى الشجاعة التى لا تهاب الموت • فأخذ يحمس الجيش • حتى تمنى كل فرد منهم الشهادة والفوز بها وقد نزل عن ظهر جواده • وحارب راجلا والخطر محـدق به من جميع الجهات ولكنه كان يصول ويجول حتى قال أحد المسلمين تأخر قليلا فنحن فداؤك •

فقال له مجيبا • يا أخا الاسلام • اننى أقاتل بتعقيدة وايمان • وأن من جاهد فى سبيل الله • فليس بينه وبين دخول الجنة الا ضربة بسيف أو طعنة برمح • ولقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم (الجنة تحت ظلال السيوف • فهيا بنا الى الجنة) •

وقاتل قتالا عنيفا وتلقى الضربات • صابرا محتسبا حتى أتم الله النصر على يديه • وفى احدى حروب الردة ساء موقف المسلمين • واقتحم بعض الاعداء الخيمة على خالد فخرج كالبرق الخاطف شاهرا سيفه وهو ينادى (يا محمداه) فتشجع المسلمون وانقضوا على الكفار فهزموهم • ولم تقم لهم بعدها قائمة •

وقد سار خالد لغزو الفرس بفتح العراق • وشن عليهم حربا شعواء لم يخسر منها معركة واحدة وكان يخرج من نصر الى نصر •

وقد بلغ من شجاعة خالد أنه عنـدما كان قائد الفرس ينظم صفوفهم • اذا بخالد ينقض عليه ويختطفه ويأتى به بين ذراعيه ويعود به سريعا حتى ذهل الكفار من هذه الشجاعة الخارقة •

وقد كان رضى الله عنه سياسيا بارعا • ومدربا خطيرا وخبيرا • برع فى هذا النوع من الدهاء الحربى • فانه اذا وجد عدوه أكثر منه عددا وعددا • فانه كان يوزع الجيش توزيعا دقيقا • وتوقد النيران مع كل فريق • فاذا رأى العدو كثرة النيران انتـابه الفزع وظن أن جيش المسلمين أكثر منه وأعظم • فيدب الرعب فى قلوبهم فيكون ذلك سببا من أسباب النصر على الأعداء •

(مدعى النبـــوة)

قام طليحة بن خويلد يدعى النبوة والتف به بعض قومه بغيـــة أن يكون من بينهم نبى يرفع من شأنهم كما ارتفع شأن قريش بمحمد صلوات الله عليه وسلامه .

فأرسل الخليفة أبو بكر رضى الله عنه خالد بن الوليد قائدا على رأس جيش من أربعة آلاف مقاتل وعندما فرغ من اعداد الجيش قال أبو بكر وهو يعظ خالدا . عليك بتقوى . وايثاره على سواه . والجهاد فى سبيله والرفق بمن معك من رعيتك . فان معك من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل سابقة من المهاجرين والأنصار . فشاورهم فيما نزل بك ثم لا تخافهم . فاذا دخلت أرض العدو فكن بعيدا من الحملة فانى لا آمن عليك الجولة . واستظهر بالزاد . وسر بالادلاء . وقدم أمامك الطلائع ترتد لك المنازل . وسر فى أصــحابك على تعبئة جيدة . واحرص على الموت توهب لك الحياة . ولا تقاتل بمجروح فان بعضه ليس منه . واحترس من البيــات فى العرب غرة . وأقلل من الكلام . وأقبل من النـــاس علانيتهم . وكلهم الى الله فى سريرتهم .

بهذا الأسلوب خاطب الخليفة قائدا أســماه الرسول « سيف الله المسلول » وهى سنة طيبة .

ولمـــا رأى قوم طليحة جيش خالد أرادوا أن يتأكدوا من صحة زعم نبيهم فسألوه : هل ينزل عليك وحى من السماء ؟ قال نعم : فطلبوا منه أن يقرأ عليهم قرآنا . فصار يهذى بكلام غير مفهوم أظهر كذبه لمن أتبعوه فانصرفوا عنه ولمـــا رأى القوم ينفضون عنه ساخرين منه . انتهز فرصة وهرب ومعه امرأته .

(بنـــو تميم)

بنو تميم قبيلة كبيرة من العرب . كان لها شأن عظيم فى الجاهليه غير أنها كانت دائما متفرقة . كل زعيم منهم يكره الآخر . وكل حزب يعمل على هدم الحزب الآخر . ومن هؤلاء مالك بن نويره . فكان غنيا لبقا حسن الصورة . ولكنه كان مسرفا متلافا — وكان ذلك سببا فى حبه الشديد لامرأته الحسناء التى كانت أجمل نساء العرب فى زمانهـــا

ولما هجم خالد على بنى تميم جعل لهم الخيار • اما دفع الزكاة واقامة الفرائض وطاعة الله والعودة للاسلام وأما الحرب • فأجمعوا على الاستجابة لخالد فيما طلب من جمع الزكاة واختاروا وفدا منهم على رأسه زعيمهم خالد بن نويره •

وانتظر خالد ولكن لم يأته أحد يعلن اليه رأى الجماعة • هل قبلوا الحرب أو رجعوا الى الله ؟ فأرسل سرية تأتيه بالأخبار • فعادت السرية ومعها مالك بن نويره وبعض رجاله •

وكانت ليلة شديدة البرد فأرسل خالد الى سجنهم يقول للحراس• دافئوا أسراكم • وتقابل خالد مع خالد بن نويرة وأخذ يناقشه فى أمر الدين • فأصر مالك على عدم تقديم الزكاة • وأنه سيختار من الاسلام ما يعجبه ••• مثل الصلاة فقال له خالد أما علمت أن الصلاة والزكاة معا لا تقبل واحدة دون الأخرى • فقال مالك قد كان صاحبك يقول هذا • وقد فهم خالد أن مالكا يتبرأ من النبى فاشتد النقاش بينهما فأمر خالد بقتله •

(معركة اليرموك)

نظم خالد جيشه وهجم على الكفار بمن معه من المسلمين الذين كانوا لا يبالون أوقعوا على الموت أم وقع الموت عليهم ؟ معتقدين أن الجهاد باب من أبواب الجنة • فمن أراد أن يدخلها فما عليه الا أن يجاهد بالنفس وما استطاع من مال ثم وقف خالد وتلا قوله تعالى : **« لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة • وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما »** •

وبعد أن سمع المسلمون هذه الآيات الكريمة اذا بهم يلقون أنفسهم فى المعركة بنفوس كلها الايمان والكل يتسابق للشهادة لكى يحظى بأن يكون مع حبيبه ونبيه صلى الله عليه وسلم فى الجنة • واستمرت المعركة طول اليوم والليل الا قليلا •

ولعب خالد دورا عظيما فى هذه المعركة وانتهت المعركة بانتصار المســلمين •

وجاء خطاب من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى أثناء المعركة يأمر فيه بعزل خالد عن القيادة وكانت المعركة على قــدم وساق • فقرأ خالد الخطاب وطواه • وظل يجاهد حتى انتصر المسلمون واطمأنوا •

وبعد ذلك أخذ الكتاب وأعطاه للقائد الجديد أبى عبيدة بن الجراح وأصبح جنديا بسيطا من جنود المسلمين • ولم يغضب ولم يتأثر من ذلك لانه ليس صاحب مغنم ولا مقصد شخصى فيستوى عنده ان كان قائدا أو جنديا ما دام ذلك فى صالح المسلمين •

وقد أراد عمر رضى الله عنه أن يقدم للناس البراهين على أن القيادة ليست تشريفا للأشخاص وانمــا هى تكليف وأعباء وواجبات وأن القائد المسلم لا يرى فى تقلد هذه المناصب حظا من حظوظ الدنيا • وقد قصــد عمر بذلك أن يذكر النــاس بأن أكرمهم عنــد الله أتقاهم لا أميرهم ولا أغناهم •

(وفــاته)

ولمــا حضرت خالد الوفاة نادى أصحابه وأصدقاءه من أصحاب رسول الله وكشف لهم عن جسده كله عدا ما حرم الله وقال : « لقد حضرت مائة حرب أو زهاءها وما فى جسدى موضع شبر الا وفيه أثر ضربة أو طعنة • وها أنذا أموت على فراشى كما يموت البعير فلا نامت أعين الجبناء • ثم بكى وقال : اللهم اجعل خــير أيامى يوم لقــائك • ولا تحرمنى يارب العالمين شفاعة نبيك • والانطواء تحت لوائه يــوم الزحام • اللهم احشرنى مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا » وبعدها بقليل أسلم الروح لخالقــه ومولاه • رحمه الله رحمة واسعة وجزاه عن جهاده وتضحياته خير ما يجزى به عباده الصالحين المجاهدين • اللهم آمين •••

خــولة بـنت الأزور

لقد بلغ الايمان حدا عاليا حتى بنساء المسلمين فظهرت بعضهن فى الحروب فكانت الواحدة منهن بألف من رجال الاعداء الذين لم يصل نور الايمان الى قلوبهم • فخلد لهن التــاريخ ســيرة عطرة على مر الزمان • منهن خولة بنت الازور التى أظهرت من البسالة ما ســجله التاريخ بمداد من الفخار فكانت مثلا عاليا يجب أن تقتدى به كل فتاة مسلمة فى عصرنا الحاضر وتتخذ منها ومن أمثالها نبراسا تهتدى به فى نهضتهــا •

فان الاسلام اليوم فى حاجة الى عرض نماذج تضيىء الطريق للجهاد والتضحية وفعل الخير أمام فتياتنا • فهن فى أمس الحــاجة لمعرفة أخبار السابقات من أمهاتهن حتى ينهجن طريقهن • وانه الخير كل الخير أن تولى فتاتنا اليوم وجهها نحو فضليات النساء المسلمات • فتسير حيث ساروا فى طريق الفضيلة والشجاعة والايمان فتكون لبنة صالحة فى بناء هــذه الامة •

(نشــأتها)

نشأت خولة بنت الأزور فى بلاد نجد فى جزيرة العرب حيث تقيم قبيلة أسد منذ أمد طويل مع أخيها ضرار وكان أبوهما سيدا كريما له مكانة عظيمة فى قبيلته • وقد كان فارسا مقداما • سمحا ذا مروءة • وله رغبة فى الخير • ولمــا ظهر نور الرسالة المحمدية أسلم أبوها رضى الله عنه وحسن اسلامه • وجاهد حتى استشهد بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد شبت خولة وأخوها ضرار منذ الصغر على حب الفروسية • وكانا يتسابقان مع فتيان وفتيات قبيلة بنى أسد على صهوات الخيل أو على ظهور الابل وكانت خولة تسبق أخاها وتهزمه وربما كان ينهزم لها ليدخل السرور عليها •

وقد تقدم ضرار لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره أنه يملك ألف بعير برعاتها وذلك غير الغنم والبقر والخيل والمتاع والسلاح وأنه على استعداد أن ينفق جميع ما يملك فى سبيل الله وقد رأى الرسول صلوات الله عليه وسلامه فيه الخير وصدق القول .

وكان ضرار رضى الله عنه يذهب الى المدينة ليصحب النبى ويتعلم القرآن ويعود لقبيلته بالخير الذى حصله . فيعلم أسرته وأخته وقبيلته وكان موضع اجلالها واحترامها .

وقد أمره الرسول أن يعد كتيبة لحرب مسيلمة الكذاب . فدعا ضرار قومه للجهاد ورغبهم فيه . حتى دفعت الحمية بعض الشباب الى أن يذهب أحدهم ليذبح مسيلمة بسيفه أمام قومه وتعجل وضرب مسيلمة ضربة نجا منها مسيلمة . وأشاع أتباعه أن السيوف لا تعمل فيه . واعتبروها معجزة لنبيهم المزعوم .

وعظم خطر مسيلمة . وطليحة بن خويلد . بعد أن انتقل الرسول صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الاعلى . وكان الله تعالى قد حفظ على أسرة الأزور اسلامها فقام ضرار بعبء الدعوة بين الرجال . وقامت خولة أخته بنصيبها من الدعوة بين النساء وكانت خولة موضع اجلالهن لصلاحها وتقواها . وسمو أخلاقها . فكان بيتها موئل الجائع والمحروم.

وانضمت كتيبة عظيمة من بنى أسد لجيش خالد وسارت عشرة جيوش بأمر أمير المؤمنين أبى بكر الصديق رضى الله عنه لمحاربة مانعى الزكاة والمرتدين . أحدها جيش خالد بن الوليد الذى كلف بالقضاء على طليحة . وقام عدى بن حاتم الطائى فأخذ يدعو قومه الى الله حتى تركوا طليحة وانضموا الى خالد . واستجابت قبائل أخرى ممن يؤيدون طليحة فضعفت شوكته . وشلت حركته . وانتصر عليه خالد وهرب طليحة بامرأته حتى اذا أمن على نفسه رجع الى اسلامه وحسنت عقيدته وصدق فى جهاده . وأبلى بلاء حسنا فى حروب العراق ضد جيوش الفرس فكفر بذلك عن جرائمه أيام ردته .

أما مسيلمة فظل على عناده واجتمع على حربه خالد وعكرمة بن أبى جهل بقيادة خالد بن الوليد واستطاع أن يهزمه .

ولما تم النصر المبين للمسلمين على المرتدين فكروا فى غزو فارس والروم وكانت كل منهما تستعمر جزءا من بلاد العرب • فعرب العراق يخضعون لكسرى وعرب الشام يخضعون لقيصر •

وقد قام رجال المسلمين ونساؤهم بجهود عظيمة فساهمت المرأة بنصيب مشكور فى بناء الدولة • فكانت فى المنزل سر سعادة زوجها • حتى اذا دارت رحى الحرب وصاح مناديها قامت المرأة تداوى المرضى وتأسو الجرحى وتعين على نصرة المنكوبين • وكثيرا ما كانت تقاتل مع الرجال جنبا الى جنب قتل الابطال • وكانت خولة احدى هؤلاء اللاتى رفعتهن الشجاعة الى قمة المجد •

لقد كانت جميلة • ولكنها نسيت جمالها وأنوثتها وسحرها • ودافعت عن دينها دفاعا اعترفت بشدته الرجال • واشتركت فى كثير من المواقع ملثمة هى وصواحباتها وكونت منهن كتيبة ملثمة • ففعلت بأعداء الله الافاعيل وكان لها دور ملحوظ فى غزوة اليرموك •

وقالت لأخيها يوما : لا مقام لنا هنا بعد اليوم • فأنت وزوجى وأبناء العمومة جميعا تذهبون الى القتال • ونبقى فى لهفة وحسرة وشوق • وأنتم هناك فى حاجة الى من يخدمكم وييسر لكم الفراغ لما أقبلتم عليه ووهبتم أنفسكم له من الجهاد فى سبيل الله •

ثم رأته يتجهز للرحيل ليحارب فى بلاد الشام مع جيوش المسلمين فعزمت على الرحيل لتجاهد مع المجاهدين فليست أقل منهم ايمانا • وقالت لأخيها دعنى وما اخترت لنفسى ولا ترغمنى على البقاء فانى لن أطيق المكث يوما واحدا بعد رحيلكم عنا •

وفى صباح أحد الأيام يرحل ضرار وقومه وفيهم خولة وأمثالها للشام حيث فتح الله أبواب الجنة ويسر سبيل الخلود • وحضرت هى وأخوها معظم غزوات الشام وتم النصر للمسلمين •

وتوجه خالد بن الوليد من العراق الى اليرموك • ومكث يدرس الأمر شهرا كاملا ثم عقد مؤتمرا حربيا قال فيه (لقد علمت أن الدنيا فرقت بينكم فوالله ان تأمير بعضكم لا ينقصكم عند الله ولا عند خليفة رسول الله • هلموا ان هؤلاء قد تهيئوا • وان هذا يوم له ما بعده •

ان رددناهم لم نزل نردهم • وان هزمونا لم نفلح بعـــدها • هلموا فلنتناوب الامارة يكون بعضنا اليوم والآخر غدا والآخر بعد غد حتى تتأمروا كلكم ودعونى أتأمر اليوم • فأمروه عليهم فعبأ الجيش فرقا كل فرقة ألف رجل وجعل للجيش قلبا وجناحين • وعرف أسرار الروم من الجواسيس وهجم كل من الفريقين واشتدت المعركة واشتد هجوم الروم فتراجع المسلمون فصاح عكرمة فى غيظ وحنق (قاتلت رسول الله فى كل موطن وأفر منكم اليوم ؟ !) والتفت الى المســلمين ونادى (من يبايعنى على الموت فى سبيل الله) فبايعه ضرار وأربعمائة من فرسان المسلمين وشجعانهم ثبتوا فى المعركة • ومشت خولة الفارسة الملثمة وغيرها من النساء فى اللثام يشجعن أبطال المسلمين • ولمــا عظم الهول قاتلت النساء قتالا عنيفا وأظهرن من الشجاعة والاقدام ما حير ألباب الروم وما هز عواطف المسلمين وأثار حميتهم ومن النساء من قاتلت أشد قتال وهى جورية ابنة أبى سفيان بنت هند ، وشتان بينها وبين أمها المشركة التى كانت تحمس المشركين يوم أحد وتحثهم على الفتك بالمسلمين ، فكان موقف جورية مرضيا ودالا على نهاية الايمان والشجاعة والاقدام • وكم أطاحت ســيوف نســاء المســلمين برؤوس رجــال أشــداء من الــروم بفضل الله ومعــونته للمخلصــات المؤمنــات • فتراجع الروم واضطربت صفوفهم وأفسح خالد الطريق للهاربين منهم لتضعف شوكتهم • فتفرقوا وانقض عليهم المسلمون فدكوهم دكا حتى قيل : انه قتل منهم فى هذه المعركة مائة ألف وقتل تذارق أخو هرقلقيصر الروم وعدد كبير من القواد • وتم النصر للمسلمين وكان للنساء فيــه نصــيب •

(موقعــة صحورا)

دبر الروم مكيدة لأسر نساء جيش المســلمين حتى أحاطوا بهن وهجموا عليهن • فوقفت خولة وحثتهن على المقاومة وصاحت فيهن : « هذه أعمدة الخيام • فانتفعن بها وانتزعن الأوتاد وتناولن الأحجار • وعرفن هؤلاء اللئام من الروم أن نساء العرب يفضلن الموت على ذل الأسر وقاومن ما استطعتن لعل الله ينصرنا عليهم ويجعل لنا من هــذا الضيق مخرجا » فقالت النساء لها : لنقاتلن أشد قتال ولن نقع فى الأسر الا جثثا هامدة • والله يا خولة لقد دعوت الى أحب الأشياء الى نفوسنا ولينصرن الله من ينصره وهجمت خولة وهجم النساء وقاتلن جميعا يدا

واحدة قتال المستميت • وارتاع الروم وعجبوا لسقوط رجالهم صرعى • وخافوا مطاردة فرسان المسلمين ففروا هاربين خائفين مذعورين من شجاعة نساء المسلمين •

وكانت خولة أشد الناس فرحا بالنصر وعلم فرسان الجيش بقصة أسر النساء فتعجبوا من فعلهن وبسالتهن وقد نكل المسلمون بالروم تنكيلا شديدا لكيلا يقدموا على مثل ذلك مرة أخرى •

وقد شعرت النساء بأنهن قادرات على القتال والنصر ما دمن فى صلاح وتقوى وسجدن لله شكرا على لطفه بهن وتأييده لهن،وخرجت هذه الأيدى الناعمة من هذه المعركة ومن غيرها كالأسود الضوارى التى تتعطش الى خوض معارك أخرى ، وهكذا فان الأفراد والجماعات والأمم لا تقوى ولا تشتد الا إذا شحذتها الخطوب وأصابتها الكوارث • وقسا عليها الزمان•أما اذا مرت عليها الأيام ناعمة لينة وطال عليها الأمد•فانها تنهار وسرعان ما تراها قد تميعت أخلاقها وقل صبرها على الشدائد وانحدرت الى هاوية الانحلال والاضمحلال •

ولذا حذر الاسلام المسلمين من الترف والاستسلام لأسباب النعيم وحث على العمل والتقشف وترك زينة الحياة الدنيا ، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم (اخشو شنوا فان النعمة لا تدوم) •

(موقعة أجنادين)

أسر ضرار شقيق خولة بموقعة أجنادين • وقد جهز خالد بن الوليد جيشا لانقاذه لانه كان يعد بألف فارس • وبينما خالد فى طريقه الى الروم مر به فارس ملثم لا يرى منه الا حدقة عينيه عليه عدة الحرب كاملة فقال خالد لما نظر اليه • ليت شعرى من هذا الفارس ؟ انه من جندنا وسار وراءه بجنوده فراعهم أن الفارس الملثم قد هجم على الروم ففرق صفوفهم وأفزع كتائبهم • وروع مواكبهم • وأحدث فى جيشهم اضطرابا ثم خرج مسرعا وسنانه ملطخ بالدماء دليلا على أنه قتل رجالا وجندل أبطالا • ثم هجم هجمة أشد من الأولى وعرض نفسه للهلاك غير مكترث ولا هياب ولا وجل • فأشفق عليه المسلمون

وظن بعضهم أنه خالد بن الوليد • ولما رأوا خالدا بينهم • سأله أحدهم : من الفارس الذى تقدم أمامك • فقد بذل نفسه ومهجته؟فقال خالد والله انى لأشد منكم عجبا واعجابا بما أظهر من جرأة وشجاعة وبينما القوم فى حديثهم خرج الفارس من جيش الروم كأنه الشهاب الثاقب والخيل تعدو وراءه • وكلما أقترب منه أحد المطاردين التفت اليه وألوى عليه وشق صدره برمحه •

ولما قدم على المسلمين أحاطوا به • وطلبوا منه أن يعرفهم نفسه ويرفع لثامه وأمره خالد وهو أمير الجيش أن يكشف عن حقيقته • فلما أكثر خالد عليه القول أجابه وهو ملثم قائلا : « أيها الأمير انى لم أعرض عنك الا حياء منك لأنك أمير جليل • أنا من ذوات الخدور وبنات الستور • وانما حملنى على ما رأيت منى أنى محرقة الكبد زائدة الكمد • فقال خالد وقد عرفها • أنت خولة ؟ قالت نعم : أنا خولة كنت مع نساء من قومى فأتانى آت بأن أخى أسير فركبت وفعلت ما فعلت وما رأيت » •

هنالك صاح خالد فى جنده • فحملوا حملة رجل واحد وحملت معهم خولة وعظم على الروم ما نزل بهم منها فتراجعوا وانقلبوا على أعقابهم وكانت تجول فى كل مكان علها تعرف أين ذهب القوم بأخيها ولم تزل حتى أنقذ أخوها وفتح الله أجنادين وهرب قائد جيوش الأعداء الى بيت المقدس حتى فتحت وسلمت مفاتيحها للخليفة العادل عمر بن الخطاب رضى الله عنه •

واستمرت الحرب بين العرب والروم • وأسر ضرار مرة ثانية وحزنت أخته عليه حزنا شديدا وصممت على الانتقام من الروم وفك أسره • واقتحمت خولة صفوف الأعداء ومعها بعض الفرسان ولم توفق فى العثور عليه • ولم تر له أثرا وكانت تصيح صيحات تنشق لها الصدور (أين أنت يا ضرار — انى لك الفداء) وفر جنود الأعداء بالأسرى الى انطاكية •

لم ييأس المسلمون واشتدت حماستهم وحاصروا أنطاكية • وظلوا يحاربون حتى فتحوها وأطلقوا سراح الأسرى • ولكن ضرارا كان فى عداد الشهداء ، فقد اختاره الله الى جواره ، فحزنت عليه حزنا شديدا وعاشت مكرمة معززة ولم يمنعها تقدم سنها عن خوض المعارك اذا أتيحت لها الفرصة حتى أتاها اليقين فى خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه • وأنزلها منازل الصالحين •

وفقنا الله للجهاد فى سبيله واعلاء كلمته وجعل خولة وأمثالها من النساء المسلمات نبراسا ومثلا تقتدى به فتياتنا ونساؤنا فينهجن طريقها فى صلاحها وتقواها ونبل شمائلها انه سميع مجيب • « أن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » •

انتهى بحمد الله تعالى

أولا

فهرس الموضوعات

آيات الجهــاد فى (سورة البقرة)

آيات الجهــاد فى (سورة آل عمران)

آيات الجهـــاد فى (سورة النســـاء)

آيات الجهـــاد فى (سورة المـــائدة)

آيات الجهـــاد فى (سورة الأنفـــال)

الموضـــــوع | الصفحة

آيات الجهـاد فى (سـورة التوبة)

آيات الجهـاد فى (سورة الحج)

الموضـــوع — الصفحة

آيات الجهـاد فى (سورة الأحزاب)

آيات الجهـاد فى (سورة غـافر)

آيات الجهـاد فى (سورة محمـد)

آيات الجهـاد فى (سورة الفتح)

الموضـــوع الصفحة

آيات الجهـاد فى (سورة الحجرات)

آيات الجهـاد فى (سورة الحديد)

آيات الجهـاد فى (سورة الحشر)

آيات الجهـاد فى (سورة الممتحنة)

آيات الجهـاد فى (سورة الصف)

آيات الجهـاد فى (سـورة التحريم)

بـــاب الحديث

باب الغزوات

شخصيات اسلامية

ثانيا — فهرس الاعلام

حـرف البـاء

حـرف الجيـم

ثالثا : فهرس الأماكن والبلدان

حـــرف الخـــــاء

حـــرف الذال

حـــرف الراء

حـــرف السين

حـــرف الصـــاد

حـــرف الغـــين

حـــرف الفـــاء

حـــرف الميـــم

رقم الايداع ٧٩/٥٣٦٩

الترقيم الدولى ٩٧٧—٢٤١—١٠٢—٤ ISBN

مطابع الأهرام التجارية

استـــدراك

الصفحة	السطر	الخطـأ	الصواب
١٣	٢	ون	وان
٢٨	٥	١٢٨	١٢٩
٣٠	٢٢	أفان	أفائن
٣٢	٥	ومن	من
٣٢	٢٢	تعلمون	تعملون
٤٩	٢	لدنيا	الدنيا
٥٥	٢١	ك ن	كان
٨٠	١٤	ورضوا	ورضوان
٨١	٨	وأمول	وأموال
٨٨	٤	وق لوا	وقالوا
٩٩	٢٦	لأتوها	لآتوها
١١٣	٤	وك ن	وكان
١٣٣	١	بضحك	يضحك
١٣٩	٦	عنمها	عنهما
١٣٩	١٢	النس	أنس
١٤٠	١٥	ابى	أبى
١٤٠	٢٠	ارأايت	أرأيت
١٤١	١٢	اسم	أسماء
١٤٢	١٧	معاصى	معاص
١٤٤	١٧	دنى	دنا
١٤٤	٢٨	انلطقوا	انطلقوا
١٤٨	١٤	حيان	حبان
١٧٤	٤	ودعى	ودعا
٢١١	٧	اقال بتعقيدة	اقاتل بعقيدة
٢١٣	٤	خالد بن نويرة	مالك بن نويرة
٢١٣	٩	مع خالد	مع مالك

هذا ما أمكن استدراكه من الأخطاء التى كان لابد من الاشارة اليها وان كان هناك بعض أخطاء أخـــرى ولـــكنها لا تخفى على القارىء الكريم ٠